

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

الوصف والغزل في شعر الواواء الدمشقي

إعداد

محمد عايش محمد يامين

إشراف

د. عبد الخالق عيسى

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها في كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

2012م

الوصف والغزل في شعر الوأواء الدمشقي

إعداد

محمد عايش محمد يامين

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2012/5/31م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة

التوقيع

.....
.....

.....
.....

.....
.....

1. د. عبد الخالق عيسى / مشرفاً ورئيساً

2. د. حسام التميمي / ممتحناً خارجياً

3. د. رائد عبد الرحيم / ممتحناً داخلياً

الإهداء

إلى سر وجودي في هذه الحياة، إلى من حرقا سني عمرهما ليضيئا لي الطريق، إلى من
غرسا في نفسي حبَّ العلم والمعرفة والحياة، ومعاني التضحية والصبر . . .

إلى أبي الحبيب وأمي الحبيبة

إلى سندي وسلاحي وعونني وعضدي، إلى من اختلط دمي بدمهم . . .

إلى إخوتي الدكتور أحمد، ومالك، وعسرو، وإلى أختي العزيزة (أميرة)

إلى الأمل الباسم في حياتي، إلى شريكتي في فرحي وحرزني، إلى من علمتني معاني
الحب والوفاء والإخلاص . . .

إلى خاليتي (سلام)

إلى طلاب العلم أينما كانوا

إلى كل من يعشق لغة الضاد

أهدي ثمرة جهدي

الشكر والتقدير

بعد حمد الله والثناء عليه،

أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان الأصيل إلى أستاذي الدكتور عبد الخالق عيسى الذي تحمّل العناء الشديد بتفضله بالإشراف على هذه الدراسة، وبقراءتها والتعليق عليها، فلولا توجيهاته السديدة وسعة صدره لما كان لها أن تتم.

والشكر موصول إلى أستاذي الدكتور رائد عبد الرحيم، والدكتور حسام التميمي اللذين تفضلا بمناقشة هذا البحث، وتقديم الإرشادات القيمة حتى يخرج على أحسن صورة.

فجزاهم الله عني كل خير، وبارك في جهودهم، وأدامهم ذخرا للعلم والمعرفة، وعونا لكل متعطر للارتواء من بحور العربية وآدابها.

الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الوصف والغزل في شعر الواواء الدمشقي

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة علمية، أو بحث علمي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:

اسم الطالب:

Signature:

التوقيع:

Date:

التاريخ:

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
ج	الإهداء
د	الشكر والتقدير
هـ	الإقرار
و	المحتويات
ح	الملخص
1	المقدمة
3	التمهيد
11	الفصل الأول: الوصف في شعر الوأواء الدمشقي
13	المبحث الأول: وصف الطبيعة
13	أولاً: وصف الرياض
24	ثانياً: وصف الكواكب والنجوم
31	المبحث الثاني: وصف مظاهر الحضارة
36	المبحث الثالث: وصف الممدوح
49	المبحث الرابع: وصف الخمر
59	الفصل الثاني: الغزل في شعر الوأواء الدمشقي
61	أولاً: الغزل المعنوي العفيف
89	ثانياً: الغزل الحسيّ
90	أ. الغزل الحسيّ الفاحش
96	ب. الغزل الحسيّ غير الفاحش
107	الفصل الثالث: السمات الفنيّة للوصف والغزل في شعر الوأواء الدمشقي
108	المبحث الأول: البناء الفنيّ للقصيدة
118	المبحث الثاني: اللغة
129	المبحث الثالث: ظواهر أسلوبية
129	أولاً: الطباق والمقابلة
136	ثانياً: التناصّ
148	المبحث الرابع: الموسيقى الشعرية

الصفحة	الموضوع
148	أولاً: الموسيقى الخارجية
148	أ. الوزن الشعري
152	ب. القافية
156	ثانياً: الموسيقى الداخلية
156	أ. الجنس
159	ب. التكرار
165	ج. التصريح
167	د. التدوير
171	المبحث الخامس: الصورة الفنية
172	أولاً: مصادر الصورة ومنابعها
179	ثانياً: محاور الصورة وأشكالها
200	ثالثاً: التشخيص
206	خاتمة البحث ونتائجه
209	قائمة المصادر والمراجع
b	Abstract

الوصف والغزل في شعر الوأء الدمشقي

إعداد

محمد عايش محمد يامين

إشراف

د. عبد الخالق عيسى

الملخص

تتناول هذه الدراسة فني الوصف والغزل في شعر الوأء الدمشقي من حيث مضامينهما، ومظاهرهما، واتجاهاتهما، وقد جاءت مشتملة على تمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، أما التمهيد، فخصصته للتعريف بالشاعر الوأء، وتحدثت فيه عن سيرته وحياته، وعلاقاته، ومذهبه الديني، وشعره، وأهم الآراء التي قبلت فيه.

وأما الفصل الأول، فعالجت فيه الوصف بمعناه الشمولي العام في شعره، وبيّنت بشيء من التفصيل الأمور والظواهر التي وصفها، وطريقته في وصفها، وقد جعلته في أربعة مباحث، هي: وصف الطبيعة، ووصف مظاهر الحضارة، ووصف الممدوح، ووصف الخمر.

ودرست في الفصل الثاني غزل الوأء، وصنفته اعتماداً على مضامينه وموضوعاته واتجاهاته إلى صنفين: الغزل المعنوي العفيف، والغزل الحسي الفاحش وغير الفاحش.

وعرضت في الفصل الثالث السمات الفنية في شعره، من حيث البناء الفني للقصيدة، واللغة وظواهرها، والأسلوب، والموسيقى الشعرية وعناصرها، والصورة الفنية، من حيث مصادرها، ومحاورها وأشكالها.

وأجملت في الخاتمة أهم النتائج التي توصلت إليها.

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، الهادي الأمينِ
مُعَلِّمِ الْبَشَرِيَّةِ جَمَعَاءَ، مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَبَعْدُ:

فَهَذَا بَحْثٌ بَعْنَانِ: الْوَصْفُ وَالْغَزْلُ فِي شِعْرِ الْوَأْوَاءِ الدَّمَشْقِيِّ، وَتَبَعُ أَهْمِيَّتُهُ مِنْ أَنَّهُ
يُعَرَّفُ بِالشَّاعِرِ الْوَأْوَاءِ، وَيُعَالِجُ فَنَى الْوَصْفِ وَالْغَزْلِ فِي شِعْرِهِ، فَيُبَيِّنُ مَضَامِينَهُمَا، وَمَظَاهِرَهُمَا،
وَأَتَجَاهَاتِهِمَا، وَمَحَاوِرَهُمَا، وَأَشْكَالَهُمَا، وَطَرِيقَتَهُ فِي تَنَاوُلِهِمَا، وَأَهَمَّ السَّمَاتِ الْفَنِّيَّةِ الَّتِي يَتَسِمَانِ
بِهَا.

وَيَعُودُ اخْتِيَارِي لِهَذَا الْمَوْضُوعِ إِلَى إِعْجَابِي -مُنْذُ الْمَرَحَلَةِ الْجَامِعِيَّةِ الْأُولَى- بِالْعَصْرِ
الْعَبَّاسِيِّ وَشِعْرَانِهِ أَوْلَا، وَإِعْجَابِي بِالْوَأْوَاءِ وَشِعْرِهِ ثَانِيًا، وَذَلِكَ بَعْدَ حُصُولِي عَلَى دِيْوَانِهِ وَقِرَاعَتِهِ،
فَحَبْنَهَا تَوَجَّهْتُ إِلَى أَسْتَاذِي الدُّكْتُورِ عَبْدِ الْخَالِقِ عَيْسَى -حَفِظَهُ اللَّهُ وَأَطَالَ عَمْرَهُ-، وَعَرَضْتُ
عَلَيْهِ، وَبَعْدَ مَنَاقَشَاتٍ طَوِيلَةٍ اهْتَدَيْتُنَا إِلَى هَذَا الْمَوْضُوعِ.

وَفِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالدِّرَاسَاتِ السَّابِقَةِ الَّتِي عُنِيْتُ بِالْوَأْوَاءِ، وَبِشِعْرِهِ، فَأَهَمُّهَا دِرَاسَةٌ وَلِيدُ خَالصِ:
الْوَأْوَاءُ الدَّمَشْقِيُّ حَيَاتِهِ وَشِعْرِهِ، وَدِرَاسَةٌ جَمَالُ زَاهِرٍ: شِعْرُ الْوَأْوَاءِ الدَّمَشْقِيِّ -دِرَاسَةٌ فَنِيَّةٌ،
وَدِرَاسَةٌ عَصَامُ لَطْفِي صَبَّاحٍ: الصُّورَةُ الْفَنِّيَّةُ فِي شِعْرِ الْوَأْوَاءِ الدَّمَشْقِيِّ، وَدِرَاسَةٌ عَوْضُ بِنِ
غَنِيَمَاتِ الْحَرْبِيِّ: التَّشْكَلُ الْإِيْقَاعِي فِي شِعْرِ الْوَأْوَاءِ الدَّمَشْقِيِّ، وَدِرَاسَةٌ آلَاءُ طَلَالِ حَسَنِ النَّجَّارِ:
خِصَائِصُ الْبِنَاءِ التَّرْكِيبِيِّ فِي شِعْرِ الْوَأْوَاءِ الدَّمَشْقِيِّ -دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ.

أَمَّا الْمَصَادِرُ وَالْمَرَاجِعُ الَّتِي اعْتَمَدْتُ عَلَيْهَا، فَكَثِيرَةٌ مُتَنَوِّعَةٌ مُتَعَدِّدَةٌ، وَيُمْكِنُ إِجْمَالُهَا فِي
كُتُبِ التَّرَاجِمِ وَالْأَعْلَامِ، وَكُتُبِ تَارِيخِ الْأَدَبِ، وَكُتُبِ التَّارِيخِ، وَالْمَعَاجِمِ، وَكُتُبِ الْبَلَاغَةِ، فَضْلًا عَنِ
عِمَادِ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ وَأَسَاسِهَا، وَهُوَ: دِيْوَانُ الْوَأْوَاءِ الدَّمَشْقِيِّ.

وَفِيمَا يَخُصُّ الْمَنْهَجَ الَّذِي اتَّبَعْتُهُ، فَهُوَ الْمَنْهَجُ الْوَصْفِيُّ التَّحْلِيلِيُّ الْفَنِّيُّ، حَيْثُ تَمَّ الْاعْتِمَادُ
عَلَيْهِ فِي دِرَاسَةِ النُّصُوصِ الشُّعْرِيَّةِ، وَتَصْنِيفِهَا، وَتَحْلِيلِهَا، وَبَيَانِ مَضَامِينِهَا وَمَظَاهِرِهَا، وَفِي
تَفْصِيلِ الْقَوْلِ فِي السَّمَاتِ الْفَنِّيَّةِ لِمَنْهَجِي الْوَصْفِ وَالْغَزْلِ فِي شِعْرِهِ.

وَهَيْكَلُ هَذِهِ الدَّرَاسَةِ يَتَكَوَّنُ مِنْ تَمَهِيدٍ، وَثَلَاثَةِ فُصُولٍ، وَخَاتِمَةٍ، أَمَّا التَّمَهِيدُ، فَخَصَّصْتُهُ لِلتَّعْرِيفِ بِالشَّاعِرِ الوَأْوَاءِ مِنْ حَيْثُ سِيرَتُهُ وَحَيَاتُهُ، وَعَلاَقَاتُهُ، وَمَذْهَبُهُ الدِّينِيُّ، وَشِعْرُهُ، وَآرَاءُ النُّقَادِ وَالمُؤرِّخِينَ وَالأدبَاءِ فِيهِ.

وَأَمَّا الفَصْلُ الأوَّلُ، فَتَحَدَّثْتُ فِيهِ عَنِ الوَصْفِ بِمعناه الشُّمُولِيِّ العَامِّ فِي شِعْرِهِ، وَقَدْ جَاءَ فِي أَرْبَعَةِ مَبَاحِثَ، عَالَجْتُ فِي المَبْحَثِ الأوَّلِ وَصْفَهُ لِلطَّبِيعَةِ، رِياضِيًّا، وَوَرُودِهَا وَأَزْهَارِهَا، وَكَوَاكِبِهَا وَنُجُومِهَا، وَاسْتَعْرَضْتُ فِي المَبْحَثِ الثَّانِي وَصْفَهُ بَعْضَ مَظَاهِرِ الحَضَارَةِ وَمُخْرَجَاتِهَا الَّتِي شَاعَتْ فِي عَصْرِهِ وَزَمَانِهِ، وَهِيَ: الشَّمْعَةُ، وَالدَّوَالِبُ وَالنَّوَاعِيرُ، وَالعُودُ وَالنَّاي.

وَبَيَّنْتُ فِي المَبْحَثِ الثَّلَاثِ الصِّفَاتِ الَّتِي خَلَعَهَا عَلَى مَمْدُوحِيهِ الشَّرِيفِ العَقِيقِيِّ، وَالأَمِيرِ الحَمْدَانِيِّ سَيْفِ الدَّوَلَةِ، وَطَرِيقَتَهُ فِي مَدْحِهِمَا، وَبَيَّنْتُ -كَذَلِكَ- المِثَالِيَّةَ الخُلُقِيَّةَ الَّتِي رَسَمَهَا لَهُمَا، وَاسْتَعْرَضْتُ فِي المَبْحَثِ الرَّابِعِ وَصْفَهُ الخَمْرَ، مِنْ حَيْثُ لَوْنُهَا، وَمَا يَطْرَأُ عَلَيْهَا مِنْ تَغْيِيرٍ عِنْدَ مَرَجِهَا بِالمَاءِ، وَتَأْثِيرِهَا فِي نُفُوسِ شَارِبِيهَا وَعُقُولِهِمْ.

وَأَمَّا الفَصْلُ الثَّانِي، فَقَدْ تَنَاوَلْتُ فِيهِ الغَزَلَ فِي شِعْرِهِ، وَتَحَدَّثْتُ عَنِ مَضَامِينِهِ، وَمَوْضُوعَاتِهِ، وَمَظَاهِرِهِ، وَاتِّجَاهَاتِهِ، وَبِنَاءِ عَلَيْهِ، صَنَّفْتُهُ إِلَى صِنْفَيْنِ اثْنَيْنِ، هُمَا: الغَزَلُ المَعْنَوِيُّ العَقِيفُ، وَالغَزَلُ الحَسِيُّ الفَاحِشُ وَغَيْرُ الفَاحِشِ.

وَأَمَّا الفَصْلُ الثَّلَاثُ، فَخَصَّصْتُهُ لِدرَاسَةِ السِّمَاتِ الفَنِّيَّةِ لِلوَصْفِ وَالغَزَلِ فِي شِعْرِهِ، وَيَشْتَمِلُ عَلَى خَمْسَةِ مَبَاحِثَ، تَنَاوَلْتُ فِي الأوَّلِ البِنَاءَ الفَنِّيَّ لِلقَصِيدَةِ، وَفِي الثَّانِي: اللُّغَةَ، دَرَسْتُ أِبْرَزَ الطَّوَاهِرِ اللُّغَوِيَّةِ فِي شِعْرِهِ، وَفِي الثَّلَاثِ: ظَوَاهِرَ أُسْلُوبِيَّةِ، تَنَاوَلْتُ الطَّبَاقَ وَالمُقَابَلَةَ، وَالتَّنَاصُّ، وَفِي الرَّابِعِ: المُوسِيقَى الشَّعْرِيَّةَ، عَرَضْتُ لِلْمُوسِيقَى الخَارِجِيَّةِ وَغُنُصْرِيَّهَا: الوَزْنَ وَالقَافِيَةَ، وَالمُوسِيقَى الدَّاخِلِيَّةَ، وَمُكُونَاتِهَا، وَهِيَ: الجِنَاسُ، وَالتَّكْرَارُ، وَالتَّصْرِيحُ، وَالتَّوْدِيرُ، وَفِي الخَامِسِ: الصُّورَةَ الفَنِّيَّةَ، تَحَدَّثْتُ عَنِ مَصَادِرِ الصُّورَةِ، وَمَحَاوِرِهَا وَأَشْكَالِهَا، وَعَنِ التَّشْخِصِ فِي شِعْرِهِ.

وَفِي الخَاتِمَةِ، أَجْمَلْتُ أَهَمَّ النُّتَاجِ الَّتِي خَلَصَتْ لِدرَاسَةِ إِلَيْهَا.

التمهيد

الوَأَوَاءُ الدَّمَشْقِيّ، سِيرَتُهُ وَحَيَاتُهُ:

هو أبو الفرج محمد بن أحمد الغسّاني الدمشقي⁽¹⁾، وقيل محمد بن محمد⁽²⁾، وبهذا يتضح أن نسبه ينتهي -باتفاق من ترجموا له- إلى الغساسنة، مما يعني أنه عربيّ المحدث والأرومة، حيثُ "أجمعت الدراسات على أن أصل الغساسنة من أزد اليمن القحطانيين"⁽³⁾ الذين كانوا يسكنون شبه الجزيرة العربيّة. أمّا قولهم الدمشقيّ، فيفيد أنه ربّما ولد في مدينة دمشق، وفيها تربّى حتّى شبّ واشتدّ عودُه وتمكّن من الاعتماد على نفسه، أو أنه زارها، ومكث فيها طويلاً، فنسب إليها.

إنّ دمشق -تلك المدينة التي كثر الكلام عنها وعن حُسنها وسحرها وجمالها في بطون الكتب والمؤلّفات- لم تكف باحتضان الشاعر وتنشئته، بل أسهمت -كذلك- في تفتيق شاعرٍ يتنه

(11) يُنظر: الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري: *يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر*، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط2، القاهرة: مطبعة السعادة، 1956، 1/288. ابن عساکر، الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي: *تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها*، تح: محب الدين أبي سعيد عمر بن غلامة العمروي، ط1، دار الفكر، 1997، 175/51. القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف: *المحمّدون من الشعراء*، تصحيح وتعليق محمد عبد الستار خان ايم، ط1، جيد آباد الدكن-الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1966، 1/45. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك: *الوفاي بالوفيات*، اعتناء س.ديرينغ، ط2، فيسبادن: دار النشر فرانز شتايز، 1974، 2/53. الكتبي، محمد بن شاکر: *فوات الوفايات والذيل عليها*، مج3، تح: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 1974، ص 240. ابن منظور، محمد بن مكرم: *مختصر تاريخ دمشق لابن عساکر*، تح: سكيّنة الشهابي، ط1، دمشق: دار الفكر، 1990، 21/323. الزركلي، خير الدين: *الأعلام* (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، ط5، بيروت: دار العلم للملايين، 1980، 5/312. العاني، سامي مكّي: *معجم ألقاب الشعراء*، ط1، دبي-دولة الإمارات العربية المتحدة: مكتبة الفلاح، 1982، ص 247-248. الفاخوري، حنا: *الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)*، ط1، بيروت: دار الجيل، 1986، ص 872. الوأواء، أبو الفرج محمد بن أحمد الغسّاني الدمشقي: *ديوانه*، تح: سامي الدّهان، ط2، بيروت: دار صادر، 1993، مقدمة المحقق، ص 9. الطريفي، يوسف عطا: *شعراء العرب (العصر العباسي)*، ط1، عمان-الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع، 2007، ص 358.

(2) يُنظر: الصفدي: *الوفاي بالوفيات*، 2/53. ابن شاکر الكتبي: *فوات الوفايات*، مج3، ص 240.

(3) المستريحي، قطنة أحمد: *الشعر في بلاط الغساسنة*، ط1، عمان-الأردن: دار حمورابي، 2009، ص 13.

إلى حدٍّ كبيرٍ ووَاضِحٍ، حيثُ كانت مُلهِمَةً لَهُ في نظمِ العديديهِ مِنَ القَصَائِدِ والمَقْطُوعَاتِ الَّتِي تَغْنَى فِيهَا بِجَمَالِ رِيَاضِهَا وَأَزْهَارِهَا وورودِهَا المتعددةِ الألوانِ والأنواعِ.

ولَقَدْ اشتهرَ أَبُو الفَرَجِ الغَسَّانِيُّ بِلقبِهِ (الوَأَوَاءِ) أَكْثَرَ مِنِ اشتهارِهِ بِاسْمِهِ، وَيَبْدُو أَنَّ سَبَبَ إِطْلَاقِهِ عَلَيْهِ عَائِدٌ إِلَى طَبِيعَةِ العَمَلِ الَّتِي كَانَ يَفْتَاتُ مِنْهُ وَيَسُدُّ بِهِ رَمَقَهُ فِي بَدَايَةِ حَيَاتِهِ، حَيْثُ كَانَ يَعْمَلُ مُنَادِيًّا فِي دَارِ البَطِيخِ⁽¹⁾، يُنَادِي عَلَى الفَوَاكِهِ⁽²⁾، وَيَبْدُو أَنَّ نِدَاءَهُ كَانَ مُمَيَّزًا، وَأَنَّ صَوْتَهُ قَوِيٌّ وَاضِحٌ جَهُورِيٌّ كصوتِ ابنِ آوَى، هَذَا وَلَمَّا كَانَ مُصْطَلِحُ الوَأَوَاءِ يَعْنِي صِيَاخَ ابنِ آوَى⁽³⁾، رَبَطَ النَّاسُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ هَذَا الحَيَوَانِ، بِجَمَاعِ قُوَّةِ الصَّوْتِ وَوُضُوحِهِ، فَأُطْلِقُوا هَذَا اللِّقَبَ عَلَيْهِ.

وفي هذا المقام تجدرُ الإشارةُ إلى أَنَّ هُنَاكَ شَاعِرًا عَبَّاسِيًّا آخَرَ لُقِّبَ بِالوَأَوَاءِ، وَاسْمُهُ أَبُو الفَرَجِ عبدُ القَاهِرِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الحَسَنِ الشَّيْبَانِي الحَلَبِيِّ⁽⁴⁾، وَقَدْ عَاشَ فِي القَرْنِ الهِجْرِيِّ السَّادِسِ⁽⁵⁾، وَلَمْ يَشْتَهَرَ كَالشَّاعِرِ الدَّمَشْقِيِّ.

علاقته:

لَا تُخْبِرُ المَصَادِرُ وَالمَرَاجِعُ الَّتِي تَرَجَمَتْ لِلوَأَوَاءِ الشَّيْءَ الكَثِيرَ عَن حَيَاتِهِ، إِذْ لَمْ تَذْكَرْ تَارِيخَ مِيلَادِهِ، وَلَمْ تَتَحَدَّثْ عَن وَالدِهِ وَوَالِدَتِهِ وَعَائِلَتِهِ، وَلَا تَشْتَمِلُ أَشْعَارُهُ عَلَى آيَةٍ مَعْلُومَةٍ تَتَعَلَّقُ بِهَذِهِ الأُمُورِ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنَ الدَّارِسِينَ وَالبَاحِثِينَ أَنْ يَتَوَصَّلَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

وَبِمَا أَنَّ الوَأَوَاءَ كَانَ فِي بَدَايَةِ حَيَاتِهِ يَعْمَلُ مُنَادِيًّا فِي دَارِ البَطِيخِ بِدَمَشْقٍ، يَنَادِي عَلَى الفَاكِهِةِ وَيَدُلُّ عَلَيْهَا، فَهَذَا يَعْنِي أَنَّه رُبَّمَا وُلِدَ وَنَشَأَ فِي أُسْرَةٍ فَقِيرَةٍ مُعْدَمَةٍ، فَاضْطُرَّ بِسَبَبِ فَقْرِهِ

(1) هو مصطلح يطلق على "الموضع الذي تُباع فيه الفواكه". ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مراجعة وتقيق محمد عوض إبراهيم بك وعلي الجارم بك، ط2، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر، (د.ت)، ص223.

(2) لقد ذكرت معظم كتب التراجم ذلك، ومن بينها: الثعالبي: يتيمة الدهر، 1/288، القفطي: المحمدون من الشعراء، 45/1.

(3) مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، ط2، استانبول-تركيا: المكتبة الإسلامية، 1972، مادة (وأو).

(4) العاني: معجم ألقاب الشعراء، ص247.

(5) المرجع السابق، ص247.

إلى العمل في هذه المهنة البسيطة؛ ليحصل على بعض الأجر كي يسدَّ به حاجاته وحاجات أسرته. ويبدو أنه خلال هذه المرحلة من حياته عشق الشعر، ومال إليه ميلاً كبيراً وأعجب به، ف شعرَ بضرورة التعلُّم والتتقُّف؛ كي يمتلك أداة هذا الفن الذي يجهله تمام الجهل، فقد ذكر القفطي فيما نقله عن ابن عبد الرحيم في طبقات الشعراء أن الوأء في بداية حياته لم يكن من أهل الأدب ولا ممن يعرف بقول الشعر⁽¹⁾؛ لذلك، وتحقيقاً لطموحه الذي يرنو إليه فسمَّ وقته إلى فترتين، أولهما للعمل في دار البطح لِكسب المال، وثانيتها للتعلُّم والتتقُّف، حيث كان يرتاد حلقات الدروس في المساجد والكتاتيب والمدارس، فيقرأ دواوين الشعراء السابقين والمعاصرين؛ حتى يكتسب السليقة، ويحذق في هذا الفن الذي استهواه واستماله⁽²⁾.

ويبدو أنه تمكن من هذا الفن، وامتلأ ناصيته، وبدأ ينظم الشعر، فكانت أول قصيدة اشتهر بها في مدح الشريف العقيقي⁽³⁾، وقد أشار القفطي إلى ذلك بقوله: "وكان - الوأء - أول شيء عمله منه - أي من الشعر - قصيدته في أبي القاسم العقيقي العلوي الميمية التي أولها:

[البسيط]

تَظَلَّمُ الْوَرْدُ مِنْ خَدْيِهِ إِذْ ظَلَمًا

فاستحسنها فأعطاه عشرين ديناراً وتسامع الناس بها، فانتشر بينهم ذكره، فاستطابوا طريقته في شعره، فتوفر على ذلك وفارق ما كان فيه⁽⁴⁾، وبذلك تفرَّغ الوأء لفنِّه الجديد، وجعله باباً

(1) القفطي: المحمدون من الشعراء، 47/1.

(2) يُنظر: جويجاتي، رفيق: الوأء الدمشقي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج 68، 1993، 4/599-601. الوأء: ديوان الوأء الدمشقي، مقدمة المحقق، ص11.

(3) هو أحمد بن الحسين بن أحمد بن علي بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن الحسين الأصغر بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب، أبو القاسم الحسيني الشريف العقيقي الدمشقي. كان من وجوه الأشراف بدمشق وأولي المراتب العالية والممدوحين فيها، وكان عالماً بالتفسير والقرآن واللغة، كريماً جواداً معطاءً، وقد توفي في الرابع من جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وثلاثمئة، فأغلقت البلاد حزناً عليه، وحضر جنازته كبار الأشراف وأصحاب المراتب العليا في زمانه، وعلى رأسهم بكجور صاحب دمشق وواليتها. يُنظر: ابن العديم، صاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة: بغية الطلب في تاريخ حلب، تح: سهيل زكار، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت)، 2/633-637.

(4) القفطي: المحمدون من الشعراء، 47/1.

للرزق يعيش منه⁽¹⁾، فأخذ يمدح الأمير العقيقي، حيث نظم فيته ثلاث قصائد أخريات، ولعل من يقرأ مدحتة التي يستهلها بقوله: (2)

[الخفيف]

زَمَنْ مَثَلُ زُورَةِ الْأَحْبَابِ بَعْدَ يَأْسٍ مِنْ مُغْرَمٍ بَاجْتِنَابِ
يَسْتَشْعِرُ حَالَةَ الْفَقْرِ الشَّدِيدِ الَّذِي يَعَانِي مِنْهُ، فَهُوَ يَسْتَجِدِي مَدْوَحَةَ الْعَقِيقِيِّ، وَيَطْلُبُ إِلَيْهِ
أَنْ يَمْنَحَهُ ثِيَابًا جَدِيدَةً صَالِحَةً لِلِاسْتِعْمَالِ، فَنِيَابُهُ بِالْيَةِ قَدِيمَةٌ تَثِيرُ لَوْمَ اللَّائِمِينَ، يَقُولُ: (3)

[الخفيف]

حَالَتِي تَقْتَضِيكَ دُونَ اقْتِضَائِي أَنْ يَكُونَ الثَّوَابُ دَسَتْ الثِّيَابِ
كُلَّمَا لَامَتِي خَبِيثٌ بَعْتَبِ قَامَ لِبِسِي لَهُ مَقَامَ الْجَوَابِ
فَتَبَيَّنَ عَنَوَانَ حَالِي فَالْعُن وَأَنْ يُنْبِي بِكُلِّ مَا فِي الْكِتَابِ
ويبدو أن الوأواء تمكن من الاتصال بسيف الدولة الحمداني⁽⁴⁾ عند زيارة هذا الأخير إلى دمشق بعد سيطرته عليها والقضاء على حكم الإخشيديين لها سنة 334هـ⁽⁵⁾، فمدحه وحصل على عطائه ونواله، وتمكن بعد ذلك من الاتصال به في حلب العاصمة السيفية، فصار من شعراء

(1) يبدو أن الوأواء اتخذ المدح وسيلة للتكسب، والحصول على المال، ومما يؤكد ذلك أنه لم يرث أياً من ممدوحيه ولو ببيت واحد من الشعر، إذ لو أنه مدحهما من باب الإعجاب بهما وبأخلاقهما، لرثاهما بعد وفاتهما، كما مدحهما في حياتهما، ومما يؤكد أيضاً فلسفته في المدح، فهو يعلن صراحة أن المدح للتكسب والاستجداء، وأن الممدوح ليس إلا لثيماً مالكا للمال، وفي ذلك يقول:

[الكامل]

وَالْأَفْقُ أَحْلَكَ مِنْ خَوَاطِرِ كَاسِبٍ بِالشَّعْرِ بِسْتَجْدِي اللَّئَامِ وَيَرْتَجِي

الوأواء: ديوانه، ص 263.

(2) المصدر السابق، ص 11.

(3) المصدر السابق، ص 15-16.

(4) هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان، كان سيّد بني حمدان وأميرهم، اتّصف بالقوة والشجاعة والكرم، خاض ضدّ الروم حروباً كثيرة، وكان أديباً بليغاً شاعراً يتذوق الشعر ويجزي عليه، فأقبل عليه الشعراء من كل حدب وصوب، حتى قيل إنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك -بعد الخلفاء- ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر. يُنظر: الثعالبي: يتيمة الدهر، 1/27-47.

(5) يُنظر: الطّباخ، محمد راغب بن محمود بن هاشم الحلبي: إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، تنقيح محمد كمال، ط2، حلب: دار القلم العربي، 1988، 1/231.

بلاطه، ويبدو أنه حصل منه على أموال باهظة من النوال والجزاء، تمكنه من العيش برفاهيّة ونعيم وترّف⁽¹⁾، وليس ذلك بغريب على سيف الدولة، فقد كان مهتمّاً بالشعر، مقدّراً للشعراء كريماً سخياً عليهم، وقد تعدّدت الروايات التي تثبت ذلك، منها أنه "أمر بضرب دنانير للصّلات، في كل دينار منها عشرة مثاقيل، وعليه اسمه وصورته"⁽²⁾، ومنها أنه أعطى شاعره المتنبّي ضيعةً بالمعرة اسمها (صف) هديةً له⁽³⁾.

وقد انقطع الواوَاء عن سيف الدولة بعد أن مدحه بثلاث قصائد، ولم تذكر كتب التاريخ السبب الذي دفعه إلى ذلك، ويبدو أنه عاد من حلب إلى مدينته دمشق، وأخذ ينعم بالأموال التي حصل عليها من ممدوحيه، فانقطع للعيش في الرياض، ومعاقره الخمر، وملاحقة الجوّاري والقيان والتغزل بهنّ.

مذهبه الديني:

على الرغم من أن كتب التراجم لا تعطي صورة واضحة جليّة عن المذهب الديني الذي كان الواوَاء يعتنقه، فإن شعره يشتمل على بعض الإشارات التي تكشف عن أنه كان يميل إلى المذهب الشيعي وينحاز إليه، ومن ذلك قوله في مدح العقيقي⁽⁴⁾:

[الخفيف]

((علوي)) من أهل بيت تعالوا،
دون أقدارهم، على ((الأقدار))
وقوله متغزلاً: (5)

[الكامل]

إنني سألتك بالنبّي محمد
و((وصيه)) ((الهادي)) الأمين ((المهتدي))

(1) تجدر الإشارة في هذا المقام إلى رأي الدكتور جويجاتي في هذه القضية فهو يرى أن الواوَاء لم يحصل من العقيقي والأمرير الحمداني إلا على النزر اليسير والشيء القليل من العطاء. يُنظر: جويجاتي: الواوَاء الدمشقي، ص 614-615.

(2) الثعالبي: يتيمة الدهر، 32/1.

(3) يُنظر: الطّبّاح الحلبي: إعلام النبلاء، 1/ 260-262.

(4) الواوَاء: ديوانه، ص 96.

(5) المصدر السابق، ص 89.

وقوله في البدر: (1)

[مجزوء الكامل]

ولهي عليه أشد من وله ((البتول)) على ((الحسين))
وقوله مادحاً: (2)

[المنسرح]

قُل لِسَمِيٍّ ((الوصي)): يَا ثَا نِي الْقَطْرِ، وَيَا ثَالِثَ الرَّبِيعِ
ويبدو أنه لم يكن من غلاة الشيعة المتشددين في تشيعهم، إذ لا يشتمل ديوانه على أشعار
سياسية تؤيد حق العلويين في الخلافة، وتدافع عن معتقداتهم وأفكارهم، وتسوق لها بين الناس.

ويرى كل من جمال زاهر وعصام لطفي أن الواواء لم يكن في يوم من الأيام معتقاً
للمذهب الشيعي، وعللاً ورود الألفاظ الشيعية في شعره بأنها محاولة منه لإرضاء ممدوحيه
المتشيعين (3)، لكن من ينظر نظرة متأنية متأمله فيها، يجد أنها لم ترد في مدائح حسب، وإنما
منها ما ورد في غزلياته، فكيف سيرضي ممدوحيه في شعره الغزلي؟

شعره:

لقد نظم الدمشقي شعراً كثيراً جاء على هيئة قصائد، ومقطوعات، وتنف (4)، وأبيات
مفردة، وقد جمعت هذه الأشعار في ديوان صغير الحجم، ذكره الثعالبي في يتيمة الدهر (5)، توفراً
على تحقيقه الدكتور سامي الدهان بدعم ورعاية من مجمع اللغة العربية بدمشق، لكنه لم يكتف

(1) الواواء: ديوانه، ص 238.

(2) المصدر السابق، ص 222.

(3) يُنظر: زاهر، جمال: شعر الواواء الدمشقي: دراسة فنية، ط 1، الإسكندرية: دار الوفاء لنشر والطباعة، 2007، ص 25-27. صباح، عصام لطفي: الصورة الفنية في شعر الواواء الدمشقي، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، 2011، ص 13.

(4) جمع تنفة، وهي مصطلح يستعمل إذا نظم الشاعر بيتين من الشعر لا ثالث لهم. يُنظر: أبو عمشة، عادل: العروض والقافية، ط 1، نابلس: مكتبة خالد بن الوليد، 1986، ص 38.

(5) يُنظر: الثعالبي: يتيمة الدهر، 288/1.

بالأشعارِ الوارِدَةِ في مَخْطُوطَاتِ الدِّيوانِ، فَذَيَّلَهُ بِالأَشْعَارِ المَنْسُوبَةِ إِلى الوأواءِ، التي لَمْ تَرِدْ في هذِهِ المَخْطُوطَاتِ، وَبِنَاءٍ عَلَيْهِ، فَإِذَا مَا أُجْرِيَ مَسْحُ إِحصَائِيّ بَسيطٌ لِهذِهِ الأَشْعَارِ، فَإِنَّهُ يَقُودُ إِلى أَنَّهَا تَتَأَلَّفُ مِنْ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ قَصِيدَةً، وَمِئَتَيْنِ وَتِسْعَ مَقْطُوعَاتٍ، وَثَمَانٍ وَثَمَانِينَ نُتْقَةً، وَبَيَّتَيْنِ اثْنَيْنِ مِنَ الأَبْيَاتِ المَفْرَدَةِ. وَهُنَا تَجَدُّرُ الإِشَارَةِ إِلى أَنَّ الوأواءَ "أكثر ما يجيد في البيت والبيتين لذلك قيل -الوَأَوَاءُ فِي مَقْطَعَاتِهِ أَشْعَرُ مِنْهُ فِي قِصَائِدِهِ-(1).

أَمَّا الأَعْرَاضُ وَالفنونُ الشَّعْرِيَّةُ التي طَرَقَهَا الوأواءُ فَهِيَ وَصْفُ الطَّبِيعَةِ، وَوَصْفُ مَظَاهِرِ الحَضَارَةِ، وَالمَدْحُ، وَالخَمْرُ، وَالعَزْلُ، وَلَهُ فِي الهِجَاءِ قَصِيدَةٌ وَاحِدَةٌ، وَفِي الفَخْرِ أَبْيَاتٌ قَلِيلَةٌ مَعْدُودَةٌ مُتَفَرِّقَةٌ فِي دِيوانِهِ. وَلَمْ يَنْظَمْ فِي الرِّثَاءِ وَالعَزْهِ وَالفِلسَفَةِ وَالسِّيَاسَةِ شَيْئاً.

آراءُ النُّقَّادِ وَالمُؤرِّخِينَ وَالأُدبَاءِ فِيهِ:

لَقَدْ أُعْجِبَ النُّقَّادُ وَالمُؤرِّخُونَ القُدَامَى بِالوَأَوَاءِ إِعْجاباً وَاضِحاً تَكشِفُ عَنْهُ آراؤُهُمْ وَأَقوالُهُمْ، وَمِنْ أَبرَزِها أَنَّ أبا منصورِ الثعالبيِّ وَصَفَهُ بِقولِهِ: "من حَسَنَاتِ الشَّامِ، وَصَاغَةَ الكَلَامِ ... وَما زالَ يَشْعُرُ حَتَّى جادَ شِعْرَهُ وَسارَ كَلامَهُ، وَوَقَعَ فِيهِ ما يروقُ، وَيَشوقُ وَيُفوقُ، حَتَّى يعلُو العَبُوقُ"(2) (3).

وَقَالَ عَنْهُ الصَّفَدِيُّ: "شاعِرٌ مَطبُوعٌ مَنْسَجَمُ الأَلْفاظِ عَذْبُ العِبارَةِ حَسَنُ الإِستِعارَةِ جَيِّدُ التَّشْبِيهِ"(4).

وَلَمْ يَقتَصِرِ الإِعْجابُ بِهِ عَلى القُدَماءِ، فَقدَ أُعْجِبَ بِهِ المُحَدِّثُونَ أَيضاً، حَيْثُ تَعَدَّدَتِ الآراءُ التي تَكشِفُ عَنْ تَميُّزِهِ وَشاعِرِيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ الفَنِّيَّةِ عَلى القَوْلِ، فَيَرى سَعُودُ عَبدِ الجابِرِ أَنَّه

(1) النكدي، عارف: الوأواءِ الدمشقي وديوانه، مجلة المجمع العلمي العربي (لغوية علمية تاريخية)، مج4، 1924، 344/8.

(2) العَبُوقُ "كوكب أحمر مضيء بحيال الثريا في ناحية الشمال، ويطلع قبل الجوزاء، سمي بذلك لأنه يعوق الدبران عن لقاء الثريا". ابن منظور: لسان العرب، القاهرة: دار الحديث، 2003، مادة (عوق).

(3) الثعالبي: يتيمة الدهر، 288/1.

(4) الصفدي: الوافي بالوفيات، 53/2.

"يعد من أشهر شعراء عصره في الخمریات والروضیات والغزل"⁽¹⁾، ويقول: "ومن شعراء الغزل الذين سُلِسَ غزلهم وجاشت عواطفهم الوأواء الدمشقي الذي يعد إمام الغزليين في بلاط سيف الدولة وكان بارعاً في تصوير تباريح العشق واللوعة"⁽²⁾.

وقد أُعجبَ مصطفى الشكعة بتشبيهاته، حيث يرى أنه "إذا ذكرت التشبيحات في الشعر العربي كانت تشبيحات الوأواء في الصدارة منها"⁽³⁾، ثم صرَّحَ عن إعجابه بغزله، من خلال قوله: "ومن شعراء الغزل الذين رقت عواطفهم وسلس غزلهم أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني الملقب بالوأواء الدمشقي وكانت له قدرة خارقة على تصوير اللوعة وذكر تباريح العشق"⁽⁴⁾.

وقد وُصِفَ شعرُهُ بأنه "شعر الصفاء، والرؤاء، والنعومة العاطفية والخيالية البعيدة عن كل تعقيد وتعسف. إنه شعر الجمال المركب تركيباً بديعاً وفناً وأناقة، وهو شعر السلاسة والسُهولة والذوق"⁽⁵⁾.

ويرى رفيق جويجاتي أن الوأواء كان "شاعراً ومفكراً معاً، ولهذا جاء شعره مزيجاً من الملهاة والمأساة: يطرق باب المدح فيمدح المُثَلَّ، فيما يتظاهر بمدح ذوي الجاه؛ ويطرق باب الرثاء"⁽⁶⁾، فيرثي تهافت المُثَلَّ على أرض الواقع الأليم؛ ويطرق باب الوصف، فيصف جمال الطبيعة وعبوسها، وفرحة الحبِّ وعنته، كما يصف الطباع: الكريم منها وغير الكريم؛ بريشة رسام متمعن ساخر معاً، متأنٍّ لاه معاً"⁽⁷⁾.

يُسْتَنْتَجُ من هذه الآراء أن الوأواء شاعرٌ مطبوعٌ مشهورٌ مُفَلِّقٌ، احتلَّ مكانةً مُتَقَدِّمةً في عالم الشعر، جعلت النقاد والدارسين يُعجبون به، ويُعلون من شأنه ومكانته.

(1) عبد الجابر، سعود محمود: الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1981، ص170.

(2) المرجع السابق، ص245.

(3) الشكعة، مصطفى: فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، القاهرة: مطبعة المعرفة، 1958، ص149.

(4) المرجع السابق، ص232.

(5) الفاخوري، حنا: الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص872.

(6) يبدو أن الأمور اختلفت على الدكتور جويجاتي، فقد أشرنا في الصفحة التاسعة من هذه الدراسة إلى أن الوأواء لم ينظم في فن الرثاء.

(7) جويجاتي: الوأواء الدمشقي، ص619.

الفصل الأول

الوصفُ في شعرِ الوأواءِ الدمشقيِّ

الفصل الأول

الوصفُ في شعرِ الوأواءِ الدمشقيِّ

يُعدّ الوصفُ أشملَ الأغراضِ الشعريّةِ التي عُرِفَت في الأدبِ العربيِّ، ويبدو أنّ ابنَ رَشِيْقِ القَيروانيِّ لاحظَ شموليّةَ هذا الفنِّ، واتّصالهَ معَ مُعظَمِ الأغراضِ الشعريّةِ، وارتباطهَ بها، فقال: "الشعرُ إلا أقله راجعٌ إلى باب الوصف، ولا سبيل إلى حصره واستقصائه"⁽¹⁾، وهو عمادُ أكثرِ الألوانِ الشعريّةِ وأساسها من هجاءٍ ورثاءٍ وغزلٍ وفخرٍ ومدحٍ⁽²⁾، وبناءٍ عليه فسيتحدّثُ الباحثُ في هذا الفصلِ عن غرضِ الوصفِ في شعرِ الوأواءِ الدمشقيِّ، الوصفِ بمعناه الشموليِّ العامِّ، الذي يتعلّقُ معَ غيره من الأغراضِ الشعريّةِ الأخرى، ويُشكّلُ أسسها وأساسها، حيثُ خصّصه لاستعراضِ مضامينِ هذا الغرضِ ومظاهره في شعره، وتحقيقاً لذلك جعله في أربعةٍ مباحثٍ، وذلك على النحو الآتي:

(1) ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني الأزدي: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط4، بيروت: دار الجيل، 1972، 294/2.

(2) عبد الجابر، سعود محمود: الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني، ص339.

المَبَحْثُ الْأَوَّلُ

وَصْفُ الطَّبِيعَةِ

لَقَدْ لَفَّتِ الطَّبِيعَةُ أَنْظَارَ الْإِنْسَانِ الْفَنَّانِ وَحَظِيَّتْ بِاهْتِمَامِهِ مُنْذُ بَدَأَ الْخَلِيقَةَ، فَسَعَى إِلَيْهَا "في حب وإعجاب ونشوة وذهول، فسكّر بجمالها، وانتشى بمحاسنها، واتخذها مثلاً يحتذيه، يصوره ويقلده بالأصوات أو بالألوان، فكان الرسام والنحات والموسيقي والشاعر. وكل منهم عمد إلى الأرض والسماء، والحيوان والنبات، والإنسان والماء، يرسمها بخياله ويصفها بفضه، فخلف في متاحف الفن صورة لإبداعه ومثلاً من خلقه"⁽¹⁾.

وَكَانَ الشُّعْرَاءُ الْعَرَبُ عَلَى رَأْسِ الْفَنَّانِينَ الَّذِينَ اهْتَمُّوا بِالطَّبِيعَةِ فِي مُخْتَلَفِ الْأَوْقَاتِ وَالْأَزْمَانِ، فَقَدْ أَكْثَرُوا مِنْ وَصْفِهَا وَالْحَدِيثِ عَنْ عَنَّاصِرِهَا وَأَجْزَائِهَا وَمُكُونَاتِهَا؛ تَعْبِيرًا عَنْ إِعْجَابِهِمْ وَفِتْنَتِهِمْ بِهَا، فَشَأً بِذَلِكَ فَنُ وَصَفِ الطَّبِيعَةِ فِي الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ. وَالْوَأَاءُ الدَّمَشْقِيُّ لَمْ يَكُنْ يَخْتَلِفُ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الشُّعْرَاءِ، فَقَدْ عَبَّرَ عَنْ إِعْجَابِهِ بِالطَّبِيعَةِ الْخَلَابَةِ الَّتِي تُحِيطُ بِهِ مِنْ خِلَالِ فَهِّ الشُّعْرِ، وَيُمْكِنُ تَصْنِيفُ الظَّوَاهِرِ الطَّبِيعِيَّةِ الَّتِي وَصَفَهَا عَلَى النَّحْوِ الْآتِي:

أَوَّلًا: وَصْفُ الرِّيَاضِ

لَقَدْ أَكْثَرَ الْوَأَاءُ الدَّمَشْقِيُّ مِنْ وَصْفِ الرِّيَاضِ، وَالبَسَاتِينِ، وَالْوُرُودِ، وَالْأَزْهَارِ بِمُخْتَلَفِ أَلْوَانِهَا، وَأَنْوَاعِهَا، وَأَصْنَافِهَا، كَالنَّرْجِسِ، وَالشَّقِيقِ، وَالبِنْفَسَجِ، وَالبِهَارِ، وَهَذَا لَيْسَ بِغَرِيبٍ عَلَى شَاعِرٍ عَاشٍ حَيَاةً لَاهِيَةً عَابِثَةً مَاجِنَةً، فِي بَيْئَةٍ مَنَحَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ وَالسُّحْرِ وَالبِهَاءِ الشَّيْءَ الْكَثِيرِ، فَقَدْ عَاشَ قِسْمًا مِنْ حَيَاتِهِ فِي مَدِينَةِ دِمَشْقَ، تِلْكَ الْمَدِينَةُ الَّتِي تَغْصُ بِالرِّيَاضِ وَالْوُرُودِ، فَقَدْ قَالَ عَنْهَا ابْنُ حَوْقَلٍ: "أَجَلُّ مَدِينَةٍ بِالشَّامِ فِي أَرْضِ مَسْتَوِيَةٍ، قَدْ دُحِيتَ بَيْنَ جِبَالٍ تَحْتَفُ بِهَا إِلَى مِيَاهٍ كَثِيرَةٍ وَأَشْجَارٍ وَزُرُوعٍ قَدْ أَحَاطَتْ بِهَا مُتَّصِلَةً"⁽²⁾، وَقَالَ عَنْهَا يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ: "هِيَ جَنَّةُ الْأَرْضِ بِلَا خِلَافٍ لِحَسَنِ عِمَارَةٍ وَنِضَارَةِ بَقْعَةٍ وَكَثْرِ فَاكِهِةٍ وَنِزَاهَةِ رَقْعَةٍ

(1) الدّهان، سامي وآخرون: الوصف، دار المعارف، ص5.

(2) ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي: صورة الأرض، بيروت-لبنان: منشورات دار مكتبة الحياة، (د.ت)، ص160.

وكثرة مياه ووجود مآرب⁽¹⁾، وقد قيل في تفسير (الربوة) في الآية الكريمة: «وَأَوْبَانَاهُمَا إِلَى رِبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ»⁽²⁾، قيل: "هي دمشق ذات قرار وذات رخاء من العيش وسعة ومعين كثيرة الماء"⁽³⁾، وجاء في تهذيب تاريخ دمشق الكبير أن "جنان الدنيا ثلاث: غوطة دمشق، ونهر سمرقند، ونهر الأبله، وقيل في الدنيا ثلاث: جنان مرو من خراسان، ودمشق من الشام، وصنعا من اليمن"⁽⁴⁾، ووردَ فيه أن الرّشيدَ كان يقول: الدنيا أربعة منازل، قد نزلت ثلاثة منها، احداها الرقة، والآخر دمشق، والآخر الري ... والمنزل الرابع سمرقند⁽⁵⁾.

وَعَاشَ الْوَأَوَاءُ -أَيْضاً- رَدْحاً مِنَ الزَّمَنِ فِي بِلَاطِ سَيْفِ الدَّوَلَةِ الحِمْدَانِيَّ فِي مَدِينَةِ حَلَبَ، وهي "مدينة عظيمة واسعة، كثيرة الخيرات، طيبة الهواء، صحيحة الأديم والماء"⁽⁶⁾، خصّها الله جلّ جلاله بشيءٍ من البركة والخصب والنماء والسحر والجمال، يُؤكّد ذلك قولُ ياقوت الحموي: "شاهدت من حلب وأعمالها ما استدلتت به على أن الله تعالى خصّها بالبركة وفضلّها على جميع البلاد، فمن ذلك أنه يزرع في أراضيها القطن، والسّمسم، والبطيخ، والخيار، والدخن، والكروم، والذرة، والمشمش، والتين، والتفاح عذياً، لا يسقى إلا بماء المطر، ويجيء مع ذلك رخصاً غضاً رويّاً، يفوق ما يسقى بالمياه والسيح⁽⁷⁾ في جميع البلاد، وهذا لم أره فيما طوّفت من البلاد في غير أرضها"⁽⁸⁾.

(1) الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي: معجم البلدان، تح: فريد عبد العزيز الجندي،

ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1990، 527/2.

(2) سورة المؤمنون، الآية (50).

(3) الحموي، ياقوت: معجم البلدان، 528/2.

(4) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي: تهذيب تاريخ دمشق الكبير، ترتيب: عبد القادر بدران،

ط2، بيروت: دار الميسرة، 1979، 253/1.

(5) المصدر السابق، 252/1.

(6) الحموي، ياقوت: معجم البلدان، 324/2.

(7) السّيح: الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض وجمعه أسياح. ابن منظور: لسان العرب، مادة (سيح).

(8) الحموي، ياقوت: معجم البلدان، 328/2.

وَمِمَّا سَاعَدَ عَلَى جَمَالِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ ، وَزَادَ مِنْ رَوْنِقِهَا وَسِحْرِهَا إِضَافَةً إِلَى لُطْفِ جَوْهَا،
كَثْرَةُ الْأَنْهَارِ الَّتِي تَخْتَرِقُ أَرْضِيهَا، وَعَلَى رَأْسِهَا قَوِيقُ، وَالْفِرَاتُ، وَالْعَاصِي، وَالْبَرْدَانُ، وَأَفَامِيَّة،
وَسِيحَانُ، وَجِيحَانُ، وَأَرْسِنَاسُ⁽¹⁾.

زِدْ عَلَى ذَلِكَ قُصُورَ الْخُلَفَاءِ وَالْأُمَرَاءِ وَالْوُزَرَءِ الْعَبَاسِيِّينَ الَّتِي كَانَتْ تُحِيطُ بِهَا الرِّيَاضُ
وَالْبَسَاتِينُ الْغَنَاءُ. وَتُغْرَسُ فِيهَا الْوَرُودُ وَالْأَشْجَارُ وَالْأَزْهَارُ⁽²⁾، حَيْثُ تَفَنَّنَ هُوَلاءِ فِي بِنَاءِ
الْقُصُورِ، إِلَى دَرَجَةٍ أَنْ بَعْضَهَا أَصْبَحَ يَشْبَهُ "مَدْنًا صَغْرَى تَمْتَلئُ بِالْأَبْنِيَّةِ، وَالْأَفْنِيَّةِ، وَالْأَسَاطِينِ،
وَالْقَبَابِ، وَالْبَسَاتِينِ، وَالْجَدَاوِلِ، وَالْبَرْكِ، وَالنَافُورَاتِ، مَعَ التَّنَاقُ فِي أَبْوَابِهَا، وَنَوَافِذِهَا، وَشَرَفَاتِهَا،
وَزَخْرَفَةِ حِيطَانِهَا بِالنُقُوشِ، وَالصُّورِ، وَتَعْلِيقِ السُّتَائِرِ الْحَرِيرِيَّةِ عَلَيْهَا، وَمَعَ مَا يَمُوجُ فِيهَا مِنْ
الْبَسِطِ، وَالسَّجَاجِيدِ، وَالطَّنَافِسِ، وَالْمَنَاضِدِ، وَالتَّحْفِ، الْمَرْصُوعَةِ بِالْجَوَاهِرِ"⁽³⁾، وَمِنْ أَسْطَعِ هَذِهِ
الْقُصُورِ وَأَبْرَزِهَا، قَصْرُ الْحَلْبَةِ "الَّذِي شِيدَهُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ فِي شِمَالِي مَدِينَتِهِ الْحَبِيبَةِ -أَيِ حَلْبِ-
وَجَعَلَ نَهْرَ قَوِيقٍ يَشْقَهُ مِنْ أَدْنَاهُ إِلَى أَقْصَاهُ. وَكَانَ هَذَا الْقَصْرُ مُحَاطًا بِأَسْوَارٍ عَالِيَةٍ، وَلَمْ يَكُنْ فِي
وَأَقَعَ الْأَمْرَ إِلَّا مَدِينَةً قَائِمَةً بِذَاتِهَا شَأْنُهُ فِي ذَلِكَ شَأْنِ بَقِيَّةِ الْقُصُورِ الْعَرَبِيَّةِ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ حَيْثُ
تَقَامُ الْمَبَانِي الْمَتَعَدَّةُ فِي وَسْطِ الْحَدَائِقِ الْغَنَاءِ"⁽⁴⁾.

وَقَدْ تَحَدَّثَ عَنْ هَذَا الْقَصْرِ Andre Devens، فَوَصَفَ "مَا يَحْوِيهِ مِنْ أُصْصٍ⁽⁵⁾ جَمِيلَةٍ
مَلِيئَةٍ بِالزُّهُورِ، وَالنَّبَاتَاتِ النَّضْرَةِ النَّادِرَةِ، وَالْبَرْكِ الَّتِي تَشْرَبُ مِنْهَا أَزْهَارُ اللَّيْنُوفِرِ وَالنَافُورَاتِ،
الَّتِي تَرْطِبُ الْهَوَاءَ بِرِذَاذِهَا الرُّطْبِ الْمَتَطَايِرِ... وَتِلْكَ الْبَسَاتِينُ الَّتِي تَطُوقُ الْقَصْرَ حَيْثُ يَتَفْتَحُ
الْوَرْدُ وَالنَّرْجِسُ وَاللُّوتْسُ وَالْيَاسْمِينُ"⁽⁶⁾.

(1) يُنْظَرُ: الشُّكْعَةُ، مِصْطَفَى: فُنُونُ الشُّعْرِ فِي مَجْتَمَعِ الْحَمْدَانِيِّينَ، ص 51-55.

(2) يُنْظَرُ: حَاوِي، إِيْلِيَا: فُنُونُ الشُّعْرِ الْخَمْرِيِّ وَتَطْوَرُهُ عِنْدَ الْعَرَبِ، بِيْرُوت: دَارُ التَّقَافَةِ، (د.ت)، ص 174.

(3) ضَيْف، شُوقِي: الْعَصْرِ الْعَبَاسِيِّ الثَّانِي، ط 2، الْقَاهِرَةُ: دَارُ الْمَعَارِفِ، 1975، ص 67.

(4) Schlumberger: **Un Empreur Byzantin an Dixieme siecle**, (Nicephor phocas) Paris, 1890,

224. نَقْلًا عَنْ: الشُّكْعَةُ، مِصْطَفَى: فُنُونُ الشُّعْرِ فِي مَجْتَمَعِ الْحَمْدَانِيِّينَ، ص 86.

(5) الْأُصْصُ: جَمْعُ أُصِصٍ، وَهُوَ الدَّنُّ الْمَقْطُوعُ الرَّأْسِ، وَقِيلَ: هُوَ الْبَاطِيئَةُ، وَقِيلَ: هُوَ أَدَاةُ كَهَيْئَةِ الْجَرِّ لَهُ عَرُوتَانِ يُحْمَلُ فِيهِ الطِّينُ. ابْنُ مَنْظُورٍ: لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (أُصْصُ).

(6) A.Devens: **Le Roman De L'Emir seif**, Paris, 1925, 24-28. نَقْلًا عَنْ: الشُّكْعَةُ، مِصْطَفَى: فُنُونُ

الشُّعْرِ فِي مَجْتَمَعِ الْحَمْدَانِيِّينَ، ص 87.

وفي هذه البيئة لا يستطيع المرء إلا أن يقف مُعجباً بهذا الجمال الفَنان، ومُتأملاً له، ومُعبراً عن فِنتته به، وهذا ما فعله الشاعرُ الدمشقي، فقد تفتت قريحته بفعل هذه الطبيعة عن أشعار كثيرة، وصف فيها الرياض والبساتين، وما يتخللها من مناظر وورود وأزهار وصفاً دقيقاً، في شعر يبث في النفس روح الحياة وسحرها، فرسم العديد من اللوحات الفنية التي تزيئها الألوان الفاتئة، والأنوار الساطعة، والحركة النشطة الدائبة، وهو بهذا لا يختلف عن غيره من شعراء عصره، حيث إنهم انصرفوا إلى الرياض والورود والأزهار، ووصفوا كل أنواعها وأصنافها بأوصاف بدیعة، إلى الدرجة التي دفعت سامي الدهان إلى القول الآتي: إن الطبيعة ظفرت في شعر الحمدانيين بنصر عظيم ونهضة طيبة⁽¹⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن أشعار الوأء في وصف الرياض والأزهار ضربان، ضرب على هيئة قصائد ومقطوعات مستقلة، خصصها له؛ تعبيراً عن إعجابه بهذه الطبيعة الخلابة الجميلة، وعن حبه لها وفنتته بها، وضرب آخر شكّل جزءاً من قصائده في المدح والغزل؛ كي يستولي على إعجاب المستمعين لهذه القصائد، ويؤكد لهم قدرته الشعرية.

فها هو ذا، في قصيدة مدح، يرسم صورة جميلة فاتنة ساحرة لرياض مليئة بالأزهار، فيبدأ بوصف نسيمها العليل الرطيب المنعش، وأثره في النفس، فهو يعيد الشيخ المشيب إلى شبابه، ثم يباشر في وصف فعل المطر بهذه الرياض، إذ اخضرت نباتاتها وورودها، وأزهرت، وبدت في غاية الروعة والجمال، ثم راح ينقش لوحةً فنيةً طبيعيةً من الأزهار التي رآها في تلك الروضة، فصور الرجس بعد أن تفتحت أزهاره بالعيون اللامعة، التي تظهر من خلال نقاب، ثم اعتمد على الصورة اللونية، فجعل الشقيق مصباحاً زاهراً مضيئاً مشعاً، ثم صورّه بالسهم المصنوعة من الزبرجد، بجامع اللون الأحمر المصفر، ويضيف لمحةً أخيرةً على هذه الصورة، بأن جعل البنفسج والبهار ينظران إلى ذلك الشقيق بارتياح ودهشة واستغراب؛ إعجاباً واستحساناً، يقول بعد أن ذكر خبر لقائه بمحبوبته:⁽²⁾

(1) يُنظر: الدهان، سامي وآخرون: الوصف، ص73.

(2) الوأء: ديوانه، ص12-13.

[الخفيف]

في رياض كأنها ليس ترضى
نم نمامها إلى روع قلبي
لو تصدى نسيمها لمشيب
دبج الغيث روضها مذ بدا يس
وغدا النرجس المفتح فيها
وشقيق تراه يسرج في الرو
كسها من الزبرجد قد رك
يجتليها بنفسج في حداد
باشتغالي بها عن الأحباب
أنه مؤمن له من عقاب
عاد منه إلى أوان الشباب
حب من فوقها ذيول السحاب
كعيون تطلعت من نقاب
ض إذا ما بدا بغير شهاب
ب فيها أزجة العباب
وبهار في صورة المراتب⁽¹⁾

والوأء يُكثر من الاعتماد على الألوان في وصفه للطبيعة ورياضها وبساتينها، إذ تحدت في إحدى لوحاته الفنية عن أثر سقوط الغيث على روضة من الرياض، حيث نبتت فيها الورود والأزهار بمختلف الألوان، فأصبحت هذه الروضة ثوباً مخططاً، نُقشت عليه ألوانٌ مُعددةٌ متنوعةٌ متداخلة، ثم يركز على وصف الشقائق التي نبتت في الأماكن المرتفعة فيصورها بالثياب الخضراء، ثم يصورها بعينٍ احمرت أجفانها، يقول: ⁽²⁾

[المنسرح]

وروضة راضها الندى فغدت
تنشر فيها يد الربيع لنا
كأنما انشق من شقائقها
ثم تبادت كأنها حدق
لها من الزهر أنجم زهر
ثوباً من الوشي حاكه القطر
على رباها مطارف خضر⁽³⁾
أجفانها من دماها حمر

(1) البهار: نبت طيب الريح، وقيل: هو العرار الذي يقال له عين البقر. ابن منظور: لسان العرب، مادة (بهر).

(2) الوأء: ديوانه، ص 101.

(3) المطارف: مفردا المطرف، والمطرف، وهي أردية من خزٍ مربعة لها أعلام. ابن منظور: لسان العرب، مادة (طرف).

ومرة أخرى تستثير الرياض والأزهار خيال الوأواء، فتمدّه -كعادتها- بصورة جميلة، حيث يبدو أنه لاحظ نزول الغيث على إحدى الرياض، فراح يتتبع الأثر الذي تركه فيها، من إنبات العديد من النباتات والأزهار المتعددة الألوان والأشكال، ومن الفرح والسرور والسعادة التي امتلأ بها الجو، وبذلك اكتست هذه الروضة حلة جديدة، وتزيّنت بزينة مميزة تلفت أنظار الناس، وتثير انتباههم، وتستوقفهم؛ ليتأملوا هذا الجمال الطبيعي الفان، وإن اختلفت نفسياتهم وطبائعهم، وقد ذكر الوأواء عدداً من أصناف هذه الأزهار مركزاً على إبراز ألوانها المتعددة، فمنها الأصفر، والأحمر، والأخضر، وبهذا كله بدت القصيدة قطعة واقعية مرئية من السجاد الجميل، المتعدد الألوان، وينكشف للقارئ ذلك في قول الوأواء: (1)

[الكامل]

كسّت السماء الأرض زهر نجومها	بألزهراً فاختلفت بكم مسبل
صاغ الغمام لها عيون جواهر	وأجاد جلوتها لعين المجتلي
فتأرججت وتبرجت واستوقفت	لحظ المجد وخطوة المستعجل (2)
فيها عيون كحل مبهوتة	كحلت بدمع الطل إذ لم تحل
وبها خدود أخلت فتعصفت	وبها ثغور ضحك لا تأتي
صفر وحمر كالمداهن أودعت	دمع الندى فحملن أحسن محمل (3)
شبه الخدود بعقب خطب مؤلم	أو شبيها من بعد خوف مؤجل
ألوانها شتى الفنون وإنما	غذيت بماء واحد من منهل

وفي لوحة جديدة، يصف الشاعر روضة أخرى، مركزاً على ما تشتمل عليه من أزهار، ولا سيما البهار والنجس والشقيق، ومحدثاً عن الأشجار وأوراقها، فمنها ما يتميل ويترنح يميناً وشمالاً بفعل النسيم، ومنها ما هو ثابت لا يتحرك، يقول: (4)

(1) الوأواء: ديوانه، ص 175-176.

(2) أرج المكان: انتشر فيه الطيب، وأرج الطيب أرجاً، وأريجاً: فاح. مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط. مادة (أرج).

(3) المداهن: جمع مدهن، وهو نقر في رؤوس الجبال يستنقع فيها الماء. ابن منظور: لسان العرب، مادة (دهن).

(4) الوأواء: ديوانه، ص 155-156.

[المتقارب]

أَدْرَ لَحْظَ عَيْنِكَ وَامْرِجَهُ فِي
تَرَى مَزُوجَ الْحُسْنِ فِي مُفْرَدٍ
إِذَا قَابَلَ الزَّهْرُ زَهْرَ الْخُدُودِ
بَهَارٌ بِهِرٌ بِهِ غَيْرَةٌ
فَإِذَا عَاشِقٌ دَبَّفَ خَائِفًا
مَدَاهِنُ يَحْمَلُنَ طَلَّ النَّدَى
يُنْظَمُ أَوْراقُهُمَا دُرَّةً
يَمِيلُ النَّسِيمُ بِأَغْصَانِهَا

مُرُوجَ الرِّيَاضِ تَجِدُهَا تَشْوِقُ
جَلِيلَ المَحَاسِنِ فِيهِ دَقِيقُ
فَأَيْنَ الخَلَاصُ! وَأَيْنَ الطَّرِيقُ!
عَلَى نَرَجِسٍ وَشَقِيقٍ شَفِيقُ
وَإِذَا خَجِلُ وَكَذَاكَ العَشِيقُ
فَهَاتِيكَ تَبْرٌ وَهَذَا عَقِيقُ
وَيَنْثُرُ مِنْهَا الَّذِي لَا يُطِيقُ
فَبَعْضُ نَشَاوَى وَبَعْضُ مُفِيقُ

وفي مقطوعة أخرى، يُشيرُ إلى الأوقاتِ الجميلةِ الممتلئةِ بالفرحِ والسُّرورِ والسَّعادةِ
والبهجةِ، التي قضاها في الرياضِ التي تَغصُّ بالأشجارِ والأزهارِ، فيصِفُ الأغصانَ المزيَّنةَ
بالأزهارِ وهي تتمايلُ وتترنحُ بفعلِ الرِّياحِ، وكأنَّها إنسانٌ ينتنَّى اختيالاً وإعجاباً بنفسه، يقول: (1)

[الخفيف]

زَمَنُ ضاحِكٍ وَرَوْضٌ جَدِيدُ
أَنْجُمُ الزَّهْرِ حَوْلَهَا فَتَراها
تَغْتَدِي لِلْعُيُونِ مِنْهَا عُيُونُ
تَتَنَتَّنَى مَعَ الرِّياحِ اخْتِيالاً
فَلَهَا كَلِّمًا تَتَنَّتْ وَصالُ
اسْتَقْتِي يا غُلامُ فَالعَيْشُ غَضُّ
لَا تَدَعُ عاجِلَ السُّرُورِ وَبادِرُ

وَغُصُونُ مُرْتَحَاتٍ تَمِيدُ
طالِعَاتٍ كَأَنَّهِنَّ سُوْعُودُ
وَتُلاقِي الخُدُودَ مِنْها خُدُودُ
بِغُصُونِ كَأَنَّهِنَّ فُودُودُ
وَلَهَا كَلِّمًا اسْتَقَامَتْ صُدُودُ
وَعيُونُ الخُطُوبِ عَنَّا رُقُودُ
فَعَساهُ يَعُودُ أَوْ لَأ يَعُودُ

(1) الواوَاء: ديوانه، ص74-75.

كما يتضح، فإنَّ هذه اللوحة الفنيَّة تَخصُّ بالمفرداتِ والأفعالِ الدَّالَّةِ على الحَرَكَةِ والنَّشاطِ والحياةِ الدَّائِبَةِ، فأضفتُ عَلَيْهَا مِسْحَةَ جَمالٍ أُخرى، وَبَعَثْتُ فِيهَا رُوحَ الحَيَاةِ، والمُفْرَدَاتُ هِيَ: (ضاحك، وتميد، وتغندي، وتلاقي، وتنتهي، وتنتت، واستقامت، ومترنحات، وطالعات).

وَعَلَى عَادَةِ الشُّعراءِ فِي الحَدِيثِ عَنِ الخَمْرِ واحْتِسابِها فِي جوِّ الطَّبِيعَةِ بَيْنَ الرِّياضِ والورودِ والأزهارِ⁽¹⁾، فَإِنَّ الوأواءَ فِي نِهايَةِ المَقطُوعَةِ السَّابِقَةِ يَطْلُبُ مِنْ غُلامِهِ أَنْ يَغْتَنِمَ الفُرْصَةَ، فَرِصَةَ جَمالِ الرِّياضِ وتَعَدُّدِ أَزهارِها، وإِقامَتِهِ فِي جوِّ الرِّبيعِ، وَذلكَ بِأَنَّ يُقَدِّمَ لَهُ الخَمَرَ والشَّرابَ.

وَيَبْدُو أَنَّ الرِّياضَ كَانَتِ المَكانَ الأَكثَرَ مِلاءِمَةً للوَأواءِ مِنْ أَجْلِ مُعاقَرَةِ الخَمْرِ، حَيْثُ لا يَحِلُّ لَهُ الشَّرابُ إِلا فِيها، بَيْنَ الورودِ والأزهارِ والأشجارِ، وَتَحْتَ ظِلِّها الوارِفةِ، فَها هُوَ ذا يَصِفُ رُوضَةً اجْتَمَعَ فِيها مَعَ مَنْ يَعْشَقُ، فَيَصوِّرُ حَالَ الطيُورِ وَهي تَتَشاجَرُ وتَتَقانَلُ فِي أَعاليِ الأشجارِ، وتَنقُلُ مِنْ غُصنٍ إِلى آخَرَ، وَيُصوِّرُ الزَّهَرَ الأَبيضَ الَّذِي يَنْبُتُ عَلى هَذِهِ الأَغْصانِ بالجِواهرِ والقِطَعِ الثَّمِينَةِ الجَمِيلَةِ الأَلوانِ، وَيَشبُههُ طيُورَ القَمارِيِّ⁽²⁾ والبِلابِلِ بالقيانِ التِّي تُغْني وَتُرْجِعُ فِي صَوْتِها، فَتُطْرِبُ المُسْتَمِيعِينَ، ثُمَّ جَعَلَ أَوراقَ الأشجارِ سَتائِرَ تُخْفِي مَنْ احْتَمَى بِها وَتُغْطِيهِ، وَفي ظِلِّ هَذِهِ الحالِ تَهَيَّأَتِ الطُّروفُ لَهُ لِشَرَبِ الخَمْرِ، فَشَرَبَها وَحَقَّقَ مُبْتَغاهُ، يَقولُ:⁽³⁾

[الطويل]

ذُرِّي شَجَرٍ لِلطَّيْرِ فِيهِ تَشاجِرُ كَأَنَّ صُنُوفَ النُّورِ فِيهِ جِواهِرُ
كَأَنَّ القَمارِيِّ والبِلابِلِ بَيْنَنا قِيانٌ وَأوراقُ الغُصُونِ سَتائِرُ
شَرَبْنا عَلى ذاكِ التَّرمِّمِ قَهْوَةً كَأَنَّ عَلى حافَتِها الدُّرُّ دائِرُ

(1) يُنظر: نوفل، سيد: شعر الطبيعة في الأدب العربي، ط2، مصر: دار المعارف، 1978، ص286.

(2) القَمارِيُّ: مفردهُ القَمَرِيُّ، وَهُوَ طائِرٌ يَشبُه الحَمامَ. ابن منظور: لسان العرب، مادة (قمر).

(3) الوأواء: ديوانه، ص114.

وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ حَالُ الْوَأْوَاءِ حَسْبَ، بَلْ هِيَ حَالُ شَارِبِي الْخَمْرِ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ بِأَسْرِهِ،
إِذْ شَاعَ أَنْ يَلْتَقُوا فِي مَنَزَرِهِ جَمِيلٍ، تَحِيَّطٌ بِهِ الْبَسَاتِينُ وَتَزِينُهُ الزُّهُورُ، حَتَّى غَدَا ارْتِيَادِ الرِّيَاضِ
الْجَمِيلَةِ وَجَهًا مِنْ وَجُوهِ أَدَبِ الْخَمْرَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ⁽¹⁾.

وَيُكْرَرُ الْوَأْوَاءُ هَذِهِ الْفِكْرَةَ فِي مَقْطُوعَةٍ أُخْرَى، وَيُضْمَنُهَا وَصْفًا لَزَهْرِ النَّرْجِسِ، فَيَطْلُبُ
مِنْ غَلَامِهِ أَنْ يُقَدِّمَ لَهُ كَأْسَ الْخَمْرِ فِي الرَّوْضَةِ الَّتِي يَقْضِي فِيهَا أَوْقَاتَهُ بِفَرَحٍ وَسُرُورٍ مُسْتَمْتَعًا
بِأَزْهَارِهَا، وَكَأَنَّ هَذِهِ الْأَزْهَارَ، وَمِنْ بَيْنِهَا النَّرْجِسُ، تَحْتُهُ عَلَى شَرْبِ الْخَمْرِ وَالْمُدَاوِمَةِ عَلَيْهَا، ثُمَّ
يَصِفُ النَّرْجِسَ، وَأَثَرَ سَقُوطِ الْغَيْثِ فِيهِ وَصَفًا جَمِيلًا، حَيْثُ صَوَّرَهُ وَهُوَ شَامِخٌ، وَأَزْهَارُهُ مُتَفَتِّحَةٌ،
فَجَعَلَهُ إِنْسَانًا مَسْرُورًا مُبْتَهَجًا بِسَقُوطِ الْغَيْثِ، وَصَوَّرَ حُبِّيَّاتِ الْمَطَرِ الْعَالِقَةِ عَلَى أَوْراقِهِ بِالْذُمُوعِ
الَّتِي تَكَادُ تَنْسَاقُطُ مِنْ أَجْفَانِ عَاشِقٍ مَهْجُورٍ، يَقُولُ: ⁽²⁾

[البسيط]

رُضْ يَا غُلَامَ عَلَى الرَّوْضِ النَّضِيرِ لَنَا كَأْسَ الْمُدَامِ وَدَاوِمَ رَنَّةِ الزَّيْرِ
أَمَا تَرَى النَّرْجِسَ الْمَيَّاسَ يَلْحَظُنَا لِحَاظَ ذِي جَذَلٍ بِالْغَيْثِ مَسْرُورِ
كَأَنَّ أَحْدَاقَهُ فِي حَسَنِ صُفْرَتِهِ مَدَاهِنُ التَّبْرِ فِي أَوْراقِ كَافُورِ
كَأَنَّ طَلَّ النَّدى فِيهِ لِمُبْصِرِهِ دَمْعٌ تَحْيَّرَ فِي أَجْفَانِ مَهْجُورِ

والرياضُ ليست مكاناً لشربِ الخمرِ وحسب، وإنما هي مكانٌ مُلائمٌ -في شعرِ الوأواءِ-
لإقامةِ مجالسِ اللُّهُوِّ وَالْعَبَثِ وَالْمُجُونِ، وَالْقَصْفِ وَخَلْعِ الْعِذَارِ، وَالِاسْتِمَاعِ إِلَى الْغِنَاءِ وَالْمُوسِيقَى
وَالْأَلْحَانِ الشَّجِيَّةِ، يَقُولُ: ⁽³⁾

[مجزوء الخفيف]

وَحَدِيثٌ كَأَنَّهُ أَوْبَةً مِنْ مُسَافِرِ
كَانَ أَحْلَى مِنَ الرُّقَا دِ عَلَى جَفْنِ سَاهِرِ

(1) حاوي، إيليا: فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب، ص 266.

(2) الوأواء: ديوانه، ص 121-122.

(3) المصدر السابق، ص 100.

بِتُّ أَلْهُو وَبَطِيْبُهُ فِي رِيَاضِ زَوَاهِرِ
بَيْنَ سَاقٍ وَسَامِرِ وَمَعْنٍ وَزَامِرِ

ويُرَكِّزُ الوَأْوَاءُ عَلَى وَصْفِ النَّرْجِسِ، أُبْهَى زَهْرِ الشَّامِ، فَهِيَ هِيَ ذَا يَصِفُ نَرْجِسَةً رَأَاهَا فِي إِحْدَى الرِّيَاضِ وَهِيَ مَائِلَةٌ بِفِعْلِ تَرَاكُمِ قَطْرَاتِ الْمَطَرِ عَلَيْهَا، وَقَدْ تَفَتَّحَتْ أَزْهَارُهَا وَتَضَجَّتْ، حَيْثُ صَوَّرَهَا بِنِسَانٍ يَنْظُرُ إِلَى مَا يَفْعَلُهُ الْغَيْثُ عِنْدَ سَقُوطِهِ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ، بِدَهْشَةٍ وَاسْتِعْرَابٍ، وَعَيْنَاهُ مُحَدَّقَتَانِ بَاهِتَتَانِ، يَقُولُ: (1)

[المنسرح]

نَرْجِسَةٌ لَمْ تَزَلْ مُحَدَّقَةً لَمْ تَكْتَحِلْ قَطُّ لَذَّةَ الْغَمَضِ
أَمَالِهَا الْقَطْرُ فَهِيَ بَاهِتَةٌ تَنْظُرُ فِعْلَ السَّمَاءِ بِالْأَرْضِ

وَوَصَفَ فِي مَقْطُوعَةٍ أُخْرَى نَرْجِسًا مُعْتَدِلَ الْقَوَامِ، وَأَبْرَزَ رَائِحَتَهُ الذِّكِيَّةَ، وَهِيَ تَنْتَشِرُ فِي الْجَوِّ كَعَبْقِ الْعِطْرِ الْفَوَّاحِ، يَقُولُ: (2)

[المنسرح]

وَنَرْجِسٌ لِلنَّسِيمِ مُعْتَبِقٌ يَسْهَرُ طَبْعًا وَمَا بِهِ أَرْقُ
كَأَنَّهُ وَالْقَوَامُ مُعْتَدِلٌ وَفِي الْمَآقِي مِنْ عِطْرِهِ عَبِقُ
أَجْفَانُ دُرٌّ عَلَى ذُرَى قَصَبٍ تَقَطَّرُ مِسْكًَا وَمَا بِهَا عَرَقُ

وَأَعْجَبَ الْوَأْوَاءُ بِوَرْدَةٍ بَيْضَاءَ، فَشَبَّهَهَا بِإِنَاءِ فِضَّةٍ يَشْتَمِلُ عَلَى فُتَاتِ الذَّهَبِ وَقَطَعَهُ الصَّغِيرَةَ الَّتِي تَنْسَاقُ مِنَ الْقِطْعِ الْكَبِيرَةِ عِنْدَ صُنْعِهَا وَصَقَلِهَا وَتَشْكِيلِهَا، يَقُولُ: (3)

[مجزوء الرجز]

يَا حُسْنَهَا مِنْ وَرْدَةٍ بِيضَاءَ جَاءَتْ بِالْعَجَبِ
كَجَامِ بَلَّورٍ بِهِ قُرَاضَةٌ مِنَ الذَّهَبِ (4)

(1) الوأواء: ديوانه، ص 136-137.

(2) المصدر السابق، ص 167-168.

(3) المصدر السابق، ص 261.

(4) القراضة: ما سقط من الشيء بالقرض، أي القطع، ومنه قراضة الذهب. ابن منظور: لسان العرب، مادة (قرض).

وَقَدْ فُتِنَ بِزَهْرِ الْبِنْفَسِجِ، لَا سِيَّمَا لَوْنَهُ، حَيْثُ رَكَّزَ عَلَيْهِ، فَجَعَلَهُ كَلْهَيْبِ النَّارِ الْمُشْتَعِلَةِ،
بِجَامِعِ اللَّوْنِ الْأَحْمَرِ الْخَمْرِيِّ الْمُمْتَزَجِ بِالصُّفْرَةِ وَالزَّرْقَةِ، يَقُولُ: (1)

[الكامل]

وبدا البنفسجُ لي فقلتُ لخاطري في وصفه كأنَّ نارَ في إيقادِها
حكَّتِ التَّكْوِلَ بِخَدِّهَا أَوْراقَهُ وحكى لدى التشبُّيهِ صِبْغَ حَدَادِها
وَبَدَتْ بِزَرْقَةِ بَعْضِهِ خَمْرِيَّةً فكأنَّها في اللَّوْنِ لَوْنُ فُؤادِها
وَأَعْجَبَ -أَيْضاً- بِشَقَائِقِ النُّعْمَانِ، فَوَصَفَها وَصْفًا دَقِيقًا، حَيْثُ صَوَّرَها بِالسَّرَّاجِ الزَّاهِرِ
الذي يضيءُ الرِّياضَ في اللَّيْلِ، وَذَلِكَ لِشِدَّةِ بَرِيقِها وَلَمَعانِها، ثُمَّ وَصَفَ شَكْلَها وَقِوامِها، فَجَعَلَهَا
تارَةً أَلْفَاتٍ، كنايةً عن شموخِها وارتفاعِها وِعدمِ تَفْتِحِ أَزهارِها، وتارةً أُخْرى لِاماتٍ، كنايةً عن
انثائِها ونُضجِها وَتَفْتِحِ أَزهارِها، وَكَانَها لا تَسْتَطِيعُ الاستمرارَ في الشُّموخِ نَظراً لِثِقَلِ رَأْسِها
(أزهارها)، وَيُلاحِظُ مِنْ هَذِهِ الأبياتِ تَأَثَّرَ الشَّاعِرِ بِفَنِّ الكِتابَةِ، وَذَلِكَ مِنْ خِلالِ اسْتِعْمالِ بَعْضِ
مُصْطَلَحاتِهِ وَمُفْرَداتِهِ (الألفات، واللامات)، يَقُولُ: (2)

[الخفيف]

في رِياضِ تَريكِ في اللَّيْلِ مِنْها سُرْجاً مِنْ شَقائِقِ النُّعْمانِ
كَتَبَتْها أَيْدِي السَّحابِ بِأَقْلا مِ دُمُوعِ عَلى طُرُوسِ المِغاني
أَلْفاتٍ مُؤَلَّفاتٍ وَلاماتٍ تِ تَكُونُ مِنْ ضَميرِ المِغاني
يَتَّضِحُ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ الوَأواءَ وَصَفَ الرِّياضَ، وَالرُّودَ، وَالأزهارَ بِمُخْتَلَفِ أنواعِها
وَأَصنافِها، وَاعْتَمَدَ في ذَلِكَ عَلى الصُّورَتَيْنِ اللَّونِيَّةِ البَصْرِيَّةِ، وَالشَّمِيَّةِ، وَكَانَها يَعشِقُ الطَّبِيعَةَ
وَأزهارِها؛ لِأَنَّها تُرضِي عَينِها بِالألوانِ الخالِبةِ المُتعدِّدةِ المُتنوعَةِ التي تَشتمِلُ عَليها، وَتُرضِي
أَنفَهُ الذي يَسْتَنشقُ تلكَ الرِوائِحَ العَطرَةَ الفِواحةَ التي تَنْتَشِرُ في الجِوِّ، وَيَتَّضِحُ كَذَلِكَ أَنَّه كَثِيرًا ما

(1) الوأواء: ديوانه، ص 91.

(2) المصدر السابق، ص 245.

كَانَ يَمَزِجُ وَيَدْمِجُ بَيْنَ رَوْضِيَّاتِهِ وَخَمْرِيَّاتِهِ، فَيَصِفُ الرِّيَاضَ، وَالْأَزْهَارَ، وَالْبَسَاتِينَ الَّتِي تَجْمَعُهُ مَعَ نَدْمَائِهِ فِي مَجْلِسِ شَرَابٍ.

ثانياً: وصف الكواكب والنجوم

لَقَدْ أَمَعَنَّ الوَأْوَاءُ الدَّمَشْقِيَّ فِي وَصْفِ الكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ، حَيْثُ وَصَفَهَا وَصْفًا دَقِيقًا مُحْكَمًا، فَذَكَرَ البَدْرَ، وَالهِلَالَ، وَالْمَرِيخَ، وَالْجُوزَاءَ، وَالثُّرَيَّا، وَقَدْ اعْتَمَدَ فِي وَصْفِهَا عَلَى العَدِيدِ مِنَ الصُّورِ اللَّافِتَةِ، وَعَلَى بَعْضِ الحَقَائِقِ العِلْمِيَّةِ الَّتِي تَتَّصِلُ بِعِلْمِ الفَلَكِ وَالنُّجُومِ، وَيُسْتَشْفَى مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مُتَّقِفًا ثَقَافَةً عَصْرِهِ، مُتَمَكِّنًا مِنْ هَذَا العِلْمِ الَّذِي تَطَوَّرَ فِي العَصْرِ العَبَّاسِيِّ تَطَوُّرًا كَبِيرًا، وَبَلَغَ مَبْلَغًا عَظِيمًا مِنَ الرِّقِيِّ وَالازْدَهَارِ، وَلَا سِيَّمَا فِي القَرْنِ الرَّابِعِ الهِجْرِيِّ، حَيْثُ ظَهَرَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الفَلَكِيِّينَ المَشْهُورِينَ، أَمْثَالُ البَتَّانِيِّ، وَأَبِي الوَفَاءِ البُوزْجَانِيِّ، وَالبَيْرُونِيِّ، كَمَا ابْتَكُرَتِ العَدِيدُ مِنَ الآلَاتِ الفَلَكِيَّةِ المُتَطَوِّرَةِ الَّتِي مَكَّنَتْهُ مِنَ الاسْتِوَاءِ عَلَى سِوَاهِ بَعْضِ الشَّيْءِ⁽¹⁾.

وَتَجَدَّرُ الإِشَارَةَ إِلَى أَنَّ أَشْعَارَ وَصْفِ الكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ فِي شِعْرِ الوَأْوَاءِ قِسْمَانِ: قِسْمٌ عَلَى هَيْئَةِ أَشْعَارٍ خَاصَّةٍ مُسْتَقِلَّةٍ بِوَصْفِهَا، وَقِسْمٌ يُشَكِّلُ جُزْءًا مِنْ قِصَائِدِهِ فِي المَدْحِ وَالخَمْرِ وَالغَزْلِ.

وَبِمَا أَنَّ النُّجُومَ نَقَطٌ مُضِيئَةٌ لِامِعَةِ تَظْهَرُ فِي السَّمَاءِ بَعْدَ أَنْ تَغِيْبَ الشَّمْسُ⁽²⁾، فَإِنَّ الوَأْوَاءَ صَوَّرَهَا فِي قِصِيدَةِ غَزَلٍ تَحَدَّثَ فِيهَا عَنِ السَّمَاءِ وَنُجُومِهَا وَالجَوِّ العَامِّ الَّذِي التَّقَى فِيهِ بِمَحْبُوبَتِهِ، صَوَّرَهَا بِعَيُونِ لَامِعَةٍ مُشْرِقَةٍ لِشَخْصٍ مِنَ الجِنْسِ الرُّومِيِّ، قَدْ وُضِعَتْ فِي مَحَاجِرِ زَنْجِيٍّ أَسْوَدَ، حَيْثُ يَجْمَعُ السَّوَادُ بَيْنَ هَذِهِ المَحَاجِرِ وَاللَّيْلِ، يَقُولُ:⁽³⁾

[الخفيف]

وَكَأَنَّ النُّجُومَ أَحْدَاقُ رُومٍ رُكِبَتْ فِي مَحَاجِرِ السُّودَانِ

(1) يُنظَرُ: أمين، أحمد: *ظهر الإسلام*، ط5، بيروت: دار الكتاب العربي، 1969، 192/2. بروكلمان، كارل: *تاريخ الأدب العربي*، ترجمة: يعقوب بكر ورمضان عبد التَّوَّابِ، ط3، القاهرة: دار المعارف، 1983، 195/4-229.

(2) يُنظَرُ: الزِّيَادِي، عبد الفتاح: *الأجرام السماوية*، ط1، مصر: مطبعة العلوم بشارع الخليج بجنيَّة لَاز، 1936، ص26.

(3) الوَأْوَاءُ: ديوانه، ص243.

وَكثِيرًا مَا كَانَ يَسْتَحْضِرُ الشَّمْسَ، وَالْقَمَرَ، وَالْبَدْرَ عِنْدَ تَغْرُلِهِ بِالْمَحْبُوبَةِ، لِإِظْهَارِ جَمَالِهَا،
وَإِشْرَاقِ بَشْرَتِهَا، وَنَضَارَتِهَا، وَبَيَاضِهَا، كَقَوْلِهِ: (1)

[المجتث]

حَازَ الْكَمَالَ فَأَضْحَى بَدْرُ الْبَدْرِ يَحْكِيهِ
وَلَمَّا كَانَ الْوَأْوَاءُ يَدْمِجُ بَيْنَ الْخَمْرِ وَالطَّبِيعَةِ، فَإِنَّهُ طَلَبَ مِنْ غَلَامِهِ أَنْ يُقَدِّمَ لَهُ الْخَمْرَ فِي
جَوِّ الطَّبِيعَةِ، ثُمَّ رَاحَ يَصِفُ النُّجُومَ الَّتِي تُحِيطُ بِالْبَدْرِ وَسَطَ السَّمَاءِ مِنْ مُخْتَلَفِ الْجِهَاتِ، حَيْثُ
يُصَوِّرُهَا بِالْأَرْهَارِ الْمُتَنَائِرَةِ فِي إِحْدَى الرِّيَاضِ، وَيُصَوِّرُ الْبَدْرَ فِي وَسْطِهَا بِالصَّبَاحِ الْمُضِيِّ
الْمُنِيرِ اللَّامِعِ، يَقُولُ: (2)

[الخفيف]

صَاحَ هَاتِ الْعُقَارَ حَمْرَاءَ كَأَنَّا رِ وَدَعْنِي مِمَّا يَقُولُ الْعَذُولُ
مَا تَرَى اللَّيْلَ كَيْفَ قَدْ غَلَبَ الصُّب حَ وَقَدْ أَقْبَلَ النَّسِيمُ الْعَيْلُ
وَكَأَنَّ النُّجُومَ وَالْبَدْرَ أَزْهَاهَا رُ رِيَاضٍ فِي وَسْطِهَا قَنَدِيلُ
وَفِي لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي إِحْدَى السَّنِينَ الْمُجْدِبَةِ الْقَاحِلَةِ، تَتَّبَعُ الْوَأْوَاءُ النُّجُومَ فِي وَسْطِ السَّمَاءِ
شَرْقًا وَغَرْبًا فَوَجَدَهَا قَلِيلَةً، وَعَلَى قَلَّتِهَا مُتَفَرِّقَةً مُتَنَائِرَةً فِي الْجَوِّ، فَصَوَّرَهَا بِنَرَجِسٍ مُتَنَائِرٍ فِي
أَرْجَاءِ إِحْدَى الرِّيَاضِ، بِجَامِعِ الضِّيَاءِ وَالْإِشْرَاقِ، يَقُولُ: (3)

[الرجز]

رُبَّ نَجُومٍ فِي زَمَانٍ أَوْرَقٍ رَاعِيئُهَا فِي مَغْرِبٍ وَمَشْرِقٍ (4)
كَأَنَّهَا مِنْ حَجَلٍ لَمْ تُطْرَقِ أَوْ نَرَجِسٍ فِي رَوْضَةٍ مُفْرَقِ

(1) الوأواء: ديوانه، ص253.

(2) المصدر السابق، ص184.

(3) المصدر السابق، ص163.

(4) عام أَوْرَقُ: لا مطر فيه، والجمع وُرُق. ابن منظور: لسان العرب، مادة (ورق).

وفي قصيدة مدح، صَوَّرَ الشَّاعِرُ النُّجُومَ وَقَدَ أَحْطَنَ بِالْبَدْرِ فِي جَوِّ السَّمَاءِ، بَدْرَاهِمَ التَّفَتِّ حَوْلَ الدِّينَارِ، أَيِ البدرِ، ثُمَّ جَعَلَ هَذِهِ النُّجُومَ اللَّامِعَةَ عَيْونًا تَنْظُرُ إِلَى ذَلِكَ البدرِ بِدَهْشَةٍ وَاسْتِعْرَابٍ، وَرَبَّمَا قَصَدَ مِنْ هَذِهِ الصُّورَةِ التَّعْرِيزَ بِطَلَبِ المَالِ مِنْ مَمْدُوحِهِ، مِنْ خِلَالِ اسْتِعْمَالِ مُفْرَدَاتِ (الدراهم، والدنانير)، وَلَعَلَّهُ -أَيْضًا- أَرَادَ أَنَّ مَمْدُوحَهُ كَالْبَدْرِ فِي تَمَيُّزِهِ وَإِشْرَاقِهِ، وَأَنَّ الشُّعْرَاءَ المَدَّاحِينَ المُنْدَهَشِينَ مِنْ صِفَاتِهِ مُتَقَفِّينَ حَوْلَهُ كَالنُّجُومِ، يَقُولُ: (1)

[الخفيف]

وَنُجُومٌ مِثْلُ الدَّرَاهِمِ أَحَدَقُ نَ بَبَدْرِ فِي الجَوِّ كَالدِّينَارِ
بَاهِتَاتٌ كَأَنَّهِنَّ عَيْونٌ نَاطِرَاتٌ مِنْهَا بِلا أَشْفَارِ

وفي مقطوعة أخرى صَوَّرَ النُّجُومَ لَوْلُؤًا عَظِيمًا لَامِعًا مُتَنَائِرًا عَلَى أَرْضٍ مَرصُوفَةٍ بِالحِجَارَةِ الكَرِيمَةِ الزَّرْقَاءِ المَائِلَةِ إِلَى الخُضْرَةِ، ثُمَّ جَعَلَ هَذِهِ النُّجُومَ، وَهِيَ تَلْمَعُ مِنْ خِلَالِ السَّحَابِ، شَررًا يَتَطَايَرُ فِي الجَوِّ مُنْبَعِنًا عَنِ احْتِرَاقِ نَبَاتِ العَرَفِجِ (2)، وَعَبَّرَ عَنِ هَذِهِ الصُّورَةِ فِي قَوْلِهِ: (3)

[الكامل]

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالنُّجُومَ كَأَنَّهَا دُرٌّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الفَيْرُوزِ
يَلْمَعْنَ مِنْ خَلَلِ السَّحَابِ كَأَنَّهَا شَررٌ تَطَايَرُ عَنِ يَبِيسِ العَرَفِجِ

وَوَصَفَ الوَأوَاءَ البدرِ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَشْعَارِهِ، فَهِيَ هِيَ ذَا يَرَسُمُ لَهُ صُورَةً فِي أَوَّلِ طُلُوعِهِ، وَيُشَبِّهُهُ بِوَجْهِ مُضِيٍّ مُشْرِقٍ، يُخْفِي صَاحِبَهُ جُزْءًا مِنْهُ بِلِثَامٍ يَلْبَسُهُ، فَلَا يَنْكَشِفُ مِنْهُ إِلَّا الشَّيْءُ البَهِيمُ؛ وَلِتَأْكِيدِ هَذِهِ الصُّورَةِ وَتَرْسِيخِهَا فِي الذِّهْنِ، جَعَلَ ذَلِكَ الوَجْهَ المُلْتَمَّ وَكَأَنَّهُ خُوذَةٌ مِنْ فِضَّةٍ،

(1) الوأواء: ديوانه، ص 95.

(2) العرفج والعرفج: نبت، وقيل: هو ضرب من النبات سهلي سريع الانقياد، واحدته عرفجة، وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه - خرج كأن لحيته ضرام عرفج؛ فسر بأنه شجر معروف صغير سريع الاشتعال بالنار، وهو من نبات الصيف. ابن منظور: لسان العرب، مادة (عرفج).

(3) الوأواء: ديوانه، ص 263.

بِجَامِعِ الضِّيَاءِ وَالْإِشْرَاقِ وَاللَّمَعَانِ، قَدْ وُضِعَتْ فِي هَامَةِ مِنَ الْعَنْبْرِ الْأَسْوَدِ اللَّوْنِ، وَذَلِكَ يَعْنِي أَنَّهُ صَوَّرَ اللَّيْلَ بِاللَّثَامِ الْأَسْوَدِ تَارَةً، وَتَارَةً أُخْرَى بِمَادَةِ الْعَنْبْرِ، يَقُولُ: (1)

[الكامل]

وَالْبَدْرُ أَوَّلَ مَا بَدَأَ مُتَلَثِّمًا يُبْدِي الضِّيَاءَ لَنَا بِخَدِّ مُسْفِرٍ
فَكَأَنَّمَا هُوَ خُوذَةٌ مِنْ فِضَّةٍ قَدْ رُكِبَتْ فِي هَامَةٍ مِنْ عَنْبَرٍ

وَأَعْجَبَ الْوَأَوَاءُ فِي الْبَدْرِ عِنْدَ تَمَامِهِ وَاكْتِمَالِهِ، فَجَعَلَهُ عَاشِقًا مَسْرورًا سَعِيدًا خَرَجَ لِلْقَاءِ مَعْشُوقَتِهِ الشَّمْسِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْهَا فِي الْمَكَانِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ، فَعَادَ مَكْسُوفًا مَخْذُولًا مِنْ حَيْثُ أَتَى، وَلَمْ يَظْهَرْ إِلَّا بَعْدَ فَنَزَةٍ مِنَ الْغِيَابِ، وَفِي هَذِهِ الصُّورَةِ كِنَايَةٌ عَنِ انْتِهَاءِ شَهْرٍ وَابْتِدَاءِ آخَرَ، يَقُولُ: (2)

[المنسرح]

مَنْ لَمْ يَرَ الْبَدْرَ لَا يَرَى عَجْبًا فِي لَيْلَةِ التَّمِّ إِذْ بَدَأَ طَرْبَا
أَسْفَرَ لِلشَّمْسِ كَيْ يُقْبَلَهَا فَمَا رَأَاهَا فَعَادَ مُنْتَقِبَا

وَرَكَّزَ عَلَى وَصْفِ الْهَلَالِ، فَهَا هُوَ ذَا يَرِسُّمُ لَهُ عِنْدَ طُلُوعِهِ صُورَةً لَطِيفَةً، فَلَصِغَرَهُ وَضَعَفَ ضَوْئِهِ وَخَفُوتِهِ بَيْنَ النُّجُومِ السَّاطِعَةِ فِي جَوِّ السَّمَاءِ، صَوَّرَهُ -وَقَدْ أَحَاطَتْ فِيهِ النُّجُومُ- شَخْصًا مَرِيضًا عَلِيلًا مُلْقَى بَيْنَ زُورَارِهِ، ثُمَّ جَعَلَهُ عَاشِقًا صَبًّا يَخْتَبِي وَيَخْتَفِي عَنِ أَعْيُنِ النَّاسِ؛ خَوْفًا مِنَ الْحَسَدِ، يَقُولُ: (3)

[المتقارب]

كَأَنَّ الْهَيْلَالَ وَقَدْ أَسْرَعَتْ يَدُ الْبَيْنِ فِي فَرْطِ انْفَادِهِ
وَحَفَّتْ بِهِ طَالِعَاتُ النُّجُومِ عَلِيلٌ لَقِيَ بَيْنَ عُوَادِهِ (4)
خَفِيَ عَنِ اللَّحْظِ عِنْدَ الْعِيَانِ كَصَبِّ نَأَى خَوْفٍ حُسَّادِهِ
كَأَنَّ السَّقَامَ لَهُ عَاشِقٌ فَقَدْ سَارَ قُرْبًا بِابْتِعَادِهِ

(1) الوأواء: ديوانه، ص108.

(2) المصدر السابق، ص53.

(3) المصدر السابق، ص79-80.

(4) اللقي: الملقى على الأرض. ابن منظور: لسان العرب، مادة (لقي).

وَمَثَلُهُ قَوْلُهُ: (1)

[المتقارب]

كَأَنَّ الْهَيْلَالَ إِذَا مَا بَدَأَ وَأَيْدِي الْمِحَاقِ بِهِ تَمَحَّقُ
عَلِيلٌ عَلَى فَرْشِهِ مُدْنَفٌ وَكُلُّ النُّجُومِ بِهِ تَحْدِقُ
فَهَذَاكَ يَتَلَفُ مِنْ عَلَّةٍ وَهَاتِيكَ وَجَدًا بِهِ تَخْفِقُ

وَأَعْجَبَ بِمَنْظَرِ الْهَيْلَالِ وَقَدْ ظَهَرَ فِي السَّمَاءِ تَحْتَ الثُّرَيَّا، فَوَصَفَهُ بِأَنْ جَعَلَ ذَلِكَ الْهَيْلَالَ
مَلِكًا عَظِيمًا وَقُورًا يَضَعُ تَاجًا فَوْقَ رَأْسِهِ، يَقُولُ: (2)

[الخفيف]

وَكَأَنَّ الْهَيْلَالَ تَحْتَ الثُّرَيَّا مَلِكٌ فَوْقَ رَأْسِهِ إِكْلِيلٌ

وَلَعَلَّهُ - وَهُوَ الْمُتَقَفُّ بِعِلْمِ الْفَلَكَ وَالنُّجُومِ - نَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي الصَّيْفِ
الصَّافِيَةِ، فَلاحَظَ وَجُودَ الْهَيْلَالِ وَالثُّرَيَّا وَبَيْنَهُمَا الزُّهْرَةَ، فَتَفَتَّتْ شَاعِرِيَّتُهُ بِفِعْلِ هَذَا الْمَنْظَرِ، وَرَسَمَ
صُورَةً جَدِيدَةً مُبْتَكِرَةً لِمَا رَأَاهُ، اسْتَمَدَّهَا مِنْ عَالَمِ الطَّرْدِ وَالصَّيْدِ، حَيْثُ جَعَلَ الْهَيْلَالَ وَالثُّرَيَّا
فَرِيقَيْنِ يَتَسَابِقَانِ، وَقَدْ تَمَكَّنَتْ الثُّرَيَّا مِنْ سَبْقِهِ وَالتَّغْلِبِ عَلَيْهِ، ثُمَّ صَوَّرَ الْهَيْلَالَ الْمُقَوَّسَ الشَّكْلَ
بِالْقَوْسِ الَّذِي يَرْمِي بِهِ الصَّائِدُ طَرِيدَتَهُ، وَجَعَلَ الثُّرَيَّا طَائِرًا يَرِيدُ أَحَدَهُمْ اصْطِيادَهُ، ثُمَّ صَوَّرَ
كَوْكَبَ الزُّهْرَةَ بِسَهْمٍ أُطْلِقَ مِنَ الْقَوْسِ لِاصْطِيَادِ ذَلِكَ الطَّائِرِ، وَفِي يَقِينِي أَنَّ الشَّاعِرَ كَانَ مُوقَفًا فِي
اخْتِيَارِ كَوْكَبِ الزُّهْرَةَ لِإِتِمَامِ هَذِهِ الصُّورَةِ، ذَلِكَ أَنَّ هَذَا الْكَوْكَبَ يُعَدُّ مِنْ أَكْثَرِ الْكَوَاكِبِ سَطُوعًا
وَأَشَدُّهَا تَأَلُّقًا وَسَنَاءً (3)، وَكَأَنَّهُ بِاخْتِيَارِهِ لَهُ يُكْنِي عَنْ قُوَّةِ السَّهْمِ وَشِدَّةِ سُرْعَتِهِ، يَقُولُ: (4)

[المتقارب]

رَأَيْتُ الْهَيْلَالَ وَقَدْ أَقْبَلَتْ نُجُومُ الثُّرَيَّا لِكَيْ تَسْبِقَهُ

(1) الواوَاء: ديوانه، ص 163-164.

(2) المصدر السابق، ص 178.

(3) يُنظَرُ: الزِّيَادِي، عبد الفتاح: الأجرام السماوية، ص 120.

(4) الواوَاء: ديوانه، ص 160.

فَشَبَّهَتْهُ وَهُوَ مِنْ خَلْفِهَا وَبَيْنَهُمَا الزُّهْرَةُ الْمُشْرِقَةُ
بِقَوْسٍ لِرَامٍ رَأَى طَائِرًا فَأَرْسَلَ فِي إِثْرِهِ بُنْدُقَةً⁽¹⁾

وَيَرْقُبُ الْوَأْوَاءُ انْتِهَاءَ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَطُلُوعَ هلالِ شَوَّالٍ، وَحِينَما يَراهُ فِي السَّمَاءِ يَفْرَحُ
فَرَحًا كَبارًا، وَيُصَوِّرُهُ؛ لِصِغَرِهِ وَنُضُوهِ، بِأَوَّلِ ما يَظْهَرُ مِنَ السَّيْفِ حِينَ يُسَلُّ مِنْ غَمَدِهِ، بِجامِعِ
السُّطُوعِ وَاللَّمَعانِ، يَقولُ:⁽²⁾

[الطويل]

وَلاحَ هِلالِ الفِطْرِ نِضُوا كَأَنَّهُ بُدُوُ غِرابِ السَّيْفِ مِنْ أَسْفَلِ الغِمْدِ
وَصَوَّرَ كوكَبَ المَريخِ بِشُعْلَةٍ مُلْتَهَبَةٍ مِنَ النِّيرانِ، وَذلكَ فِي قولِهِ:⁽³⁾

[الخفيف]

وَكَأَنَّ المَريخِ إِذْ رُمِيَ الغَرُّ بـُ بِهِ شُعْلَةٌ مِنَ النِّيرانِ
إِنَّ هَذِهِ الصُّورَةَ تَتَساوَقُ مَعَ الحَقائِقِ العِلْمِيَّةِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِهَذَا الكوكَبِ، فَهُوَ "يبدو فِي
السَّمَاءِ لِلعينِ المَجْرَدَةِ جِرمًا كَبارًا الحِجْمِ، يَميزُ عَادةً بِبَريقِهِ البَرتَقالي الضَّاربَ لِلحَمرةِ ...
وَلاحِمرارَ لَوْنِ المَريخِ سَماهُ العِبرانيونَ قَدِيمًا ((المَلْتَهَبِ))، وَقَدَماءُ اليُونانِ ((الْمَتَقَدِّ))، وَالهُنودُ
((انْجَاراكا أَي الفَحْمِ المَضْطَرَبِ))"⁽⁴⁾.

وَوصَفَ الجَوَازِءَ، فَصَوَّرَها بِفِئَةٍ تَمُدُّ يَمِينَهَا لِعِناقِ اللَّيْلِ واحْتِضَانِهِ، يَقولُ:⁽⁵⁾

[الخفيف]

وَيَمِينُ الجَوَازِءِ تَبْسُطُ باعًا لِعِناقِ الدُّجى بِغَيْرِ بَنانِ

(1) البندق: هو الشيء الذي يُرمى به. ابن منظور: لسان العرب، مادة (بندق).

(2) الوأواء: ديوانه، ص 267.

(3) المصدر السابق، ص 243.

(4) الزِّيادي، عبد الفتاح: الأجرام السماوية، ص 128.

(5) الوأواء: ديوانه، ص 243.

وَلَمْ يَنْسَ الشَّاعِرُ وَصْفَ الثُّرَيَّاَ الَّتِي "تظهر للراقب مؤلفة من كوكبين نيرين بينهما خمسة كواكب مجتمعة متقاربة كعنقود العنب"⁽¹⁾، أَوْ شَجَرَةَ السَّرْوِ، وَلَمَّا كَانَتْ كَذَلِكَ، فَقَدْ شَبَّهَهَا الْوَأَوَاءُ بِالسَّرْوَةِ الَّتِي لَمْ تُورِقْ، ذَلِكَ أَنَّ قَوَامَهَا شَبِيهٌ بِقَوَامِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ، يَقُولُ:⁽²⁾

[الرجز]

وَالْقُطْبُ حِينَ يَغْتَالِي وَيَرْتَقِي إِذَا الثُّرَيَّا سَرْوَةٌ لَمْ تُورِقْ
وَمَنْ يَتَذَوَّقُ الشُّعْرَ، فَإِنَّهُ حِينَمَا يَقْرَأُ الْآيَاتِ الْآتِيَةَ فِي وَصْفِ الثُّرَيَّا وَالْبَدْرِ وَتَصْوِيرِهِمَا، تَتَكشَّفُ لَهُ الْمَقْدِرَةُ الشُّعْرِيَّةُ التَّصْوِيرِيَّةُ الَّتِي يَتَمَتَّعُ بِهَا الْوَأَوَاءُ، يَقُولُ:⁽³⁾

[مجزوء الكامل]

فَمُ فَاجِلٌ هَمِّي يَا غُلامُ	بِالرَّاحِ إِذْ ضَحِكَ الظَّلَامُ
وَجَلَا الثُّرَيَّا فِي مُلَا	عَةِ نُورِهِ الْبَدْرِ التَّمَامُ
فَكَأَنَّهَا كَأْسٌ يُد	يَرُ بِهَا الدُّجَى وَالْبَدْرُ جَامُ
وَكَمَا أَنَّ زُرْقَ نُجُومِهَا	حَادِقٌ مُفْتَحَةٌ نِيَامُ
وَأَظْنُهَا مِنْ صِحَّةٍ	مَرَضَتْ وَلَيْسَ بِهَا سَقَامُ
فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّه	إِذْ حَانَ بَيْنَهُمَا انْصِرَامُ،
وَهَوَتْ لَتَغْرِبَ فَاتَتْني	عَنْهَا بِمَغْرِبِهَا ابْتِسَامُ
خَوْدٌ هَوَى مِنْ أَدْنِهَا	قُرْطٌ فَقَبْلَهُ غُلامُ
وَالْفَجْرُ فِي غَسَقِ الدُّجَى	كَالْمَاءِ خَالَطَهُ الْمُدَامُ

يُستَخْلَصُ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ الْوَأَوَاءَ وَصَفَ الْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومَ عَلَى اخْتِلَافِ تَسْمِيَاتِهَا وَأَصْنَافِهَا، فَتَرَكَ فِي ذَلِكَ كَثِيرًا مِنَ الصُّورِ اللَّافِتَةِ، وَأَنَّ وَصْفَهُ لَهَا لَمْ يَأْتِ عَلَى نَمَطٍ وَاحِدٍ، فَمِنْهُ مَا كَانَ مُجَرَّدًا مُسْتَقِلًّا فِي مَقْطُوعَاتٍ خَاصَّةٍ يُعْبَرُ فِيهَا عَنِ إِعْجَابِهِ بِهَذِهِ الْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ، وَمِنْهُ مَا وَرَدَ فِي قِصَائِدِهِ فِي الْخَمْرِ، وَالْغَزْلِ، وَالْمَدْحِ حَيْثُ ارْتَبَطَتْ بِمَضَامِينِ الْخَمْرِيَّةِ، وَبِصُورَةِ الْمَحْبُوبَةِ وَالْمَمْدُوحِ.

(1) الزبيدي، عبد الفتاح: الأجرام السماوية، ص 206.

(2) الوأواء: ديوانه، ص 163.

(3) المصدر السابق، ص 202-203.

المبحث الثاني

وصف مظاهر الحضارة

شهد العصر العباسي تطوراً حضارياً كبيراً لم يسبق له مثيل⁽¹⁾، وذلك بفعل تمازج العرب بغيرهم من الأمم الأخرى، وانفتاحهم على حضاراتها وإنجازاتها، وقد أثر ذلك في الأدب العربي تأثيراً عظيماً، لا سيما الشعر، فقد أخذ الشعراء يتناولون في أشعارهم قضايا وظواهر جديدة من نتاج العصر الذي يعيشون فيه، وراحوا يصفون أشياء وأدوات تقليدية تناولها الشعراء السابقون، ومن تلك المظاهر والأدوات البرك، والجسور، والسفن، والشموع، وآلات الطرب والموسيقى كالعود، والمعزفة، والناي، ومنها المرأة، وكانون النار، والفحم، والمزمل⁽²⁾، والدواليب والنواعير، وأدوات الكتابة كالأقلام، والمقالم، والأوراق، والمحابر⁽³⁾.

وكان الواواء الدمشقي ممن وصفوا بعض هذه المظاهر، لكن وصفه لها جاء قليلاً بالمقارنة مع إنتاجه الشعري، وربما يعود ذلك إلى انشغاله عنها بالحُب والغزل، ووصف الخمر والرياض، حيث كانت هذه القضايا شغله الشاغل، وكان النفس الشعري للواواء في هذا الميدان قصيراً جداً، حيث جاءت أشعاره فيه على هيئة مقطوعات قصيرة تتألف من أبيات قليلة معدودة.

إن الشمعة أول المظاهر الحضارية التي وصفها الشاعر الواواء، فقد أعجب بها إعجاباً كبيراً، يتضح من خلال تركيزه على وصفها، حيث وصفها في خمس مقطوعات، وبذلك لم يكن مختلفاً عن شعراء عصره، فقد كانت الشمعة من أهم المظاهر الحضارية التي تغنى بها الشعراء آنذاك، حيث نالت حظاً وافراً من شعرهم وتشبيهاتهم وصورهم الفنية، وذلك يعود إلى أنها استهوت الشعراء، وأثارت مشاعرهم وحركتها، ونشطت خيالهم بخصرها الدقيق، وعنقها

(1) يُنظر: الحاوي، إيليا: فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، ط3، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1980، ص139-

140.

(2) هي جرة خضراء كان يُبرّد فيها الماء. مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، مادة (زمل).

(3) يُنظر: الشكعة، مصطفى: فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، ص337-393.

الطويل، وغللتها الذهبية، ودمعها العسجدي⁽¹⁾، فضلاً عن تنافسهم في وصفها؛ رغبة منهم في إبراز تميزهم وابتكارهم وإبداعهم.

فها هو ذا يرسم لها صورة جميلة، حيث يظهر شكلها المستقيم الذي يدهش الناظرين إليه ويثير إعجابهم، ويصوره بغصن الشجرة تارة، وتارة أخرى بحرف الألف، ثم يشير إلى أنها تضيء بنورها ظلام الليل الذي تكرهه، وتعمل على محاربتة من خلال إشعال نفسها، وإذابة قوامها شيئاً فشيئاً، لكنها لا تعلم أنها هي الطرف الخاسر في هذه المعركة، إذ إنها سرعان ما تذوب وتفتى وتتطفئ شعلتها، ويبقى الليل مسيطراً مستمراً دون أن يتأثر، يقول: (2)

[المنسرح]

قوام غصن كانه ألف	تهدى لنا من رضايا لها
باطنها مكنتس وظاهرها	للعين يبيدي مستنزها عجا
قد يئست من بقائها فتري	أدمعها طول ليلها سكا
تكابد الليل وهي جاهلة	وعمرها في الكباد قد ذهبها

والشعلة تنير ظلام الليل بضوئها؛ لإسعاد الناس، وإزالة وحشة الليل عنهم، على الرغم من أنها بفعلها هذا تهلك نفسها، لكن الناس رثيون بها، ومشفقون عليها، فحينما تقترب من الدوبان التام، يقطعون رأسها، كناية عن قيامهم بإطفاء شعلتها، والمحافظة على الجزء المتبقي منها، وحمايته من الدوبان، وبهذا، فهذه الصورة تشتمل على مفارقة جميلة، ذلك أن قطع الرأس في الشعر يكون دلالة على الموت عادة، بينما هنا دلالة على الحياة، وفي هذا شيء من التجديد في المعنى والصورة، يقول: (3)

[الخفيف]

وكأنها تهوى إذاعة ضوئها	للناظرين لسعدهم بنحوسها
-------------------------	-------------------------

(1) ينظر: أبو حاتم، نبيل خليل: اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري (من خلال بيتيمة الدهر)، الدوحة-قطر:

دار الثقافة، 1985، ص 303-304.

(2) الواواء: ديوانه، ص 50.

(3) المصدر السابق، ص 127.

فَإِذَا تَقَرَّبَ عُمُرُهَا لِنَفَادِهِ رَدُّوا لَهَا عُمُرًا بِقَطْعِ رُءُوسِهَا

وَيَصِفُ شَمْعَةً أُخْرَى بِضُمُورِ الْخَصْرِ، وَيُصَوِّرُهَا وَهِيَ تُتَبِّرُ اللَّيْلَ بِالسَّهْمِ الَّذِي يَنْطَلِقُ بِسُرْعَةٍ كَبِيرَةٍ جِدًّا، وَكَأَنَّ رَأْسَهُ يُضِيءُ مِنْ شِدَّةِ الْإِحْتِكَاكِ، وَمَصِيرُ هَذِهِ الشَّمْعَةِ فِي أَيْدِي أَصْحَابِهَا، فَإِنْ أَبْقَوْا عَلَى رَأْسِهَا، كِنَايَةً عَنِ إِقَادِ النَّارِ فِيهَا وَإِشْعَالِهَا، مَرَضَتْ وَمَاتَتْ وَهَلَكَتْ وَفَنِيَتْ، وَإِنْ قَطَعُوا رَأْسَهَا، كِنَايَةً عَنِ إِطْفَاءِ نَارِهَا، بَقِيَتْ عَلَى حَالِهَا، وَلَمْ تَهْلِكْ، يَقُولُ: (1)

[المتقارب]

وَمَخْطُوفَةَ الْخَصْرِ لَمَّا بَدَتْ لَدَى اللَّيْلِ عَايِنْتُ سَهْمًا يُضِي
تُعَاقِبُ مِنْ نَفْسِهَا نَفْسَهَا فَتَقْضِي الْأُمُورَ كَمَا تَنْقُضِي
وَتَمْرَضُ إِنْ تَرَكَوْا رَأْسَهَا وَإِنْ قَطَعُوا الرَّأْسَ لَمْ تَمْرَضِ

وَصَوَّرَ الْوَأْوَاءَ الشَّمْعَةَ بِالْعُمُرِ الْمُقَدَّرِ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَعْيشَهُ، وَجَعَلَ شُعْلَةَ النَّارِ الْمُتَقَدَّةَ فِيهَا الْأَجَلَ الَّذِي يُنْهِئُ ذَلِكَ الْعُمُرَ وَيَسْتَنْفِذَهُ، يَقُولُ بَعْدَ أَنْ وَصَفَ قَوَامَ تِلْكَ الشَّمْعَةِ مُشَبَّهًا إِيَّاهَا بِالرَّمَّاحِ الْمُسْتَقِيمَةِ الْمَمْشُوقَةِ الْقَوَامِ: (2)

[مجزوء الرجز]

مَمْشُوقَةٌ فِي قَدِّهَا تَحْكِي لَنَا قَدَّ الْأَسَلِ
كَأَنَّهَا عُمُرُ الْفَتَى وَالنَّارُ فِيهَا كَالْأَجَلِ

وَيَصِفُ فِي مَقْطُوعَةٍ جَدِيدَةٍ شَمْعَةً، وَكَأَنَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنِ فِتَاةٍ، حَيْثُ وَصَفَهَا بِالْهَيْفِ وَدِقَّةِ الْخَصْرِ، ثُمَّ جَعَلَ لَوْنَهَا أَصْفَرَ فَاقْعًا كَلَوْنِ الْعَاشِقِ الَّذِي اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْمَرَضُ، وَفِي صُورَةٍ مُكَرَّرَةٍ تَحَدَّثُ عَنِ أَثَرِ إِشْعَالِ النَّارِ بِفَتِيلِ تِلْكَ الشَّمْعَةِ، فَهِيَ تُزِيلُ الظَّلَامَ وَتَفْنِيهِ، لَكِنَّهَا بِالْمَقَابِلِ تَذُوبُ وَتَهْلِكُ نَفْسَهَا فِي سَبِيلِ ذَلِكَ، يَقُولُ: (3)

[المتقارب]

وَهَيْفَاءَ مِنْ نُدْمَاءِ الْمُو كِ صَفْرَاءَ كَالْعَاشِقِ الْمُدْنِفِ

(1) الوأواء: ديوانه، ص 137.

(2) المصدر السابق، ص 180.

(3) المصدر السابق، ص 149.

تَكِيدُ الظَّلَامَ كَمَا كَادَهَا فَتَفَنِّي وَتُفْنِيهِ فِي مَوْقِفِ

وَلَقَدْ قَدَّمَ الوَأْوَاءُ فِي مَقْطُوعَةٍ وَحِيدَةٍ مُفْرَدَةً وَصَفًا لِلدَّوَالِيبِ وَالنَّوَاعِيرِ، بَدَأَهَا بِالحَدِيثِ عَنِ وَطِيفَةِ هَذِهِ الآلَةِ، فَهِيَ تَعْمَلُ عَمَلَ السَّحَابِ المَاطِرِ المَحْمَلِ بِالمَاءِ، إِذْ إِنِّهَا تَسْقِي الرِّيَاضَ وَالمَزْرُوعَاتِ بِالمَاءِ الكَثِيرِ الَّذِي تَسْتَخْرِجُهُ مِنْ مَكَانٍ تَجْمَعُهُ، سِوَاءَ أَكَانَ بئِرًا أَمْ نَهْرًا، ثُمَّ صَوَّرَهَا بِالفَلَكِ الَّذِي يَتَحَرَّكُ بِاسْتِمْرَارٍ فِي حَرَكَةٍ دَائِرِيَّةٍ، وَخِلَالَ هَذِهِ الحَرَكَةِ يَقُومُ بِرَفْعِ المَاءِ وَرَمْيِهِ مِنْ أَعْلَى إِلَى الأَرْضِ المُرَادِ سِقَايَتِهَا، وَلَمْ يَنْسَ وَصْفَ الأَصْوَاتِ الَّتِي تَصْدُرُ عَنْ هَذِهِ الآلَةِ خِلَالَ عَمَلِهَا، فَتَارَةً جَعَلَهَا مِثْلَ حَنِينِ العَاشِقِ المُشْتَاقِ إِلَى مَحْبُوبَتِهِ، وَتَارَةً أُخْرَى مِثْلَ أَنْبِيءِ شَخْصٍ جَزِعَ لكَثْرَةِ المَصَائِبِ الَّتِي نَزَلَتْ عَلَيْهِ، يَقُولُ: (1)

[الكامل]

وَكَرِيمَةٍ سَقَّتِ الرِّيَاضَ بِدَرِّهَا فَعَدَّتْ تَتُوبُ عَنِ السَّحَابِ الهَامِعِ
بِلبَّاسِ مَحْزُونٍ وَدَمْعَةٍ عَاشِقٍ وَحَنِينِ مُشْتَاقٍ وَأَنَّةٍ جَارِعِ
فَكَأَنَّهَا فَلَكٌ يَدُورُ، وَعَلْوُهُ يَرْمِي القَرَارَ بِكُلِّ نَجْمٍ طَالِعِ

وَلَمْ يَخْلُ شِعْرُهُ مِنْ وَصْفِ الآلَاتِ المُوسِيقِيَّةِ، وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا مَحْدُودًا، حَيْثُ قَدَّمَ فِي إِحْدَى مَقْطُوعَاتِهِ وَصَفًا لِعُودٍ تَضْرِبُ عَلَيْهِ إِحْدَى المُغَنِّيَّاتِ فِي مَجْلِسِ غِنَاءٍ وَلَهُوَ وَمُجْبُونٌ، فَجَعَلَ ضَرْبَهَا عَلَيْهِ وَمَا يَنْتُجُ عَنْهُ مِنْ أَصْوَاتٍ بِمَنْزِلَةِ إِحْيَاءِ لِتِلْكَ القِطْعَةِ الخَشَبِيَّةِ، وَبَعَثَ لِلرُّوحِ فِيهَا، كَمَا أَنَّ أَصَابِعَ هَذِهِ المُغَنِّيَّةِ، وَهِيَ تُدْعِدِغُ أوتَارَ ذَاكَ العُودِ وَتَتَلَاعَبُ فِي تَحْرِيكِهَا، تُعَبِّرُ عَمَّا تُرِيدُ المُغَنِّيَّةُ أَنْ تَقُولَهُ، وَمَا يَجُولُ فِي خُلْدِهَا وَخَاطِرِهَا مِنْ خِلَالَ الأَلْحَانِ والأَصْوَاتِ الَّتِي تَنْسَبُّ فِي إِطْلَاقِهَا مِنْهُ، فَإِنْ كَانَتْ فَرِحَةً تُعْرِفُ أَلْحَانًا جَمِيلَةً مُفْرِحَةً، وَإِنْ كَانَتْ حَزِينَةً تُعْرِفُ أَلْحَانًا حَزِينَةً كَثِيبَةً، يَقُولُ: (2)

[البسيط]

تُرَكِّبُ الرُّوحَ فِيهِ إِذْ تُرَكِّبُهُ فِي حَجْرِهَا فَمَلَاوِيهَا مَلَاوِيهِ (3)

(1) الوَأْوَاءُ: ديوانه، ص 274-275.

(2) المصدر السابق، ص 251-252.

(3) المَلَاوَةُ وَالمَلَاوَةُ وَالمَلَاوَةُ وَالمَلَاوَةُ: مُدَّةُ العَيْشِ. ابن منظور: لسان العرب، مادة (ملو).

حَتَّى إِذَا دَغَدَغَتْ أوتارَهُ عَبَثًا تَكَلَّمَتْ ألسُنٌ مِنْ صَدْرِهَا فِيهِ
مَا أَفْسَدَتْ يَدُهَا اليمْنَى مَحَاسِنَهُ مُذْ أَصْلَحَتْ يَدُهَا اليسْرَى مَسَاوِيَهُ

وَاسْتَعْمَلَ الوَأْوَاءُ فِي ظِلِّ دَعْوَتِهِ إِلَى اللَّهِ وَالْعَبَثِ وَالْمُجُونِ وَالِاسْتِمْتَاعِ بِلَذَائِذِ الْحَيَاةِ
اِثْنَتَيْنِ مِنَ الآلَاتِ الموسِيقِيَّةِ، وَهُمَا النَّايُ وَالْعُودُ، مُرَكِّزاً عَلَى وَصْفِ الأصْوَاتِ الَّتِي تُصَدِّرَانِهَا،
وَسَيَلْتَيْنِ لِإِغْرَاءِ أَصْحَابِهِ لِلانْجِرَارِ وَرَاءَهُ لِلعَيْشِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: (1)

[المجتث]

يَا شَيْعَةَ اللَّهِ هُبُّوا إِلَى اللِّذَازَاتِ هُبُّوا
فَالنَّايِ يُبْدِي أَنِينًا يُشْجِي وَللْعُودِ ضَرْبُ
وَأَعْيُنُ الغَيْثِ تَجْرِي لَهَا انْهَمَالٌ وَسَكْبُ
وَمَا عَلَيْنَا جُنَاحٌ فِيمَا فَعَلْنَا وَعَتْبُ

وَهَكَذَا، قَدَّمَ الوَأْوَاءُ وَصْفًا لِبَعْضِ مَظَاهِرِ الحَضَارَةِ وَمُخْرَجَاتِهَا الَّتِي شَاعَتْ فِي عَصْرِهِ،
وَهِيَ: الشَّمْعَةُ، وَالدَّوَالِيبُ وَالنَّوَاعِيرُ، وَالْعُودُ وَالنَّايُ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ قِلَّةِ الأشْعَارِ الَّتِي صَاغَهَا
فِي هَذَا المِيدَانِ، إِلَّا أَنَّهَا تُدَلُّ عَلَى مُوَاكِبَتِهِ لِلتَّطَوُّرِ الحَضَارِيِّ وَمَظَاهِرِهِ مُوَاكِبَةً حَثِيثَةً، وَإِعْجَابِهِ
بِهَا إِعْجَابًا عَظِيمًا، الأَمْرُ الَّذِي دَفَعَهُ إِلَى الإِبْدَاعِ فِي وَصْفِهَا وَتَصْوِيرِهَا.

(1) الوَأْوَاءُ: ديوانه، ص 49-50.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ

وَصْفُ الْمَدُوحِ

يُعَدُّ الْمَدْحُ مِنْ أَهَمِّ الْأَعْرَاضِ الَّتِي طَرَقَهَا الْوَأْوَاءُ الدَّمَشَقِيُّ فِي فَنِّهِ الشَّعْرِيِّ، إِذْ رَكَّزَ فِي مَدْحِهِ - كَمَا مَرَّ أَنْفَاءً - عَلَى اثْنَيْنِ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَالشُّرَفَاءِ مِنْ أَبْنَاءِ عَصْرِهِ وَزَمَانِهِ، هُمَا: الشَّرِيفُ الْعَقِيقِيُّ، حَيْثُ مَدَحَهُ فِي دِمَشْقَ بَارِعَ قِصَائِدِ، وَالْأَمِيرُ الْحَمْدَانِيُّ سَيْفُ الدَّوْلَةِ أَمِيرُ حَلَبَ آنَذَاكَ، وَبَلَغَتْ مَدَائِحُهُ فِيهِ ثَلَاثَ قِصَائِدٍ.

وَقَدْ اِهْتَمَّ الْوَأْوَاءُ فِي وَصْفِهِ مَمْدُوحِيهِ بِإِبْرَازِ كَرَمِهِمَا وَسَخَائِهِمَا وَجُودِهِمَا، فَضْلًا عَنِ صِفَاتِ الْقُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ الَّتِي يَنْسِمَانِ بِهَا؛ وَذَلِكَ حَتَّى يَنْسَاقَ مَدْحُهُ لَهَا مَعَ الْغَايَةِ الَّتِي يَرْنُو إِلَيْهَا وَيَسْعَى إِلَى الْحُصُولِ عَلَيْهَا، فَهُوَ لَمْ يَمْدَحْ مِنْ مُنْطَلَقِ التَّعْبِيرِ عَنِ إِعْجَابِهِ بِهَذَا الْأَمِيرِ أَوْ ذَلِكَ، بَلْ كَانَ مَدْحُهُ وَسِيلَةً لِلتَّكْسُبِ وَجَمْعِ الْمَالِ وَالنَّوَالِ، وَالتَّرْوُدِ مِنْ لَذَائِدِ الْحَيَاةِ وَأَطْيَابِهَا⁽¹⁾، وَلَمْ يَكُنِ النَّقْرُبُ مِنَ الْخُلَفَاءِ وَالْأَمْرَاءِ بِهَدَفِ التَّكْسُبِ وَالْحُصُولِ عَلَى الْمَالِ شَأْنَ الْوَأْوَاءِ حَسْبِ، بَلْ كَانَ دَيْدَنَ مُعْظَمِ شُعْرَاءِ عَصْرِهِ وَزَمَانِهِ⁽²⁾، وَقَدْ تَجَاوَزَ ذَلِكَ الشُّعْرَاءُ إِلَى الْعُلَمَاءِ وَالتُّجَّارِ وَالصُّنَّاعِ، إِلَى الدَّرَجَةِ الَّتِي دَفَعَتْ أَحْمَدَ أَمِينَ إِلَى تَقْرِيرِ أَنَّ أَنْظَارَ النَّاسِ كَانَتْ "مُوجَّهَةً إِلَى الْخُلَفَاءِ وَالْأَمْرَاءِ؛ فَالْعُلَمَاءُ إِنْ أَرَادُوا الْغِنَى لَمْ يَجِدُوهُ إِلَّا فِي خِدْمَتِهِمْ، وَالشُّعْرَاءُ إِنْ أَرَادُوا الْعَيْشَ لَمْ يَجِدُوهُ إِلَّا فِي مَدِيحِهِمْ، وَالتُّجَّارُ إِنْ وَقَعَ شَيْءٌ ثَمِينٌ فِي يَدِهِمْ مِنْ جَوْهَرٍ أَوْ جَوَارٍ لَا يَجِدُونَ نِفَاقًا لَهَا إِلَّا فِي قِصُورِهِمْ، وَالصَّنَاعُ إِذَا أَحْسَنُوا صِنَاعَةَ شَيْءٍ فَهَمَّ مَقْصِدُهُمْ - أَمَا سَائِرُ الشَّعْبِ، فَفَقِيرٌ بِأَنْسٍ قَلٌّ أَنْ يَجِدَ الْكَفَافَ! فَالْعُلَمَاءُ إِذَا بَعَدُوا عَنِ الْقِصُورِ عَزَّ قُوَّتُهُمْ، وَالشُّعْرَاءُ لَا يَشْعُرُونَ لِأَنْفُسِهِمْ وَلَا لِعَوَاطِفِهِمْ وَإِنَّمَا يَشْعُرُونَ لِلْمَالِ يَنْشُدُونَهُ مِنْ يَدِ الْخُلَفَاءِ وَالْأَمْرَاءِ؛ وَلِهَذَا كَانَ أَكْثَرَ شِعْرِهِمْ مَدِيحًا، وَالفنانون والتجار كذلك"⁽³⁾.

(1) يُنظر: صفحة (5-6) من هذه الدراسة.

(2) يُنظر: الفاخوري، حنا: الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)، ص 670.

(3) أمين، أحمد: ظهر الإسلام، 1/115.

وَأَمَّا طَرِيقَةُ الْوَأْوَاءِ فِي الْمَدْحِ، فَإِنَّهَا تَنْسَجِمُ مَعَ الطَّرِيقَةِ الْقَدِيمَةِ، إِذِ اسْتَفْتَحَ الْقَصِيدَةَ بِالْغَزَلِ وَالْوُقُوفِ عَلَى الْأَطْلَالِ، ثُمَّ ذَكَرَ صِفَاتِ مَمْدُوحِهِ مِنْ كَرَمٍ وَسَخَاءٍ وَسَجَاعَةٍ وَبُطُولَةٍ⁽¹⁾، وَأَحْيَانًا لَجَأَ إِلَى الْفَخْرِ بِنَفْسِهِ وَبِشِعْرِهِ؛ كَيْ يُضَاعَفَ مِنْ قِيَمَةِ شِعْرِهِ وَيُبَيِّرَ مَقْدَرَتَهُ الْفَنِّيَّةَ أَمَامَ مَمْدُوحِهِ، وَيَحْظَى بِإِعْجَابِهِ، مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى مُضَاعَفَةِ الْعَطَاءِ الَّذِي يَحْصُلُ عَلَيْهِ.

وَكَانَتْ مَدَائِحُهُ طَوِيلَةً إِلَى مُتَوَسِّطَةِ الْحَجْمِ، وَمَعَانِيهِ جَزَلَةً، وَالْفَازِئَةُ بَعِيدَةً عَنِ الْإِبْتِذَالِ وَالشَّعْبِيَّةِ، وَبِهَذَا يَكُونُ قَدْ سَلَكَ طَرِيقَةَ الشُّعْرَاءِ فِي الْمَدْحِ وَالتَّرَمُّمِ بِهَا، وَذَلِكَ طَبَقًا لِمَا أَشَارَ إِلَيْهِ ابْنُ رَشِيقِ الْقَيْرَوَانِيِّ فِي قَوْلِهِ: "وسبيل الشاعر -إذا مدح ملكا- أن يسلك طريقة الإيضاح والإشادة بذكره للممدوح، وأن يجعل معانيه جزلة، والفاظه نقية، غير مبتذلة سوقية، ويجتنب -مع ذلك- التقصير والتجاوز والتطويل؛ فإن للملك سامة وضجراً، وربما عاب من أجلها ما لا يعاب، وحرّم من لا يريد حرمانه"⁽²⁾.

وَلَقَدْ جَسَّدَ الْوَأْوَاءُ خِلَالَ مَدْحِهِ لِلْعَقِيقِيِّ وَالْحَمْدَانِيِّ الْمَثَالِيَّةَ الْخُلْفِيَّةَ تَجْسِيدًا قَوِيًّا بَيْنًا، حَيْثُ إِنَّهُ تَمَثَّلَ، كغَيْرِهِ مِنَ الشُّعْرَاءِ، مَعَانِي الْمَدْحِ الْمُتَوَارِثَةَ، فَوَسَّمَهُمَا بِهَا وَجَعَلَهَا سَمَاتٍ أَصِيلَةً فِيهِمَا، وَقِيمًا يَأْتِي مِنْ صَفَحَاتِ نَبْطِ الْقَوْلِ وَتُفَصِّلُهُ فِي تِلْكَ الْمَعَانِي وَالصِّفَاتِ، وَذَلِكَ عَلَى النَّحْوِ الْآتِي:

أَوَّلًا: الْكَرَمُ

لَقَدْ وَسَمَ الْوَأْوَاءُ مَمْدُوحِيهِ بِسِمَةِ الْكَرَمِ وَالْجُودِ وَالسَّخَاءِ وَالْعَطَاءِ، وَرَكَزَ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى تَرْكِيزًا كَبِيرًا، وَقَدَّمَهُ مِنْ خِلَالَ الْعَدِيدِ مِنَ الصُّوَرِ وَالْأَسَالِيبِ؛ بُغْيَةَ تَحْقِيقِ مَآرِبِهِ، فَالْمَمْدُوحُ، مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِ الشَّاعِرِ، يَتَمَيِّزُ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ الَّتِي تَتَجَلَّى فِيهِ بِأَوْضَحِ صُورِهَا، فَهُوَ مَقْصِدُ الْمُحْتَاجِينَ وَالْفُقَرَاءِ وَطَالِبِي الْمَالِ وَالنَّوَالِ، يُقَدِّمُ لَهُمْ عَطَايَاهُ وَهَبَاتِهِ دُونَ حِسَابِ، وَالْكَرَمُ صِفَةٌ أَصِيلَةٌ فِي نَفْسِ الْمَمْدُوحِ، لَا تَكْلُفَ فِيهَا وَلَا تَصْنَعُ، فَقَدْ وُلِدَ كَرِيمًا، وَعَاشَ كَرِيمًا،

(1) يُنظر: عبد الجابر، سعود محمود: الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني، ص 170.

(2) القيرواني، ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، 128/2.

وَسَيَظَلُّ كَرِيمًا، وَهُوَ حِينَمَا يُقَدِّمُ أَمْوَالَهُ لِلْمُحْتَاجِينَ يَهْتَرُ وَيَطْرَبُ وَيَفْرَحُ فَرَحًا شَدِيدًا، وَهَذَا مَا عَبَّرَ عَنْهُ الشَّاعِرُ فِي قَوْلِهِ فِي الْعَقِيقِيِّ: (1)

[الكامل]

حَرَمٌ لِعَاشِيَةِ النَّدى لَوْ لَمْ يَكُنْ
كَرْمٌ تَمَكَّنَ فِيهِ حَتَّى لَمْ تَدَعْ
قَدْ أَوْرَقَتْ مِنْهُ الظُّنُونُ وَأَثْمَرَتْ
طَلَبَتْ مَوَاهِبُهُ مِنْى طَلَّابِهَا
يَهْتَرُ لِلْجَدْوَى اهْتِرَازَ مُهَنَّدٍ
تُعْشَى يَدَاهُ بِالسُّؤَالِ غُشِينَا
أَوْصَافُهُ لَتَكْرَمُ تَمَكِينَا
نَيْلًا يَظَلُّ الشَّاكُّ فِيهِ يَقِينَا
فَوَقَّفَنَ مِمَّا قَدْ وَقَّفَنَ وَجِينَا
أَبَلَّتْ مَضَارِبُهُ الْغَدَاةَ جُفُونَا

وَجَعَلَ الشَّاعِرُ مَمْدُوحَهُ كَعَبَةً، وَمَكَانًا مُقَدَّسًا يَزُورُهُ كُلُّ مَنْ فِي نَفْسِهِ آمَالٌ وَمَطَالِبٌ يَسْعَى إِلَى تَحْقِيقِهَا وَإِنْجَازِهَا، وَجَعَلَ عَطَايَاهُ عَامَّةً شَامِلَةً وَمُتَّوَعَةً تَسُدُّ حَاجَةَ الْفُقَرَاءِ، يَقُولُ مُتَحَدِّثًا عَنْ وُصُولِهِ إِلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ: (2)

[الطويل]

إِلَى كَعْبَةِ الْأَمَالِ وَالْمَطْلَبِ الَّذِي بِهِ خُلِّيتُ أَجْيَادُ عَطَلِ الْمَوَاكِبِ (3)
وَمَنْ يُحَاوِلُ الْمُقَارَنَةَ بَيْنَ عَطَاءِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَعَطَاءِ السُّحْبِ وَالْغَمَامِ وَالْمُسَاوَاةَ بَيْنَهُمَا، فَإِنَّهُ غَيْرُ مُنْصِفٍ فِي الْحُكْمِ؛ لِأَنَّهُ شَتَّانَ، مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِ الشَّاعِرِ، بَيْنَ عَطَاءِ مَمْدُوحِهِ وَعَطَاءِ السُّحْبِ وَالْغَمَامِ، فَالْأَوَّلُ يُعْطَى وَهُوَ مُبْتَسِمٌ ضَاحِكٌ، أَمَّا الْآخِرُ فَإِنَّهُ يُعْطَى وَهُوَ دَامِعُ الْعَيْنِ بَاكٍ، لِذَلِكَ فَالشَّاعِرُ يُعْطَى الْأَفْضَلِيَّةَ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ عَلَى الْغَمَامِ فِي الْعَطَاءِ، يَقُولُ: (4)

[المنسرح]

مَنْ قَاسَ جَدْوَاكَ بِالْغَمَامِ فَمَا
أَنْصَفَ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ شَكْلَيْنِ

(1) الواوَاء: ديوانه، ص 217.

(2) المصدر السابق، ص 20.

(3) يُقَالُ عَطَلَتْ الْمَرْأَةُ تَعْطَلُ عَطَلًا وَعَطُولًا وَتَعَطَّلَتْ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا حُلْيٌ وَلَمْ تَلْبَسِ الزَّيْنَةَ، وَخَلَا جِيدُهَا مِنَ الْقَلَائِدِ، وَيُقَالُ عَطَلُ الرَّجُلِ إِذَا خَلَا مِنَ الْمَالِ وَالْأَدَبِ. ابن منظور: لسان العرب، مادة (عطل).

(4) الواوَاء: ديوانه، ص 222-223.

أَنْتَ إِذَا جُدْتَ ضَاحِكٌ أَبَدًا وَهُوَ إِذَا جَادَ دَامِعُ الْعَيْنِ
 واستعمل الاستعارة التصريحية لتأكيد جود ممدوحه، حيث جعله غصناً ليناً رطباً،
 مُمتلئاً بالأزهار والأثمار التي تشكل موضع إعجاب الناس الذين يلتفون حولها، وذلك كناية عن
 إعجاب الناس به والتفافهم حوله؛ طمعاً في عطائه، يقول في العقيقي: (1)

[الخفيف]

غُصْنٌ لَيْنٌ الْمَهْزَّةُ لَدُنْ زَاهِرُ الزَّهْرِ مُثْمِرُ الْإِثْمَارِ (2)
 عَصَفَتْ حَوْلَهُ رِيَّاحُ الْأَمَانِي وَسَقَّتُهُ الْعُجْلَا بِبِلَا أَمْطَارِ
 ويلجأ الشاعر إلى المبالغة في إبراز كرم الممدوح، إذ وصفه بأنه يكره البخل ويحاربهُ،
 إلى درجة أنه لو كان البخل شجرة حقيقية، وكانت أغصانها جرداء قاحلة، ونظر إلى تلك
 الأغصان، لكانت تلك النظرة كفيلاً بإيقاع التأثير على الأغصان (أغصان البخل)، ولأزهرت
 ولأثمرت من توها، وفي هذا تنويح له على مملكة الجود والكرم، يقول في العقيقي: (3)

[البسيط]

لَوْ أَنَّ لِلْبُخْلِ أَغْصَانًا وَقَابِلَهَا بَوَجْهِهِ أَنْبَتَتْ مِنْ وَقْتِهَا كَرَمًا
 وليبان كرمه جعل الواو لراحته قوة خفية عظيمة تستطيع إنبات الخير والرزق والنعم
 المختلفة، وتقديمها للمحتاجين، يقول: (4)

[البسيط]

ثَنَيْتُهُ وَعِنَانُ الشُّوقِ يَجْمَعُ بِي إِلَى الَّذِي رَاحَتَاهُ تُنْبِتُ النَّعْمَا
 وأشار إلى أن العقيقي يُنفق من أمواله على الفقراء والمستجدين الكثير الكثير، حتى تنفى
 ولا يبقى منها شيء، يقول: (5)

(1) الواواء: ديوانه، ص96.

(2) اللدُن: اللين من كل شيء من عود أو حبل أو خلق، وجمعها لدان ولدن. ابن منظور: لسان العرب، مادة (لدن).

(3) الواواء: ديوانه، ص194.

(4) المصدر السابق، ص194.

(5) المصدر السابق، ص218.

[الكامل]

يَا مُسْقِماً بِالْبَذْلِ صِحَّةَ مَالِهِ فِينَا وَهَادِمَهُ بِمَا يَبْنِينَا
وَجَعَلَ الْوَأْوَاءُ رَاحَةً يَدٍ مَمْدُوحَةٍ خَزَنَةً تُحْفَظُ فِيهَا الْأَمْوَالُ، وَبَابُ هَذِهِ الْخَزَنَةِ مَفْتُوحٌ
دَائِماً، فَهُوَ مِنْ غَيْرِ حَارِسٍ أَوْ بَوَّابٍ؛ لِأَنَّ الْأَمْوَالَ الَّتِي يَجْمَعُهَا وَيَحْفَظُهَا فِيهَا يَنْبَرِّعُ بِهَا لِلنَّاسِ،
دُونَ حَسِيبٍ أَوْ رَقِيبٍ، وَدُونَ حُدُودٍ، يَقُولُ: (1)

[الخفيف]

رَائِحٌ فِي الْعُلَى بِرَاحَةِ جُودٍ بَابُ أَمْوَالِهَا بِبَابِ الْوَأْوَاءِ
وَإِنَّ هَذِهِ الْعَطَايَا وَالْهَبَاتِ غَيْرَ الْمَحْدُودَةِ الَّتِي يُمَطِّرُ بِهَا الْعَقِيقِيُّ النَّاسَ، تَسُدُّ حَاجَاتِهِمْ،
وَتُسَاعِدُهُمْ عَلَى الْوُقُوفِ فِي وَجْهِ مَصَائِبِ الدَّهْرِ وَمَصَاعِبِهِ، وَمِمَّا يَزِيدُ مِنْ قِيَمَةِ هَذِهِ الْعَطَايَا أَنَّهَا
تَأْتِي فِي الْوَقْتِ الْحَرَجِ الَّذِي يَبْخُلُ فِيهِ أَصْحَابُ الْأَمْوَالِ عَنِ تَقْدِيمِ الْعَطَاءِ لِلْمُحْتَاجِينَ، وَفِي هَذَا
زِيَادَةٌ شَرَفٍ لِلْعَقِيقِيِّ وَسُمُوٌّ مَكَانَةً، يَقُولُ: (2)

[الخفيف]

يَا ((أَبَا قَاسِمٍ)) أَزَالَتْ عَطَايَا كَ صِعَاباً مِنَ الْخُطُوبِ الصَّعَابِ
لَا وَمَنْ رَدَّ عَاقِبَاتِ الرِّزَايَا بَعْطَايَا مِنْهَا عَلَى الْأَعْقَابِ
مَا أَبَالِي إِذَا حَسَبْتُكَ مِنْ دَه رِي بِمَا كَانَ سَاقِطاً مِنْ حِسَابِي
بَخِلَ الْبَاخِلُونَ عَنَّا فَأَمْطَرُوا تَ لَنَا نَائِلاً بِغَيْرِ سَحَابِ
وَيُعْجَبُ الْوَأْوَاءُ بِسِمَاتِ الْمَمْدُوحِ وَفَضَائِلِهِ وَكَرَمِهِ، فَيَقْرَرُ أَنْ يَحْطَّ رِحَالَهُ فِي حِمَاهِ، ثُمَّ
اسْتَعْمَلَ الْاسْتِعَارَةَ الْمَكْنِيَّةَ، فَشَبَّهَ الْعَزْمَ وَالصَّبْرَ وَالْجِدَّ بِحَيَوَانٍ لَهُ ذَيْلٌ يُجْرُ إِلَى بِلَادِ مَمْدُوحِهِ،
وَكَأَنَّ هَذِهِ السَّمَاتِ لَا يَنْبَغِي أَنْ تُوجَدَ إِلَّا عِنْدَ مَنْ يَسْتَحِقُّهَا، عِنْدَ الْمَمْدُوحِ؛ لِأَنَّهُ كَرِيمٌ جَوَادٌ يُعْطِي
أَمْوَالَهُ وَيَقْدِمُهَا هِبَاتٍ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَصْحَابِ الْمَوَاهِبِ الْفَدَّةِ، ثُمَّ يَلْجَأُ إِلَى الْمُبَالِغَةِ فِي
إِظْهَارِ سَخَاءِ مَمْدُوحِهِ، فَيَجْعَلُ الْجُودَ نَفْسَهُ يُقْرُ وَيَعْتَرِفُ بِذَلِكَ ، وَيُقَسِّمُ بِأَنَّ مَمْدُوحَهُ هُوَ الْجُودُ

(1) الوأواء: ديوانه، ص14.

(2) المصدر السابق، ص15.

الحقيقيُّ بِمعناه الأسمى والأشمل والأكمل، الذي يقدّم لكلِّ مَنْ يطلّبُ مالاً أو يستجدي نوالاً ،
يقول في سيفِ الدولة: (1)

[الطويل]

سَأهْبُطُ مِنْ بَحْرِ اللَّيَالِي مَذَاهِباً متى قصرتُ بي في هواه مَذَاهِبي
وَأَسْحَبُ ذَيْلَ الْعِزْمِ فِي أَرْضِ هَمَّةٍ إلى واهبِ أمواله للمَوَاهِبِ
إِلَى مَنْ يَظَلُّ الْجُودُ يُقْسَمُ أَنَّهُ هو الجودُ موقوفاً على كلِّ طالبِ

والشاعرُ يدعو لممدوحه بطولِ السّلامةِ والأمانِ والسّعادةِ وامتدادِ العمرِ، ويعلّلُ هذا
الدّعاءَ بأنّه ما دامَ سالمًا يرزقُ المالَ ويمتلكه، فإنّه سيُعطي الرّعيّةَ ولن يبخلَ عليها، وفي هذا
البيتِ إشارةٌ واضحةٌ إلى استجداءِ الشّاعرِ وطلّبه للمالِ، يقول: (2)

[الكامل]

فَأَسْلَمَ فَإِنَّكَ مَا سَلِمْتَ مِنَ الرَّدَى وَسَقَيْتَ مِنْ مَاءِ الْحَيَاةِ سُقِينَا

ثانياً: القوّة والشّجاعة

لقد أشارَ الوأءُ إلى قوّةِ ممدوحه العقيقيِّ والحمدانيِّ، وشجاعتيهما، وبسالتيهما، وبأسههما
في مُحارَبَةِ الأعداءِ ومُفارَعتِهِمْ، وَعَبَّرَ عَن ذَلِكَ بِالْعَدِيدِ مِنَ الْمَعْنَى الدّالّةِ، فَالْمَمْدُوحُ دَائِمُ الإِقْدَامِ
والمُهَاجِمَةُ وَالكَرُّ فِي حُرُوبِهِ، وَلَا يَعْرِفُ الْفِرَارَ وَالْهَرَبَ وَالتَّرَاجُعَ مِنْ وَجْهِ الأَعْدَاءِ، كَمَا أَنَّ
الغُبَارَ الَّذِي يَتَطَايَرُ وَيَتَنَاطَرُ مِنْ أَرْضِ المَعْرَكَةِ فِي الجوِّ خِلَالَ احتِدَامِ اللّقَاءِ يَتَرَاكُمُ؛ لِكثَافَتِهِ، فَوْقَ
الدَّرْعِ الَّذِي يَحْتَمِي بِهِ مِنْ ضَرَبَاتِ الأَعْدَاءِ، وَذَلِكَ كِنَايَةٌ عَن شِدَّةِ المَعْرَكَةِ وَقُوَّتِهَا، إِضَافَةً إِلَى
ذَلِكَ فَهُوَ نَشِيطٌ دَائِمُ الحَرَكَةِ وَالتَّنَقُّلِ، وَلَا يَنْبُتُ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ خِلَالَ المَعْرَكَةِ، وَكَأَنَّهُ مَسْؤُولٌ عَن
إِدَارَةِ الجَيْشِ وَتَسْيِيرِ شُؤُونِهِ المُخْتَلِفَةِ، يقول: (3)

(1) الوأء: ديوانه، ص 27.

(2) المصدر السابق، ص 219.

(3) المصدر السابق، ص 96-97.

[الخفيف]

خَاطِرًا لَا تَرَاهُ يَعْرِفُ فِي الْكُ
تَارِكًا حَلَّةَ الْحَدِيدِ مِنَ النَّقْ
رَّ فِرَارًا بِالْأَسْمَرِ الْخَطَّارِ
عَ عَلَيْهِ فِي حَلَّةٍ مِنْ غُبَارِ
بِ وَلَكِنَّهُ سَرِيعُ الْمَدَارِ
وَيُكْرَرُ الْمَعْنَى الْوَارِدِ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ فِي قَوْلِهِ: (1)

[البسيط]

لَا يَخْطُرُ الْفَرُّ فِي كَرِّ بِخَاطِرِهِ
وَدَكَرُ الْعَقِيقِيِّ يَبْعَثُ الْخَوْفَ وَالرُّعْبَ فِي نَفُوسِ الْأَعْدَاءِ، وَلِذَلِكَ تَأْتِيهِ الْمَنَايَا بِأَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ
مُسَالِمَةً تَسْتَجِدِيهِ بِأَنْ يَبْتَعِدَ عَنْهَا، وَأَلَّا يُلْحِقَ الضَّرَرَ بِهَا، وَمِمَّا زَادَ مِنْ جَمَالِ هَذِهِ الصُّورَةِ وَقُوَّتِهَا
اخْتِيَارُ الشَّاعِرِ لِمُفْرَدَتَيْنِ، هُمَا: أَسْيَافُهُ، وَفِرْقَا، أَمَّا أَوْلَاهُمَا، فَقَدْ اسْتَعْمَلَهَا لِلتَّجْدِيلِ عَلَى قُوَّةِ
الْمَمْدُوحِ وَبَأْسِهِ وَبَطْشِهِ، وَأَمَّا ثَانِيَتُهُمَا، فَلِلدَّلَالَةِ عَلَى كَثْرَةِ أَعْدَادِ الْخَائِفِينَ وَالْمُرْتَجِفِينَ مِنْهُ، وَعَلَى
أَنَّ الْخَوْفَ مِنْهُ عَامٌّ شَامِلٌ، يَقُولُ: (2)

[البسيط]

تَأْتِي الْمَنَايَا إِلَى أَسْيَافِهِ فِرْقًا
وَالْمَمْدُوحُ قَوِيٌّ إِلَى الدَّرَجَةِ الَّتِي اعْتَرَفَتْ فِيهَا الْمَنَايَا ذَاتُهَا بِأَنَّ الْأَفْضَلِيَّةَ الْعَسْكَرِيَّةَ لَهُ،
ذَلِكَ أَنَّ سَيُوفَهُ تَقْتُلُ الْأَعْدَاءَ الَّذِينَ يَحَارِبُونَهُ وَهُمْ واقِفُونَ عَلَى أَرْجُلِهِمْ، وَأَنَّ رِمَاحَهُ تُنْزِلُ الْفُرْسَانَ
الَّذِينَ يُقَاتِلُونَهُ عَنْ ظُهُورِ جِيَادِهِمْ وَتَلْحَقُ فِيهِمْ الذُّلُّ وَالْهَوَانُ، يَقُولُ فِي سَيْفِ الدَّوْلَةِ: (3)

[الطويل]

وقد كتبت أيدي المنايا وأعربت
لئن أقعدت أسيافه كل قائم
بشكل العوالي فوق خط القواضب
فقد أرجلت أرماحه كل راكب

(1) الواواء: ديوانه، ص 195.

(2) المصدر السابق، ص 195.

(3) المصدر السابق، ص 21.

وَجَعَلَ الشَّاعِرُ الأَمِيرَ الحَمْدَانِيَّ سَيْفًا قَوِيًّا قَاطِعًا، ضَرَبْتُهُ لَأُتَخَطِيءَ هَدَفَهَا، وَذَلِكَ فِي

قَوْلِهِ: (1)

[الطويل]

هُوَ السَّيْفُ إِلا أَنَّهُ لَيْسَ نَابِيًا إِذَا عَاقَهُ المَقْدُورُ عَن كُلِّ ضَارِبٍ
وَخِلَالَ المَعَارِكِ فَإِنَّهُ مَا إِن يَسْتَلَّ سَيْفُ الدَّوْلَةِ وَجُنُودُهُ السُّيُوفَ مِن أَغْمَادِهَا، حَتَّى تَتَسَاقَطَ
رُؤُوسُ الأَعْدَاءِ عَلَى الأَرْضِ كَالمَطَرِ، وَفِي هَذَا دِلَالَةٌ كَبِيرَةٌ عَلَى قُوَّتِهِمْ وَقَسْوَتِهِمْ وَشِدَّتِهِمْ
وَبِرَاعَتِهِمْ فِي القِتَالِ، وَلِإِظْهَارِ هَذِهِ السَّمَاتِ يَطْلُبُ الشَّاعِرُ إِلَى مَمْدُوحِهِ أَنْ يُرِيحَ تِلْكَ السُّيُوفَ؛
لَأَنَّ مَضَارِبَهَا أَصْبَحَتْ ضَامِرَةً هَزِيلَةً ضَعِيفَةً؛ نَتِيجَةً لِكثْرَةِ اسْتِعْمَالِهَا، وَإِذَا كَانَتْ السُّيُوفُ قَدْ
ضَمَرَتْ وَهَزَلَتْ، فَإِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ وَجُنُودَهُ مُحَافِظُونَ عَلَى قَوَاهِمِ، وَفِي هَذَا مَزِيدٌ بَيَانٍ لِقُوَّتِهِمْ
وَشِدَّةِ جُلْدِهِمْ وَصَبْرِهِمْ، وَتَحْمَلِهِمْ أَهْوَالَ المَعَارِكِ، يَقُولُ: (2)

[الطويل]

إِذَا أُبْرِقَتْ ضَرْبًا سَيُوفُكَ أَمْطَرْتُ
بِمَا انْهَلَّ مِن كَفْيِكَ فِي ذَلِكَ النُّدَى
أَرْحَهَا قَلِيلًا كَي تَقَرَّ فَإِنَّهَا
مِن الضَّرْبِ أَمْسَتْ نَاحِلَاتِ المَضَارِبِ
رُؤُوسَ الأَعْدَادِ فَوْقَ أَرْضِ المَصَابِ
وَمَا حَمَلْتَهُ مِن قَنَاءٍ وَقَوَاضِبِ
وَالشَّاعِرُ يَطْلُبُ مِن مَمْدُوحِهِ أَنْ يَتْرُكَ سَيُوفَهُ مُرْتَاحَةً فِي أَغْمَادِهَا، وَأَنْ يَدْرَ القِتَالَ وَالعِرَاكَ، ذَلِكَ
أَنَّهُ لَمْ يَبِيقَ لَهُ أَعْدَاءٌ وَخُصُومٌ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الأَعْدَاءِ احْتَمَوْا بِهِ وَطَلَبُوا إِلَيْهِ الأَمْنَ وَالأَمَانَ وَالسَّلَامَ؛
لِشِدَّةِ المُعَانَاةِ الَّتِي عَاشَوْهَا بِسَبَبِهِ، وَكثْرَةِ الأَهْوَالِ الَّتِي أَنْزَلَهَا بِهِمْ: (3)

[البيسيط]

نَرِ الصَّوَارِمَ فِي أَغْمَادِهَا فَالْقَدْ
أَمْسَتْ نُفُوسُ المَنَائِيَا فِي حِمَاهُ حِمَى

(1) الواوَاء: ديوانه، ص 27.

(2) المصدر السابق، ص 22-23.

(3) المصدر السابق، ص 196.

وَالْمَمْدُوحُ يَنْظُرُ إِلَى الدُّرُوعِ الحَدِيدِيَّةِ عَلَى أَنَّهَا كَالثِّيَابِ الْأَسَاسِيَّةِ الَّتِي يَرْتَدِيهَا الْإِنْسَانُ
تَحْتَ الثَّوْبِ الْخَارِجِيِّ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ (غلائل)⁽¹⁾، وَهَذَا يُدَلِّلُ عَلَى أَنَّهُ فِي حَالَةِ اسْتِعْدَادٍ
دَائِمَةٍ لِلْحَرْبِ وَالنِّزَالِ، يَقُولُ فِي سَيْفِ الدَّوْلَةِ: (2)

[الطويل]

إِلَى مَنْ يَرَى أَنَّ الدُّرُوعَ غَلَائِلُ وَأَنَّ رُكُوبَ الْمَوْتِ خَيْرُ الْمَرَائِبِ
وَفِي قَانُونِ هَذَا الْأَمِيرِ لَا يَجُوزُ أَنْ يَسْتَعْمَلَ الرَّمَّاحَ فِي الْمَعْرَكَةِ وَأَنْ يُعِيدَهَا إِلَى جَعْبَتِهِ
إِلَّا وَهِيَ مُبْتَلَّةٌ بِالدَّمَاءِ، وَمَصْبُوعَةٌ بِلَوْنِهَا الْأَحْمَرَ الْقَانِي، يَقُولُ: (3)

[الطويل]

حَرَامٌ عَلَيْهِ أَنْ يَرُدَّ رَمَاحَهُ مِنْ الطَّعْنِ إِلَّا وَهِيَ حَمْرُ الثَّعَالِبِ⁽⁴⁾
وَجَعَلَ الشَّاعِرُ تُرَابَ أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ الْأَحْمَرَ اللَّوْنِ بِفِعْلِ تَشْرَبُهُ دِمَاءَ الْقَتْلَى وَالْجَرْحَى
الَّتِي سَأَلَتْ، جَعَلَهُ يَصْبُغُ أَيَادِيَ الْخِيُولِ وَحَوَافِرَهَا، وَذَلِكَ كِنَايَةً عَنْ شِدَّةِ تِلْكَ الْمَعَارِكِ وَقَسْوَتِهَا،
وَعَنْ كَثْرَةِ الْقَتْلَى وَالْجَرْحَى الَّذِينَ سَقَطُوا فِيهَا، يَقُولُ: (5)

[الطويل]

وَتَصْبُغُ أَيَادِيَ النَّقْعِ أَيَادِيَ خِيُولِهِ بِمُحْمَرٍ تُرَبِّ مِنْ نَجِيعِ التَّرَائِبِ⁽⁶⁾
وَأَشَارَ إِلَى كَثْرَةِ الْحُرُوبِ وَالْمَعَارِكِ الَّتِي خَاضَهَا مَمْدُوحُهُ فِي حَيَاتِهِ، وَكَثْرَةِ الْقَتْلَى الَّذِينَ
تَنَسَّقَطُ رُؤُوسُهُمْ عَلَى أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ كَالْمَطَرِ الْغَزِيرِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: (7)

(1) مصطفى إبراهيم، وآخرون: المعجم الوسيط، مادة (غلّ).

(2) الواواء: ديوانه، ص 20.

(3) المصدر السابق، ص 22.

(4) الثعالب: مفردها ثعلب، وهو طرف الرمح الداخل في جبّة السنان. ابن منظور: لسان العرب، مادة (ثعلب).

(5) الواواء: ديوانه، ص 27.

(6) النجيع: الدم. ابن منظور: لسان العرب، مادة (نجع). الترائب: أربع أضلاع من يمينه الصدر وأربع من يسرته، وقال

أهل اللغة: الترائب موضع القلادة من الصدر. المصدر السابق، مادة (ترب).

(7) الواواء: ديوانه، ص 28.

[الطويل]

وكم خاض نفعاً يُمطرُ الهامَ وقُعهُ إلى الموتِ في صفِّي فناً وقواضبِ
والممدوحُ دائمُ الشوقِ والحنينِ للقتالِ والطَّعانِ، لكنَّهُ لا يُقاتِلُ الضُّعفاءَ والأذلاءَ، بلْ يَلتزمُ
بِقِتالِ الأقوياءِ الأشداءِ المُتَكبرينَ، وأصحابِ الجاهِ والسُّلطانِ، وَقَدْ وَفَّقَ الشَّاعِرُ في هذا البيتِ في
إبرازِ قُوَّةِ مَمْدوحِهِ وشِجاعتِهِ، وَيَتَّضِحُ ذَلِكَ في قولِهِ: (1)

[البيسيط]

صَبَّ إلى شُرْبِ ماءِ الطَّغْنِ فِيهِ فَمَا نَراهُ إِلا بِصَيْدِ الصَّيْدِ مُلتَزِماً (2)
ثالثاً: العِزُّ والمَجْدُ وشَرَفُ النَّسَبِ:

يُرَكِّزُ الوأواءُ على إبرازِ سِمَةِ العِزِّ وَالْمَجْدِ، وَعُلُوِّ النَّسَبِ، والشَّرَفِ العَرِيقِ السَّامِي التِي
يَتَّسِمُ بِها كُلُّ مِمْدُوحِيهِ، وَذَلِكَ في العَدِيدِ مِنَ الأبياتِ، وَمِنْها قولُهُ في الأَميرِ العَقِيقِيِّ: (3)

[البيسيط]

سَمَّا بِهِ الشَّرَفُ السَّامِي فَصارَ بِهِ مُخيمًا فَوْقَ أَطباقِ العُلَى خِيماناً
وقولُهُ: (4)

[البيسيط]

هذا ابنُ خَيْرِ الوَرى مِنْ بَعْدِ خَيْرِهِمْ هذا الَّذي كَتَبَتْ ((لا)) كَفُّهُ ((نَعْمًا))
وقولُهُ: (5)

(1) الوأواء: ديوانه، ص 195.

(2) الصَّيْدُ: جمعُ الأَصْيَدِ، وهو المُتَكَبِّرُ المَزهُوُّ بِنَفْسِهِ، وكلُّ ذِي حَوْلٍ وطُولٍ مِنَ ذَوِي السُّلطانِ. مصطفى، إبراهيم
وآخرون: المعجم الوسيط، مادة (صيد).

(3) الوأواء: ديوانه، ص 194.

(4) المصدر السابق، ص 195.

(5) المصدر السابق، ص 196.

[البسيط]

يا مُعَلِّمًا بِطِرَازِ الْحُسْنِ نَسْبَتَهُ وَمَنْ غَدَا بَيْنَ أَيْتَاءِ الْعُلَى عَمَّا
وَقَوْلُهُ فِي سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْحَمْدَانِي: (1)

[المنسرح]

عَلَوْتَ فِي الْمَجْدِ كُلِّ مَكْرَمَةٍ كُنْتَ بِهَا ثَالِثَ السَّمَاكِينِ (2)
وَلَمْ يَنْسَ الْوَأْوَاءُ أَنْ يُشِيرَ إِلَى انْتِسَابِ الْعَقِيقِيِّ إِلَى الْبَيْتِ الْعَلَوِيِّ الَّذِي اِكْتَسَبَ مِنْهُ عَلَوُ
الْهَمَّةِ، وَالْمَجْدَ وَالْفَخَارَ وَشَرَفَ النَّسَبِ، وَالْمَنْزِلَةَ الرَّفِيعَةَ الْمُمَيَّزَةَ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: (3)

[الخفيف]

عَلَوِيٌّ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ تَعَالَوْا، دُونَ أَقْدَارِهِمْ، عَلَى الْأَقْدَارِ
ضَرَبْتَ كَفَّهُ لَهُ فِي رَبِيِّ الْمَجْ دِ رُوقًا مُطَنَّبًا بِالْفَخَارِ
وَقَدْ أَشَارَ إِلَى الْمَنْزِلَةِ الْعَظِيمَةِ الْمُتَمَيِّزَةِ الَّتِي يَحْتُلُّهَا هَذَا الْأَمِيرُ بَيْنَ النَّاسِ، وَالَّتِي اِكْتَسَبَهَا
مِنْ حُرُوبِهِ مَعَ أَعْدَائِهِ وَانْتِصَارَاتِهِ عَلَيْهِمْ، فَجَعَلَهَا تَفُوقُ مَنْزِلَةَ الثُّرَيَّا بَيْنَ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ، يَقُولُ
مُخَاطِبًا الْعَقِيقِيَّ: (4)

[الكامل]

وَعَلَوْتَ مِنْ شَرَفِ النَّزَالِ بِمَنْزِلِ جَعَلَ الثُّرَيَّا فِي ثَرَاهُ كَمِينَا (5)
وَمِمَّا يُدَلُّ عَلَى مَقْدَرَةِ الشَّاعِرِ الْفَنِّيَّةِ أَنَّهُ جَمَعَ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ أَرْبَعَ صُورٍ تَشْتَمِلُ كُلُّ
وَاحِدَةٍ مِنْهَا عَلَى صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الْعَقِيقِيِّ، فَهُوَ جَمِيلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، قَوِيٌّ شَجَاعٌ مَقْدَامٌ، كَرِيمٌ
جَوَادٌ، لَيِّنٌ فِي التَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ مُتَسَاهِلٌ مُتَسَامِحٌ مَعَهُمْ، وَيَبْدُو ذَلِكَ جَلِيًّا فِي قَوْلِهِ: (6)

(1) الوأواء: ديوانه، ص222.

(2) السَّمَاكِين: نَجْمَانِ نِيْرَانِ فِي السَّمَاءِ. ابْنُ مَنْظُورٍ: لِسَانِ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (سَمَك).

(3) الوأواء: ديوانه، ص96.

(4) المصدر السابق، ص218.

(5) الثُّرَيَّا: مَجْمُوعَةٌ مِنَ النُّجُومِ فِي صُورَةِ الثُّورِ، وَكَلِمَةُ النُّجُومِ عِلْمٌ عَلَيْهَا. مُصْطَفَى، إِبْرَاهِيمُ وَآخَرُونَ: الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ،
مَادَّةُ (ثُرَي).

(6) الوأواء: ديوانه، ص218.

[الكامل]

كَالشَّمْسِ حُسْنًا وَالْحُسَامِ خُشُونَةً وَالْمُزْنَ جُودًا وَالْأَرَكَةَ لِينًا
هَذِهِ هِيَ الْمَثَالِيَةُ الْخُلُقِيَّةُ النَّقِيَّةُ الصَّافِيَةُ الْخَالِصَةُ مِنْ أَيَّةِ سَيِّئَةٍ أَوْ مَذْمَمَةٍ، الَّتِي يَنْتَسِمُ بِهَا
الشَّرِيفُ الْعَقِيقِيُّ، يَقُولُ الشَّاعِرُ مُعْبِرًا عَنِ هَذَا الْمَعْنَى: (1)

[الخفيف]

حَسَنَاتٌ لَمْ تَتَّصِلْ بِمَسَاوِيٍّ تَتَّقِضِّي تَقْضِي الْأَوْطَارِ
مَا حَوَتْ هَذِهِ الْمَنَاقِبَ إِلَّا بِاقْتِدَارٍ مِنْهَا عَلَى الْاِقْتِدَارِ
وَلَمْ يَنْسَ أَنْ يُشِيرَ إِلَى نَسَبِ مَمْدُوحِهِ الْحَمْدَانِيِّ بِشَيْءٍ مِنَ الْاِفْتِخَارِ، فَهُوَ تَغْلِيْبِيُّ الْأَبِ
وَالْأُمِّ، يَقُولُ: (2)

[المنسرح]

وَيَا هِلَالًا بَدَتْ مَطَالِعُهُ فِي أَفْقِ بَدْرَيْنِ تَغْلِيْبِيَيْنِ !
وَسَيْفُ الدَّوْلَةِ يَنْتَسِمُ بِالْعِزِّ وَالْمَجْدِ وَرَفِضِ الذُّلِّ وَالْهَوَانِ، وَبِأَنَّهُ مِعْوَانٌ عَلَى الْخَيْرِ، وَأَنَّهُ
يُمَثِّلُ قُوَّةَ اللَّهِ الَّتِي لَا تُهْزَمُ فِي الْأَرْضِ، لِذَلِكَ فَالشَّاعِرُ يَدْعُو كُلَّ مَنْ يَحْتَاجُ الْعَوْنَ وَالْمُسَاعَدَةَ فِي
كُلِّ شَأْنٍ مِنْ شُؤُونِ الْحَيَاةِ أَنْ يَلْجَأَ إِلَيْهِ وَيَطْرُقَ بَابَهُ، يَقُولُ: (3)

[الطويل]

إِذَا شِئْتَ عَوْنًا لَا يَنْزِلُ لِحَادِثٍ فَنَادِ عَلَيَّ اسْمَ اللَّهِ: ((يَا سَيْفَ غَالِبٍ!))
وَتَحْتَ قِيَادَةِ هَذَا الْأَمِيرِ الْحَمْدَانِيِّ تَحَوَّلَتْ حَالَةُ الْأُمَّةِ مِنَ الذُّلِّ وَالْهَوَانِ، إِلَى الْعِزِّ وَالْمَجْدِ
وَالشُّمُوحِ، وَقَدْ عَبَّرَ الْوَأْوَاءُ عَنِ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ خِلَالِ اسْتِعْمَالِ الْكِنَايَةِ فِي قَوْلِهِ: (4)

(1) الواوَاء: ديوانه، ص 97.

(2) المصدر السابق، ص 222.

(3) المصدر السابق، ص 28.

(4) المصدر السابق، ص 21.

[الطويل]

فتى ألبس الأيام ثوباً شبيبةً وكانت قديماً في جلابيب شائب

رابعاً: صفات أخرى:

هُنَاكَ الْعَدِيدُ مِنَ الصِّفَاتِ الْآخَرَى الَّتِي خَصَّ الشَّاعِرُ بِهَا مَمْدُوحَهُ الْأَمِيرَ الْحَمْدَانِيَّ وَأَسْبَغَهَا عَلَيْهِ، فَقَدْ وَسَمَهُ بِالْقُدْرَةِ عَلَى اسْتِشْرَافِ الْمُسْتَقْبَلِ، فَهُوَ رَجُلٌ حَكِيمٌ خَبِيرٌ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ، وَرَجُلٌ ذَكِيٌّ لِمَا حِ يَمْتَلِكُ نَظْرًا ثَاقِبًا، وَيَفْهَمُ حَاجَةَ الرَّجُلِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَمَعَ إِلَيْهِ، وَوَسَمَهُ بِأَنَّهُ رَاجِحُ الْعَقْلِ مَسْؤُولٌ عَمَّا يَفُومُ بِهِ مِنْ أَعْمَالٍ، كَمَا أَنَّهُ يَعْرِفُ عَوَاقِبَهَا جَيِّدًا قَبْلَ فِعْلِهَا، يَقُولُ: (1)

[الطويل]

يَكَادُ يُرِيكَ الشَّيْءَ قَبْلَ عِيَانِهِ وَيَقْضِي لَكَ الْحَاجَاتِ قَبْلَ الْمَطَالِبِ
إِذَا مَا انْبَرَى فِي هَفْوَةِ الْفِكْرِ رَأْيُهُ رَأَى بَعِيَانِ الرَّأْيِ مَا فِي الْعَوَاقِبِ
تَعْوِذُهُ أَعْدَاؤُهُ مِنْ ذَكَائِهِ إِذَا مَا اِكْتَفَى بِالرَّأْيِ دُونَ التَّجَارِبِ
وَأَشَارَ إِلَى أَنَّهُ يَمْتَلِكُ صِفَةً جَلِيلَةً عَظِيمَةً لَا تُوْجَدُ إِلَّا عِنْدَ الْقَادَةِ الْعِظَامِ وَذَوِي الْهَمَمِ الْعَالِيَةِ وَالنَّفُوسِ الْأَبِيَّةِ، أَلَا وَهِيَ الْعَفْوُ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: (2)

[الطويل]

رَكُوبٌ لِأَعْنَاقِ الْأُمُورِ إِذَا سَطَا عَفَا بِاِقْتِدَارٍ حِينَ يَسْطُو بِوَأَجِبِ
تَبَرُّزُ مِنْ خِلَالِ مَا تَقَدَّمَ الْمَثَالِيَّةُ الْخُلْفِيَّةُ فِي مَدْحِ الْوَأَوَاءِ الدَّمَشَقِيِّ لِلشَّرِيفِ الْعَقِيْقِيِّ وَلسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْحَمْدَانِيَّ فِي أَبْهَى تَجَلِّيَاتِهَا وَحُلَّلِهَا، غَيْرَ أَنَّ الْمَعَانِي الَّتِي امْتَدَحَهَا بِهَا (الكَرَمَ، وَالْقُوَّةَ وَالشَّجَاعَةَ، وَالْعِزَّ وَالْمَجْدَ وَشَرَفَ النَّسَبِ) كُلُّهَا مَعَانٍ تَقْلِيدِيَّةٍ تَقْتَدُّ إِلَى الْحَدَاثَةِ وَالْجَدَّةِ، فَهِيَ لَا تَخْتَلِفُ عَنْ مَعَانِي الْمَدَّاحِينَ السَّابِقِينَ إِلَّا فِي الْأَسْلُوبِ الْمُنْبَعِ فِي صِيَاقِهَا، وَيُلاحِظُ، كَذَلِكَ، أَنَّ سِمَةَ الْمُبَالَغَةِ قَدْ شَاعَتْ فِي مَدَائِحِهِ، حَيْثُ اسْتَعْمَلَهَا لِيشْعِرَ الْمَمْدُوحَ بِالتَّفُوقِ عَلَى سَائِرِ الْخُفَّاءِ وَالْأَمْرَاءِ، فَيُضَاعَفُ لَهُ مِنْ عَطَائِهِ وَنَوَالِهِ.

(1) الواوَاء: ديوانه، ص22.

(2) المصدر السابق، ص22.

المبحث الرابع

وصف الخمر

لقد عرفت العربُ الخمرَ وأكبت على شربها ومعاقرتها منذُ الجاهلية وما قبلها، ومُنذُ ذلك الحين تعلقَ بها الشعراءُ وعكفوا على شربها، وأقدموا على وصفها ووصف كلِّ ما يتعلَّقُ فيها بشيءٍ من التفصيل، وفي صدرِ الإسلامِ ابتعدَ الناسُ عنها، ونفروا منها، ونظروا إليها نظرةً سلبيةً بفعلِ تأثيرِ العاملِ الدينيِّ، غيرَ أنَّ تعلقهمُ بها عادَ من جديدٍ في عصرِ بني أمية، حيثُ استحضرها الشعراءُ في أشعارهم، ووصفوها وصفاً دقيقاً شاملاً، وذلك نتيجةً طبيعيةً للفُتوحِ الإسلاميَّةِ التي اشتعلتْ جذوتها في تلكِ الفترةِ مِنَ الزَّمنِ، وما ترتَّبَ عليها من اطلاعٍ على حضاراتِ الأممِ الأخرى وصُورِ ترفها وتمدُّنها، وفي ظلِّ هذهِ الظروفِ والأوضاعِ بدأ تأثيرُ الدينِ الإسلاميِّ يَضعُفُ في نفوسِ أبنائه شيئاً فشيئاً، لذا أخذوا ينجرون إلى الاستمتاعِ بالحياةِ ومُغربياتها ولذائذها، ومن بينها الخمرُ (1).

واستمرَّ الوضعُ على هذهِ الحالِ إلى العصرِ العباسيِّ، حيثُ تزايدَ انتشارُ الخمرِ بينِ الناسِ، وكثرتِ الحاناتُ والدياراتُ (2) ومجالسُ الشرابِ والمجونِ والتهتكِ والخلاعة (3)، حيثُ عدتِ الخمرُ في ذلكِ الزَّمانِ من لذائذِ الحياةِ وأطيبها، فقد قالَ أحدُهم: "لم يبق من لذات الدنيا إلا أربعة: مجالسة الإخوان، ومناسبة الولدان، وملامسة النسوان، ومداولة الكأس مع الندمان" (4)، وسئلَ بعضهم "ما العيش؟ فقال: لون مشبع، ومغنٍ ممتع، وكأس مترع، ونديم مقنع" (5).

(1) يُنظر: ضيف، شوقي: العصر الإسلامي، ط7، مصر: دار المعارف، (د.ت)، ص377.

(2) هي بيوت ومبانٍ كانت تقام في أجمل المواقع وأحسنها؛ تحفُّ بها بساتين الفواكه والكروم وتكون فيها الحانات ودور الضيافة. وكان يقصدها أهل الخلاعة والمجون للشرب في حاناتها والتمتع بفتيانها وفتياتها والغزل بغلمانها والتهتك بهم. بكار، يوسف حسين: اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، ط2، دار الأندلس، 1981، ص235. للاطلاع على أشهر الديارات التي كانت شائعة في العصر العباسي، يُنظر: الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد: الديارات، تح: كوركيس عواد، ط3، سورية: دار المدى، 2008.

(3) يُنظر: ضيف، شوقي: العصر العباسي الثاني، ص92.

(4) الراغب الأصبهاني، أبو القاسم حسين بن محمد: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1961، 696/2.

(5) المصدر السابق، 696/2.

وَاهْتَمُّوا، كَذَلِكَ، بِالنَّدِيمِ الَّذِي يَحْضُرُ مَجْلِسَ الشَّرَابِ وَيُشَارِكُ فِيهِ، حَيْثُ حَدَّدُوا لَهُ سِمَاتٍ
يَنْبَغِي أَنْ تَتَوَافَرَ بِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ سَهْلِ بْنِ هَارُونَ: "يَنْبَغِي لِلنَّدِيمِ أَنْ يَكُونَ كَأَنَّما خُلِقَ مِنْ قَلْبِ
الْمَلِكِ يَتَصَرَّفُ بِشَهْوَاتِهِ وَيَتَقَلَّبُ بِإِرَادَتِهِ، لَا يَمَلُّ الْمَعَاشِرَةَ، وَلَا يَسْأَمُ الْمَسَامِرَةَ، إِذَا انْتَشَى يَحْفَظُ،
وَإِذَا صَحَا يَبْقَظُ، وَيَكُونُ كَأَنَّما لَسْرَهُ، نَاشِراً لِبِزِهِ"⁽¹⁾.

وَكَثِيراً مَا كَانَتْ مَجَالِسُ الْخَمْرِ تُعْقَدُ فِي جَوِّ الطَّبِيعَةِ فِي الرِّيَاضِ وَالْبَسَاتِينِ بَيْنَ الْوُرُودِ
وَالْأَزْهَارِ وَالْأَشْجَارِ، حَيْثُ لَا يَحُلُو الشَّرَابُ إِلَّا تَحْتَ الظَّلَالِ الرَّطِيبَةِ وَالْأَغْصَانِ الْمُمتَدَّةِ، وَفِي
نُورِ الْقَمَرِ وَعِنْدَ ذَهَابِ الْأَصِيلِ⁽²⁾، وَقَدْ صرَّحَ الْوَأْوَاءُ الدَّمَشْقِيُّ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:⁽³⁾

[الكامل]

وَاشْرَبْ عَلَى زَهْرِ الرِّيَاضِ مُدَامَةً تَنْفِي الْهُمُومَ بِعَاجِلِ السَّرَاءِ
وَقَوْلِهِ:⁽⁴⁾

[مجزوء الخفيف]

وَحَدِيثٍ كَأَنَّه أُوْبِيَّةٌ مِنْ مُسَافِرِ
كَانَ أَحْلَى مِنَ الرُّقَا دَ عَلَى جَفْنِ سَاهِرِ
بِتُّ أَلْهُو بِطِيبِهِ فِي رِيَاضِ زَوَاهِرِ
بَيْنَ سَاقٍ وَسَامِرِ وَمَغْنَنٌ وَزَامِرِ

وَهَا هُوَ ذَا يَدْعُو مَنْ يَسْمَعُهُ إِلَى مُعَاقَرَةِ الْخَمْرِ وَالتَّمَتُّعِ بِهَا مُغْتَنِمًا وَجُودَهُ فِي إِحْدَى
الرِّيَاضِ بَيْنَ الْوُرُودِ وَالْأَزْهَارِ وَالْقِيَانِ وَالْمُغْنِيَّاتِ، يَقُولُ:⁽⁵⁾

(1) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة: مطابع كوستاتسوماس وشركاه،
(د.ت)، 126/4.

(2) يُنظَر: الشكعة، مصطفى: فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، ص245. حاوي، إيليا: فن الشعر الخمري وتطوره عند
العرب، ص266.

(3) الوأواء: ديوانه: ص5.

(4) المصدر السابق، ص100.

(5) المصدر السابق، ص85-86.

[مجزوء الكامل]

اشْرَبَ عَلَى وَرْدَيْنِ قَدْ وَصِلاَ بِعَيْشٍ مُسْتَجِدِّ
وَرْدِ الرِّيَاضِ - وَنَزْهَةً ال الْحَاظِ فِيهِ - وَوَرْدِ خَدِّ
وَاصِلُهُمَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرْمِيكَ وَصَلُهُمَا بِصَدِّ
إِنِّي أَرَى الْإَيَّامَ تُن ذُرْنَا بِعَيْشٍ مُسْتَرَدِّ
فَأَسْتَعْنِمُ الْعَيْشَ الْمُعَا رَ لَهَا فَمَا تُوفِي بَعْهَدِ

وَقَدْ تَعَلَّقَ الْوَأْوَاءُ بِالْخَمْرِ تَعَلُّقًا كَبِيرًا، وَشَغِفَ بِهَا شَغْفًا عَظِيمًا، وَعَكَفَ عَلَى شُرْبِهَا وَمَعَاقَرَتِهَا، فَهِيَ تُمَثِّلُ وَجْهًا مِنْ وَجُوهِ فَسَقِهِ وَمَجُونِهِ وَخَلَاعَتِهِ، ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو إِلَى الْاسْتِمَاعِ بِلَذَائِدِ الْحَيَاةِ وَأَطْيَابِهَا دُونَ حُدُودٍ أَوْ ضَوَائِبٍ، فَهِيَ هُوَ ذَا يَقُولُ: (1)

[مجزوء الرمل]

لَا تُضِغْ يَا صَاحِ لَذَا تِيكَ فَالْعُمْرُ قَصِيرُ
نَلْ مِنْ اللَّذَاتِ مَا تَب غِيْهِ وَاللَّهُ غَفُورُ

كَمَا أَنَّهُ يَقْصُرُ الْحَيَاةَ عَلَى شُرْبِ الْخَمْرِ، وَالْاسْتِمَاعِ إِلَى الْمَوْسِيقَى وَالْغِنَاءِ، وَقَضَاءِ الْوَقْتِ فِي الرِّيَاضِ حَيْثُ يَقُولُ: (2)

[الكامل]

مَا الْعَيْشُ إِلَّا فِي الرِّيَاضِ وَمُسْمِعِ غَرْدٍ وَسَاقٍ إِنْ سَقَى لَمْ يَعْدِلِ
فَإِذَا دَعَاكَ الْعَيْشُ فِي خَلْسَاتِهِ فَارْكُضْ إِلَيْهِ فِي الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ

وَهُوَ يَسْجُدُ لِلْخَمْرِ وَكَأَنَّهُ يَعْبُدُهَا، وَاتِّجَاهُ الْقِبْلَةِ عِنْدَهُ حَيْثُمَا تَكُونُ كَأْسُ الشَّرَابِ، يَقُولُ: (3)

[الخفيف]

سَاطِئِلُ السُّجُودِ فِي قِبْلَةِ الْكَأ سِ بِتَسْبِيحِ أَلْسُنِ الْعِيدَانِ

(1) الوأواء: ديوانه، ص109.

(2) المصدر السابق، ص176.

(3) المصدر السابق، ص244.

وَمِنْ مُنْطَلَقِ تَعَلُّقِهِ بِالْخَمْرِ، فَإِنَّهُ نَظَّمَ الْعَدِيدَ مِنَ الْقَصَائِدِ وَالْمَقْطُوعَاتِ الشَّعْرِيَّةِ الْخَمْرِيَّةِ
الَّتِي تَشْتَمِلُ عَلَى وَصْفٍ دَقِيقٍ لِلْخَمْرِ، لَوْنِهَا، وَمَا يَطْرَأُ عَلَيْهَا مِنْ تَغْيِيرٍ عِنْدَ مَزْجِهَا بِالْمَاءِ،
وَأَثَرِهَا فِي نَفُوسِ شَارِبِيهَا، كَمَا أَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى وَصْفٍ لِمَجَالِسِهَا وَسُقَاتِهَا، إِضَافَةً إِلَى أَنَّهَا
تَشْتَمِلُ عَلَى مُعْجَمٍ ضَمَّ قِسْمًا كَبِيرًا مِنْ أَسْمَائِهَا، وَكَأَنَّهُ يَعَشِقُ الْخَمْرَ وَيَتَلَذَّذُ بِهَا فِي جَمِيعِ حَالَاتِهَا،
وَمِنْ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ: رَاحٍ، وَشَرَابٍ، وَمُدَامَةٌ، وَعَقَارٌ، وَصَبُوحٌ، وَمُشْعَشَعَةٌ، وَبِكْرٌ، وَقَهْوَةٌ، وَغَبُوقٌ،
وَشَمُولٌ، وَحَمِيَاءٌ، وَبِنْتُ كَرْمٍ، وَذَبِيحَةُ الْمَاءِ ...

كَمَا أَنَّهُ ذَكَرَ الْعَدِيدَ مِنْ أَدْوَاتِهَا وَأَوَانِيهَا، وَمِنْهَا: الْكَأْسُ، وَالْكَوْبُ، وَالْقَدْحُ، وَالزَّيْرُ،
وَالْجَامُ⁽¹⁾، وَالذَّنَانُ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَصِفْ مِنْهَا إِلَّا الْكَأْسَ وَذَلِكَ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ مِنْ شِعْرِهِ، حَيْثُ شَبَّهَهُ
بِالْهَالِ فِي قَوْلِهِ: (2)

[الخفيف]

وَتَرَى الْكَأْسَ دَائِرًا كَهَالِلاً سَارَ فِيهِ الْمِحَاقُ عِنْدَ الْكَمَالِ
وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَ يُفَضِّلُ شُرْبَ الْخَمْرِ الْمُعْتَقَّةِ الْقَدِيمَةِ، ذَلِكَ أَنَّ الْخَمْرَ الْأَصِيلَةَ الْكَرِيمَةَ "هي
الخمير التي قدم العهد بها، والتي اكتمل اختمارها وتركت مغلقة محكمة الإغلاق، مدفونة في
الرمال زمناً طويلاً حتى يحين موعد شربها حيث تكون قد اختمرت، وعندها يشد تأثيرها
ويقوى فعلها"⁽³⁾، يَقُولُ: (4)

[الطويل]

شَرِبْتُ حَمِيًّا الْحُبَّ صِرْفًا مُعْتَقًا فَشَرِبُ الْوَرَى مَزْجٌ وَشُرْبِي لَهَا صِرْفٌ

(1) الجام: إناء للطعام والشراب من فضة أو نحوها، وقد غلب استعمال هذه المفردة في قدهم الشراب. مصطفى، إبراهيم
وآخرون: المعجم الوسيط، مادة (جام).

(2) الواواء: ديوانه، ص 179.

(3) العسماوي، محمد زكي: موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي، دار المعرفة الجامعية، 1999، ص 228.

(4) الواواء: ديوانه، ص 151.

وَقَدْ كُنِيَ عَنِ الْخَمْرِ الصَّرْفَةِ الَّتِي لَمْ تُخَفَّفْ بِالْمَزْجِ بِمُفْرَدَةٍ (بِكَر) فِي كَثِيرٍ مِنْ أَشْعَارِهِ،
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: (1)

[مجزوء الرمل]

فَاسْقِنِي الْبِكْرَ الَّتِي فِي حَجْرِهِا دَبَّ السُّرُورُ
وَجَعَلَ مَرْجَهَا بِالْمَاءِ أَشْبَهَ مَا يَكُونُ بِعَمَلِيَّةِ افْتِضَاضِ بَكَارَةِ فَنَاءَةٍ، يَقُولُ فِي ذَلِكَ: (2)

[الخفيف]

وَتَرَى الْكَأْسَ دَائِرًا كَهَلَالٍ سَارَ فِيهِ الْمِحَاقُ عِنْدَ الْكَمَالِ
فَإِذَا افْتَضَّهَا الْمِزَاجُ كَسَاها حَلَّةَ الشَّمْسِ عِنْدَ وَقْتِ الزَّوَالِ
وَبِهَذَا يَكُونُ الْوَأْوَاءُ قَدْ رَبَطَ بَيْنَ الْخَمْرِ وَالْمَحْبُوبَةِ وَقَرَنَهَا فِيهَا، حَيْثُ وَصَفَهَا بِبَعْضِ
الصِّفَاتِ الْأُنثَوِيَّةِ (الْبِكْرُ، وَالْإفْتِضَاضُ)، وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى عُمُقِ عِلَاقَتِهِ بِهَا وَشَغْفِهِ فِيهَا، وَإِلَى
أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا نَظْرَتَهُ إِلَى أَنْثَى يَشْتَهِيهَا.

وَيَقُولُ مُوجِّهًا الْخِطَابَ إِلَى نَادِلٍ، مُسْتَعْمِلًا اسْتِعَارَةَ لَطِيفَةً، حَيْثُ صَوَّرَ الْخَمْرَ بِإِنْسَانٍ،
وَجَعَلَ الْمَاءَ إِنْسَانًا آخَرَ يُدْغِدِغُ صَدْرَ الْأَوَّلِ بِيَدَيْهِ، كِنَايَةً عَنِ عَمَلِيَّةِ اخْتِلَاطِ الْمَاءِ بِالْخَمْرِ
وَأَمْتِزَاجِهِ بِهَا: (3)

[الخفيف]

لَا تُدْغِدِغْ صَدْرَ الْمُدَامِ بِأَيْدِي الْ مَزْجِ مَا دُغِدِغَتْ صُدُورُ الْمُتَّانِي (4)
كَمَا شَرِبَ الشَّاعِرُ الْخَمْرَ صَرَفًا صَافِيًا، فَإِنَّهُ شَرِبَهُ مَمزُوجًا بِالْمَاءِ، فَقَدْ صرَّحَ بِذَلِكَ فِي
كَثِيرٍ مِنْ أَشْعَارِهِ، مُرَكِّزًا خِلَالَهَا عَلَى وَصْفِ أَثَرِ الْمَزْجِ فِيهَا، حَيْثُ جَعَلَ عَمَلِيَّةَ اخْتِلَاطِ الْمَاءِ

(1) الوأواء: ديوانه، ص108.

(2) المصدر السابق، ص179.

(3) المصدر السابق، ص245.

(4) المتثاني: الذي بعد الأول من أوتار العود. مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، مادة (ثني).

بِالْخَمْرِ وَمَا يَحْصُلُ بَيْنَهُمَا مِنْ تَمَازُجٍ بِعَمَلِيَّةِ اللَّعْبِ وَمَا يُصَاحِبُهَا مِنْ فَرَحٍ وَسَعَادَةٍ وَنَشْوَةٍ،
وَصَوْرَ الْمَاءِ الَّذِي يُضَافُ إِلَى كَأْسِ الْخَمْرِ بِالْفِضَّةِ، وَصَوْرَ الْخَمْرِ بِالذَّهَبِ، وَذَلِكَ بِجَامِعِ
الِاشْتِرَاكِ فِي اللَّوْنِ، يَقُولُ: (1)

[المنسرح]

تَلْعَبُ فِي كَأْسِهَا إِذَا مُزِجَتْ كَأَنَّمَا يَسْتَفْزُهَا طَرِبُ
فِي عَرِصَةِ الْكَأْسِ حِينَ تَمْرِجُهَا سَمَاءُ تَبْرِ نُجُومِهَا ذَهَبُ

وَرَسَمَ صُورَةَ لِلْفُقَاعَاتِ الَّتِي تَعْلُو سَطْحَ الْكَأْسِ بَعْدَ عَمَلِيَّةِ الْمَرْجِ، فَشَبَّهَهَا بِشَبَكَةٍ مُمْتَدَّةٍ
مِنَ اللَّجَيْنِ بِجَامِعِ اللَّوْنِ الْفِضِّيِّ، مَوْضُوعَةٍ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ، كِنَايَةً عَنِ الْخَمْرِ نَفْسِهَا،
يَقُولُ: (2)

[البسيط]

إِذَا غَلَاها حَبَابٌ خَلْتَهُ شَبَكًا مِنَ اللَّجَيْنِ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ
وَهَذِهِ الْفُقَاعَاتُ يُحْسَبُهَا مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهَا طَوْقًا لِلزَّيْنَةِ؛ لِشِدَّةِ تَمَاسُكِهَا وَانْتِظَامِهَا، وَقَدْ يَخَالُهَا
عِقْدًا مَصْنُوعًا مِنَ اللُّوْلُوِّ اللَّامِعِ الَّذِي تَنْزِيحُهُ بِهِ الْفَتَيَاتِ، وَقَدْ عَبَّرَ عَنِ هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ: (3)

[البسيط]

تَخَالُ مِنْهَا بِجِيدِ الْكَأْسِ إِنْ مُزِجَتْ عِقْدًا مِنَ الدُّرِّ أَوْ طَوْقًا مِنَ الْحَبِّ
وَفِي صُورَةٍ أُخْرَى صَوَّرَ تِلْكَ الْفُقَاعَاتِ بِالنُّجُومِ اللَّامِعَةِ الَّتِي تَظْهَرُ لَيْلًا فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ
جَعَلَهَا حُبِّيَّاتٍ مِنَ الْمَاءِ الْمُتَجَمِّدِ، وَجَعَلَ الْخَمْرَ نَارًا بِفِعْلِ التَّشَابُهِ اللَّوْنِيِّ، ثُمَّ عَادَ وَصَوَّرَهَا بِعِقْدٍ
مِنَ اللُّوْلُوِّ انْتَثَرَتْ حُبِّيَّاتُهُ عَلَى أَرْضٍ مُكَوَّنَةٍ مِنَ الْحِجَارَةِ الْكَرِيمَةِ الْحَمْرَاءِ اللَّوْنِ، يَقُولُ: (4)

(1) الوأواء: ديوانه، ص35.

(2) المصدر السابق، ص39.

(3) المصدر السابق، ص39.

(4) المصدر السابق، ص106.

[المنسرح]

تُظَنُّ فِي كَأْسِهَا إِذَا مَزَجَتْ نَجُومَ لَيْلٍ تَهْوِي لِتَغْوِيرِ
أَوْ بَرْدًا قَدْ أُدِيرَ دَائِرَةً مِنْ فَوْقِ نَارٍ بَغِيرِ تَسْعِيرِ
أَوْ عَقْدَ دُرٍّ وَهَتَّ مَعَاقِدُهُ عَلَى عَقِيقٍ فِي صَرْحِ بُلُورِ

وَهَا هُوَ ذَا يَصِفُ مَا طَرَأَ عَلَى لَوْنِهَا مِنْ تَغْيِيرِ بِفِعْلِ الْمَرْجِ، فَلَوْنُهَا الْأَصْلِيُّ هُوَ الْأَحْمَرُ الْقَانِي، فَلَمَّا أُضِيفَ الْمَاءُ إِلَيْهَا أُصْبِحَ لَوْنُهَا فَاتِحًا، وَإِذَا صَوَّرَهَا بِالشَّمْسِ فِي لَوْنِهَا الذَّهَبِيِّ الْمَائِلِ إِلَى الصُّفْرَةِ، وَجَعَلَ الْفُقَاعَاتِ الَّتِي تَعْلُو سَطْحَهَا كَوَاكِبَ لَامِعَةً تَتَلَأَلُ فِي السَّمَاءِ، وَلَمْ يَنْسَ أَنْ يَصِفَ جَمَالَ السَّاقِي وَحُسْنَهُ، حَيْثُ صَوَّرَهُ بِالْبَدْرِ فِي إِشْرَاقِهِ وَضِيَاءِ وَجْهِهِ، يَقُولُ: (1)

[الكامل]

وَيَظَلُّ صَبَاغُ الْمِزَاجِ مُحَكَّمًا فِي نَقْضِ حُمْرَتِهَا بِأَيْدِي الْمَاءِ
وَكَأَنَّهَُا، وَكَأَنَّ حَامِلَ كَأْسِهَا، إِذْ قَامَ يَجْلُوهَا عَلَى النُّدْمَاءِ
شَمْسُ الضُّحَى رَقِصَتْ فَنَقَطَ وَجْهَهَا بَدْرُ الدُّجَى بِكَوَاكِبِ الْجُوزَاءِ

وَفِي مَقْطُوعَةٍ أُخْرَى وَسَمَّ لَوْنَهَا بِالصُّفْرَةِ الشَّبِيهِةِ بِلَوْنِ الْإِنْسَانِ الْخَائِفِ، وَبِالْحُمْرَةِ الشَّبِيهِةِ بِلَوْنِ خَدِّ مَعْشُوقٍ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ بَعْضُ حُبِّيَّاتِ الْعَرَقِ خَجَلًا وَحَيَاءً، ثُمَّ صَوَّرَ لَوْنَهَا الْأَحْمَرَ بِلَوْنِ الشَّفَقِ، وَجَعَلَ الْفُقَاعَاتِ الَّتِي تَظْهَرُ عَلَى سَطْحِ الْكَأْسِ كَوَاكِبَ بِيضَاءَ مُنْتَاثِرَةً حَوْلَ ذَلِكَ الشَّفَقِ، يَقُولُ: (2)

[البسيط]

رَاحَ إِذَا اسْتَنْطَقَتْهَا بِالْمِزَاجِ يَدٌ تَكَادُ تَخْرَسُ عَنْهَا أَلْسُنُ الْحَدَقِ
كَأَنَّهَا خَجَلٌ فِي كَأْسِ شَارِبِهَا فَاجَاهُ عِنْدَ مِزَاجِ صُفْرَةِ الْفَرَقِ
أَوْ مِثْلُ وَجْنَةٍ مَعْشُوقٍ إِذَا نَثَرَتْ يَدُ الدَّلَالِ عَلَيْهَا لَوْلُؤَ الْعَرَقِ
كَأَنَّ مَا أَبْيَضَ مِنْهَا فِي مُورَدِهِ كَوَاكِبٌ نَثَرَتْ فِي حُمْرَةِ الشَّفَقِ

(1) الواوَاء: ديوانه، ص5-6.

(2) المصدر السابق، ص161.

كَمَا وَصَفَ الْوَأْوَاءُ لَوْنَ الْخَمْرِ بَعْدَ مَزْجِهَا بِالْمَاءِ، فَإِنَّهُ وَصَفَهُ بِصُورَةٍ عَامَّةٍ، حَيْثُ صَوَّرَهُ بِلَهَبِ النَّارِ الْأَحْمَرِ فِي قَوْلِهِ: (1)

[المنسرح]

وَبِنْتِ كَرَمٍ كَأَنَّهَا لَهَبٌ تَكَادُ مِنْهَا الْأُكُفُ تَلْتَهَبُ
وَفِي قَوْلِهِ: (2)

[الخفيف]

صَاحَ هَاتِ الْعُقَارِ حَمْرَاءَ كَأَنَّآ رِ وَدَعْنِي مِمَّا يَقُولُ الْعَدُولُ
وَفِي مَقْطُوعَةٍ أُخْرَى قَرْنَ لَوْنَ الْخَمْرِ بِلَوْنِ وَجْهِ أَحَدِ النُّدْمَاءِ الَّذِينَ يُشَارِكُونَهُ الْكَأْسَ،
وَالْجَامِعُ الَّذِي يَرِبُّ بَيْنَ هَذَيْنِ الطَّرْفَيْنِ هُوَ اللَّوْنُ الْأَحْمَرُ الَّذِي تَكْتَسِي بِهِ الشَّمْسُ عِنْدَ مَغِيْبِهَا،
وَهَذَا مَا عَبَّرَ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: (3)

[مجزوء الكامل]

مَا زَالَ يَشْرَبُ شِبْهَ مَا فِي وَجْنَتَيْهِ مِنْ اللَّهْيَبِ
حَتَّى انْتَهَى وَكَأَنَّ مَا فِي كَأْسِهِ قَبْلَ الْمَغِيْبِ
بَدْرٌ يُقْبَلُ عَارِضًا لِلشَّمْسِ فِي وَقْتِ الْغُرُوبِ
وَمِنَ الْمُضَامِينِ الْمُهِمَّةِ فِي خَمْرِيَّاتِ الْوَأْوَاءِ وَصَفَ الْأَثَرَ الَّذِي تُحْدِثُهُ الْخَمْرُ فِي نَفُوسِ
شَارِبِيهَا، فَهِيَ، مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِهِ، تُغَيِّرُ مِنْ طَبْعِ الْإِنْسَانِ وَتَبْتُ فِي نَفْسِهِ الْفَرَحَ وَالسَّعَادَةَ
وَالسُّرُورَ، يَقُولُ: (4)

[المنسرح]

الكَأْسُ قُطْبُ السُّرُورِ وَالطَّرِبِ فَاحْظْ بِهَا قَبْلَ حَاجِزِ النَّوْبِ
وَيَقُولُ: (5)

(1) الوأواء: ديوانه، ص 35.

(2) المصدر السابق، ص 184.

(3) المصدر السابق، ص 43.

(4) المصدر السابق، ص 38.

(5) المصدر السابق، ص 70.

[المنسرح]

خَمْرٌ إِذَا خَامَرَتْ فُؤَادَ فَتَى أَهْدَتْ إِلَيْهِ السُّرُورَ وَالْفَرَحَا
مَا اسْتَدَّ بَابُ السُّرُورِ عَنْ أَحَدٍ إِلَّا غَدَا بِالْمُدَامِ مُفْتَتِحَا
وَلِإِبْرَازِ تَأْثِيرِهَا فِي النُّفُوسِ، وَلِلْمُبَالِغَةِ فِي ذَلِكَ وَصَفَهَا بِأَنَّهَا تُثْبِرُ الطَّرْبَ وَالنَّشْوَةَ فِي
الْحِجَارَةِ وَالْجَمَادَاتِ؛ وَلِذَلِكَ قَصَرَ الْحَيَاةَ عَلَى شَرِبِهَا وَمُعَاقَرَتِهَا فِي قَوْلِهِ: (1)

[البسيط]

هِيَ الْحَيَاةُ فَلَوْ تَأْتِي إِلَى حَجَرٍ لَوَلَدَتْ فِيهِ مِنْهَا نَشْوَةَ الطَّرْبِ
وَالْخَمْرُ تُخَفِّفُ الْهُمُومَ وَالْأَحْزَانَ الَّتِي تَنْتَقِلُ قَلْبَ الْإِنْسَانِ، وَتُزِيلُهَا، يَقُولُ: (2)

[مجزوء الكامل]

قُمْ فَاجْلُ هَمِّي يَا غُلَامُ بِالرَّاحِ إِذْ ضَحِكَ الظَّلَامُ
وَيَقُولُ: (3)

[الخفيف]

قَهْوَةٌ تَطْرُدُ الْهُمُومَ إِذَا مَا مُكْنَتُ مِنْ مَوَاطِنِ الْأَحْزَانِ
وَهِيَ تَعِيدُ الْمَشِيبَ إِلَى شَبَابِهِ، وَتَبْعَتْ فِيهِ الْقُوَّةَ وَالْحَيَوِيَّةَ وَالنَّشَاطَ، يَقُولُ: (4)

[الخفيف]

هِيَ إِنْ شَجَّهَا الْمِزَاجُ وَشَابَتْ عَادَ مِنْ وَقْتِهِ الْمَشِيبُ شَبَابًا
وَهِيَ وَسِيلَةٌ اسْتَعْمَلَهَا الْوَأَاءُ لِتَقْصِيرِ لَيْلِهِ الطَّوِيلِ، يَقُولُ: (5)

(1) الوأواء: ديوانه، ص38.

(2) المصدر السابق، ص202.

(3) المصدر السابق، ص242.

(4) المصدر السابق، ص34.

(5) المصدر السابق، ص10.

[الطويل]

وَلَيْلِ تَمَادِي طَوْلُهُ فَقَصَّرْتُهُ بِرَاحِ تُعِيرُ الْمَاءَ مِنْ صَفْوِهَا صَافَا

وَتَشْتَمِلُ خَمْرِيَّاتُ الْوَأْوَاءِ عَلَى وَصْفٍ لِلسَّقَاةِ، فَهِيَ هُوَ ذَا يُصَوِّرُ أَحَدَهُمْ بِالْبَدْرِ فِي قَوْلِهِ: (1)

[الخفيف]

يَا بَدْرُ بَادِرِ إِلَيَّ بِالْكَاسِ فَرُبَّ خَيْرٍ أَتَى عَلَيَّ يَاسِ

وَوَصَفَ فِي بَعْضِ أَشْعَارِهِ رَدْفَ أَحَدِهِمْ بِأَنَّهُ؛ لَامْتِلَائِهِ يَهْتَزُّ وَيَتَرَجَّرُ خَلْفَهُ عِنْدَمَا يَسِيرُ،

وَهُوَ فِي هَذِهِ الْحَالِ كَمَنْ يَسِيرُ عَلَى قِطْعٍ مِنَ الزُّجَاجِ يَخَافُ أَنْ تَجْرَحَهُ، يَقُولُ: (2)

[المنسرح]

كَمْ حَثَّ شُرْبِي لِكَاسِهَا قَمْرٌ بِقَدِّ غُصْنٍ وَخَصْرِ زُنْبُورِ

يَجْذِبُهُ رَدْفُهُ فَأَحْسِبُهُ يَرُومُ مِثْلِيًّا عَلَيَّ قَوَارِيرِ

وَوَصَفَ فِي شِعْرِ تَفُوحٍ مِنْهُ رَائِحَةُ الْمُجُونِ وَالْإِنْحِلَالِ وَالتَّهْتِكِ لِقَاءَهُ بِسَاقِ جَمِيلٍ وَجْهَهُ

كَالْبَدْرِ، وَقَوَامُهُ كَالْغُصْنِ، وَقَدْ قَدَّمَ لَهُ الْخَمْرَ، فَشَرِبَاهُ مَعًا، مِمَّا أَتَّاحَ لَهُ فِي تِلْكَ اللَّحْظَاتِ اسْتِعْلَالَ

سُكْرَةَ ذَلِكَ الْغُلَامِ، بِأَنْ عَبَثَ بِهِ وَتَهْتَكَ فِيهِ، وَطَارَحَهُ الْغَرَامَ عَلَى فِرَاشِ الْحُبِّ، يَقُولُ: (3)

[المتقارب]

وَسَاقٍ حَكَى الْبَدْرَ وَالْغُصْنَ لِي فَذَا بِالْتَّمَامِ وَذَا بِالْقَوَامِ

سَقَاتِي بِكَاسَيْنِ فِي مَجْلِسِ بِكَاسِ الْمُدَامِ وَكَاسِ الْغَرَامِ

بَطِيءِ الْإِفَاقَةِ مِثْلِي وَقَدْ شَرِبْتُ الْمُدَامِينَ شُرْبَ اغْتِنَامِ

وَفِي خِتَامِ اسْتِعْرَاضِ خَمْرِيَّاتِ الْوَأْوَاءِ الدَّمَشْقِيِّ يُمَكِّنُ الْقَوْلُ: إِنَّهُ كَثِيرًا مَا كَانَ يَعْقُدُ

مَجَالِسَ الْخَمْرِ وَاللَّهُوِ فِي أَحْضَانِ الطَّبِيعَةِ، تَحْتَ الْأَشْجَارِ، وَبَيْنَ الْوُرُودِ وَالْأَزْهَارِ، وَلِأَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ

بِهَا تَعَلُّقًا كَبِيرًا، وَصَفَهَا وَصَفًا دَقِيقًا، وَصَوَّرَ كَثِيرًا مِنْ أَبْعَادِهَا وَجُزْئِيَّاتِهَا، حَيْثُ وَصَفَ لَوْنَهَا

وَشُعَاعَهَا وَمَزْجَهَا بِالْمَاءِ، وَتَأْثِيرَهَا فِي شَارِبِيهَا، وَسَقَاتِهَا، وَمَجَالِسَهَا.

(1) الوأواء: ديوانه، ص125.

(2) المصدر السابق، ص107.

(3) المصدر السابق، ص207.

الفصل الثاني

الغزلُ في شعرِ الوأواءِ الدمشقيِّ

الفصل الثاني

الغزلُ في شعرِ الوأءِ الدمشقيِّ

يُعدُّ الغزلُ أحدَ الأغراضِ الشعريَّةِ الأساسيَّةِ الأصليَّةِ في الأدبِ العربيِّ في مختلفِ العصورِ والأزمانِ، وهوَ من أقدمِها وأكثرها شيوعاً لاتصاله الوثيق بالطبيعة الإنسانية، وهوَ "قريب من النفوس، لائطُّ بالقلوب، لما (قد) جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل، وإلف النساء، فليس يكادُ أحدٌ يخلو من أن يكون متعلقاً منه بسبب، وضارباً فيه بسهم، حلال أو حرام"⁽¹⁾، ولهذا فقد تعدَّد شعراؤه وكثروا كثرةً مفرطةً، حيثُ يُمكننا القولُ إنَّ معظمَ الشعراءِ العربِ طرَّقوا هذا الغرضَ الفنيَّ ونظَّموا فيه الكثيرَ من الأشعارِ.

ومن بين الشعراء الذين اشتهروا بالغزل وأكثروا منه الوأء الدمشقي، إذ إنَّ أكثر ديوانه غزل؛ لأنه كان حياته كلها فيما نعتد⁽²⁾، وقد تميَّز الدمشقيُّ وأبدع في هذا الفنِّ إبداعاً كبيراً، الأمر الذي دفع مصطفى الشكعة إلى تتويجه أميراً للغزل الرقيق على شعراء بني حمدان⁽³⁾؛ لأنَّ "مذهبه جمال كله، ورقة متناهية"⁽⁴⁾، كما أنَّ سعود عبد الجابر جعله إماماً للشعراء الغزليين في بلاط سيف الدولة الحمداني⁽⁵⁾.

وإذا ما ألقينا نظرةً فاحصةً ممحصَّةً في غزله فإننا نجدُ أنَّ منه ما جاء على هيئة قصائدٍ مستقلة، ومنه ما جاء على صورة مقطوعاتٍ قصيرةٍ وطويلة، ومنه ما صدرت فيه قصائده غير الغزليَّة، وتتمثل في قصائد المديح والخمر ووصف الطبيعة، وهو ما يُعرف بالغزل التقليدي، وقد أُطلق عليه هذا المصطلح؛ لأنَّ استهلال القصائد -على اختلاف موضوعاتها وأغراضها- بالغزل تقليدٌ سارَ عليه الشعراء العرب في عصورهم الأدبيَّة جميعها، إلى حدِّ أنَّهم كانوا فيه

(1) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: الشعر والشعراء، بيروت-لبنان: دار الثقافة، 1964، 21/1.

(2) يُنظر: الوأء: ديوانه، مقدمة المحقق، ص26.

(3) يُنظر: الشكعة، مصطفى: فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، ص234-235.

(4) المرجع السابق، ص235.

(5) يُنظر: عبد الجابر، سعود محمود: الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني، ص245.

يُطْلِقُونَ عَلَى الْقَصِيدَةِ الَّتِي تَخْلُو مِنَ الْمُقَدِّمَةِ الْغَزَلِيَّةِ مُصْطَلَحَ الْقَصِيدَةِ الْبُتْرَاءِ، قِيَاسًا عَلَى الْخُطْبَةِ الْبُتْرَاءِ الَّتِي لَا تَبْدَأُ بِحَمْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ⁽¹⁾، لِذَلِكَ فَهَذَا النُّوعُ غَالِبًا مَا يَكُونُ غَزَلًا صِنَاعِيًّا مُتَكَفِّلاً لَا أَثَرَ فِيهِ لِعَاطِفَةِ الْحُبِّ الصَّادِقَةِ، وَحَرَارَةِ الْجَوَى الَّذِي يُذِيبُ النَّفْسَ شَوْقًا وَحَيْنًا.

وَمِنَ الْمَلَاظِحِ أَنَّ الْوَأْوَاءَ لَمْ يَنْغَزَلْ بِفَتَاةٍ مُحَدَّدَةٍ بَعِيْبَهَا، حَيْثُ إِنَّهُ لَمْ تَذْكَرْ كُتُبُ التَّأْرِيخِ وَالتَّرَاجِمِ أَخْبَارًا لَهُ مَعَ فَتَاةٍ مُعَيَّنَةٍ يَعْتَفُّهَا، وَلَمْ يُضْمَنَّ شِعْرَهُ الْغَزَلِيَّ مَا يُدَلُّ عَلَى ذَلِكَ، كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ عَلَى ذِكْرِ أَسْمَاءٍ مِنْ تَغَزَّلَ بِهِنَّ، وَلَمْ يَذْكَرْ آيَةً قَرِيْنَةً تَدُلُّ عَلَى شَخْصِيَّاتِهِنَّ، وَرَبَّمَا كَانَ ذَلِكَ حِفَاظًا عَلَى سَمْعَتِهِنَّ مِنْ أَنْ تُدْنَسَ أَوْ تُهَانَ، وَخَوْفًا مِنْ أَنْ يَشْتَهَرَ أَمْرُهُ مَعَهُنَّ بَيْنَ النَّاسِ، غَيْرَ أَنَّ طَبِيعَةَ الْحَيَاةِ اللَّاهِيَةِ الْمَاجِنَةَ الْفَاسِقَةَ الَّتِي كَانَ الْوَأْوَاءُ يَحْيَاهَا تَجْعَلُ هَذَا التَّعْلِيلَ مُسْتَبْعَدًا، وَتَقُوْدُنَا إِلَى تَفْسِيرٍ آخَرَ يَخْتَلِفُ عَنِ الْأَوَّلِ اخْتِلَافًا جَدْرِيًّا، وَيَتِمَّتُّ فِي أَنَّ عَشْقَهُ لِلنِّسَاءِ اللَّوَاتِي تَغَزَّلَ بِهِنَّ لَمْ يَكُنْ - فِي الْأَعْمِ الْأَغْلَبِ - عَشْقًا حَقِيْقِيًّا صَادِقًا نَابِعًا مِنْ أَعْمَاقِ نَفْسِهِ، وَإِنَّمَا كَانَ تَسْلِيَّةً وَتَرْجِيَّةً فَرَاغٍ، وَشَهْوَةً طَارِئَةً وَنَزْوَةً عَابِرَةً يَقْضِيهَا مَعَ الْإِمَاءِ وَالْجَوَارِي اللَّوَاتِي انْتَشَرْنَ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ انْتِشَارًا كَبِيْرًا، وَاشْتَهَرْنَ اشْتِهَارًا عَظِيْمًا، وَكُنَّ يُجَدْنَ الرِّقْصَ وَالْغِنَاءَ وَفُنُونَ الْإِغْرَاءِ، وَيُخَالِطْنَ الرِّجَالَ فِي مَجَالِسِ اللَّهْوِ وَالْعَبَثِ وَالْقَصْفِ وَالْخَلَاعَةِ وَالْمُجُونِ الَّتِي كَانَ يَتَرَدَّدُ عَلَيْهَا بِكَثْرَةٍ، وَيَقْضِي فِيهَا أَيَّامَهُ الصَّاخِبَةَ وَالْيَالِيَةَ الْحَمْرَاءَ⁽²⁾.

وَيُمْكِنُ مِنْ خِلَالِ دِرَاسَةِ غَزَلِيَّاتِ الْوَأْوَاءِ وَالتَّدْقِيْقِ فِيهَا تَقْسِيْمَهَا اعْتِمَادًا عَلَى طَبِيعَتِهَا وَمَضَامِينِهَا إِلَى قِسْمَيْنِ اثْنَيْنِ، هُمَا:

أَوَّلًا: الْغَزَلُ الْمَعْنَوِيُّ الْعَفِيْفُ

هُوَ الْغَزَلُ الَّذِي يُصَوِّرُ فِيهِ الشَّاعِرُ -أَيُّ شَاعِرٍ- مَا اعْتَوَرَ نَفْسَهُ مِنْ حُبِّ صَادِقٍ مُخْلِصٍ، وَمَشَاعِرٍ مُلْتَهَبَةٍ وَعَوَاطِفَ حَرَّاقَةَ، وَتَأْثِيْرَهَا فِي نَفْسِهِ، وَيَصِفُ فِيهِ -كَذَلِكَ- مَوْقِفَ

(1) يُنْظَرُ: ابْنُ رَشِيْقٍ، الْقَيْرَوَانِي: الْعَمْدَةُ فِي مَحَاسِنِ الشُّعْرِ وَآدَابِهِ وَنَقْدِهِ، 231/1.

(2) يُنْظَرُ: بَكَارٌ، يُوْسُفُ حَسِيْنٍ: اِتْجَاهَاتُ الْغَزْلِ فِي الْقَرْنِ الثَّانِي الْهَجْرِي، ص 105، نَقْلًا عَنْ: الْجَوَارِي، أَحْمَدُ عَبْدُ السُّتَارِ: الشُّعْرُ فِي بَغْدَادِ حَتَّى نِهَآيَةِ الْقَرْنِ الثَّالِثِ الْهَجْرِي، بِيْرُوت: مَطْبَاعُ دَارِ الْكُشَافِ، 1956، ص 207.

المَحْبُوبَةِ مِنْ حُبِّهِ، وَعَتَابَ الْأَصْدِقَاءِ لَهُ فِيهِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ النُّوَاحِي المَعْنَوِيَّةِ الَّتِي لَا تَسْرَحُ جَسَدَ المَرَأَةِ وَلَا تَتَعَرَّضُ لِمَوَاضِعِ حَسِيَّةٍ فِيهِ، وَلَا تَشْتَمِلُ عَلَى التَّعَابِيرِ المَكشُوفَةِ وَالْأَلْفَافِ الفَاضِحَةِ وَالصَّرَاحَةِ المُخْجَلَةِ الَّتِي تَخْدِشُ الحَيَاءَ العَامَ⁽¹⁾.

وَفِيمَا يَأْتِي تَفْصِيلٌ لِأَهَمِّ المَضَامِينِ وَالمَعَانِي الَّتِي يَقُومُ عَلَيْهَا الغَزَلُ المَعْنَوِيُّ فِي شِعْرِ الوَأْوَاءِ الدَّمَشَقِيِّ، وَذَلِكَ عَلَى النُّحُوِّ الآتِي:

أَوَّلًا: المَعَانَاةُ:

يُعَدُّ تَصْوِيرُ المَعَانَاةِ الَّتِي يَشْعُرُ بِهَا الوَأْوَاءُ مِنَ الحُبِّ، وَمِنْ صُدُودِ المَحْبُوبَةِ وَهَجْرَانِهَا وَفِرَاقِهَا لَهُ، مِنْ أَهَمِّ المَضَامِينِ المَعْنَوِيَّةِ فِي غَزَلِيَّاتِهِ، وَلَقَدْ تَعَدَّدَتِ الصُّورُ وَالْوَسَائِلُ وَالْأَسَالِيْبُ الَّتِي اسْتَخْدَمَهَا لِلْكَشْفِ عَنِ هَذِهِ المَعَانَاةِ وَإِبْرَازِهَا، وَهِيَ:

أ: تَصْوِيرُ عَذَابِهِ وَحَزْنِهِ وَمَرَضِهِ:

مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يَتَعَذَّبَ العَاشِقُونَ وَيَحْزَنُوا وَيَتَأَوَّهُوا وَيَتَأَلَّمُوا، وَتَضَعُفَ أَجْسَادَهُمْ وَيَبْرَحَهَا العِشْقُ وَالهِيَامُ وَيُصِيبُهَا المَرَضُ وَالسَّقَامُ⁽²⁾، وَقَدْ عَبَّرَ الوَأْوَاءُ عَنِ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ دِيْوَانِهِ، فَهَا هُوَ ذَا يَجْعَلُ أَشْوَاقَهُ وَحَنِينَهُ إِلَى المَحْبُوبَةِ جَيْشًا يَحْتَلُّ قَلْبَهُ وَيُعَسِّكِرُ فِي فُؤَادِهِ، وَيُشِيرُ إِلَى المَرَضِ وَالسَّقَمِ الَّذِي أَصَابَهُ وَأَبْلَى جَسَدَهُ فِي قَوْلِهِ: ⁽³⁾

[البسيط]

عَسَاكِرُ الشَّوْقِ فِي قَلْبِي مُخِيْمَةٌ مَذْ خِيْمَ الوَجْدُ لِي فِي رَبْعِ حُبِّيهَا
هَا قَدْ لَبِسْتُ ثِيَابَ الضَّرِّ فِيكَ فَقَدْ بُلِيْتُ بِالسُّقْمِ فِيهَا قَبْلَ أُبْلِيهَا

(1) يُنظَر: هِدَارَةٌ، مُحَمَّدٌ مَصْطَفَى: اتِّجَاهَاتُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ فِي القَرْنِ الثَّانِي الهِجْرِي، القَاهِرَةُ: دَارُ المَعَارِفِ، 1963، ص503.

(2) يُنظَر: ابْنُ حَزْمٍ، الأَنْدَلُسِيُّ: طُوقِ الحَمَامَةِ فِي الأَلْفَةِ وَالْأَلْفِافِ، تَح: إِحْسَانُ عَبَّاسٍ، ط1، بِيْرُوت: المَوْسَسَةُ العَرَبِيَّةُ لِلدِّرَاسَاتِ وَالتَّنْشُرِ، 1993، ص26.

(3) الوَأْوَاءُ: دِيْوَانُهُ، ص249.

وَيَجْعَلُ تِلْكَ الْأَشْوَاقَ الْحَرَّاقَةَ الَّتِي يَخْتَرِنُهَا دَاخِلَ نَفْسِهِ نَارًا مُتَجَدِّدَةً تَمْتَدُّ أَلْسِنَتُهَا لِتَحْرِقَ قَلْبَهُ وَأَحْشَاءَهُ، وَفِي هَذِهِ الصُّورَةِ دَلَالَةٌ عَلَى الْمُعَانَاةِ الْعَظِيمَةِ وَالْأَلَمِ الشَّدِيدِ الَّذِي يُعَانِي مِنْهُ فِي عَشِقِهِ، يَقُولُ: (1)

[البسيط]

يَا مُوقِدَ النَّارِ فِي قَلْبِي وَفِي كَبْدِي أَوْقَدْتَ مَا لَيْسَ يُطْفَأُ آخِرَ الْأَبَدِ
أَوْقَدْتَ نَارَ الْهَوَى بِالشَّوْقِ فَاشْتَعَلَتْ مِنْ الْجَوَانِحِ لَمْ تَحْمُدْ وَلَمْ تَكْدِ
وَيُصْرِّحُ بِأَنَّ الشَّوْقَ وَالْجَوَى يُشْعِلَانِ قَلْبَهُ وَقُوَادَهُ، وَإِذَا صَارَ مُورَقًا لَا يَعْرِفُ لِلنَّوْمِ طَعْمًا، يَقُولُ: (2)

[الكامل]

بَانَ الْحَبِيبُ فَبَانَ عَنْهُ صَبْرُهُ بَعْدَ الْحَبِيبِ وَمَا رَأَى مَحْبُوبًا
سَكَنَ الْجَوَى وَالشَّوْقُ بَيْنَ جَوَانِحِي وَغَدَا الْكُرَى فِي مَقَلَّتِي غَرِيبًا
وَيُشِيرُ فِي إِحْدَى غَزَلِيَّاتِهِ إِلَى أَنَّ قَلْبَ الْعَاشِقِ الْمُخْلِصِ لِمَحْبُوبِهِ يَذُوبُ كَمَا ذَا وَحَزَنًا وَشَوْقًا إِذَا مَا فُجِعَ بِالْبَيْنِ وَالْفِرَاقِ، حَتَّى لَوْ كَانَتْ مَادَّتُهُ مِنْ حَدِيدٍ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَخْلُوقٌ مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ؟ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: (3)

[مُخْلَعُ الْبَسِيطِ]

لَوْ فَجَعَ الْبَيْنُ قَلْبَ صَبٍّ ذَابَ وَلَوْ كَانَ مِنْ حَدِيدٍ
وَلَأَنَّ الْعَشِقَ أَذَابَ قَلْبَهُ وَأَهْلَكَهُ، وَمَنَعَ عَيْنِيهِ مِنَ الْغَمَضِ وَالنَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ يَشْتَكِي مِنَ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ الَّذِي أَصَابَهُ، وَيَصِفُهُ -لِكَثْرَتِهِ- بِأَنَّهُ عَظِيمٌ لَا يَنْتَهِي وَلَا حُدُودَ لَهُ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: (4)

(1) الوأواء: ديوانه، ص86.

(2) المصدر السابق، ص51.

(3) المصدر السابق، ص88.

(4) المصدر السابق، ص76.

[المنسرح]

فُؤَادُ صَبِّ أَذَابِهِ الْكَمَدُ وَجَفْنُ عَيْنٍ أودى بِهِ السَّهْدُ
يَا زَفْرَاتِي كَمْ أَشْتَكِيكَ فَمَا يُنْصِفُنِي مِنْكَ فِي الْهَوَى أَحَدُ
لِكُلِّ شَيْءٍ حَدٌّ يَبِينُ بِهِ وَمَا لَوْجَدِي حَدٌّ وَلَا أَمَدُ

وَيُصَوِّرُ الْوَأْوَاءَ مَرَّةً أُخْرَى - مَا فَعَلَتْهُ الْأَحْزَانُ وَالْأَشْوَاقُ بِقَلْبِهِ فِي قَوْلِهِ: (1)

[الطويل]

لَقَدْ بَرَّحَ الْبَيْنَ الْمُبْرَحُ وَالْحُبُّ بَقَلْبِي؛ وَهَلْ يَبْقَى عَلَى لَوْعَةِ قَلْبٍ!
تَعَزَّزْتُ مُغْتَرًّا بِمَا الْبَيْنُ صَانِعٌ وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْبَيْنَ مَرْكِبُهُ صَعْبُ
وَيُصْرِّحُ بِأَنَّهُ لَوْ كَانَتْ الْأَحْزَانُ وَالْأَشْوَاقُ تُمِيتُ صَاحِبَهَا، لَكَانَ أَوَّلَ عَاشِقٍ مَاتَ حُزْنًا
وَكَمَدًا مِنَ الْحُبِّ، وَيَبْدُو أَنَّ صُدُودَ الْمَحْبُوبَةِ وَهَجْرَهَا لِلشَّاعِرِ قَدْ طَالَتْ مُدَّتُهُ؛ لِذَا جَعَلَ نَفْسَهُ وَقْفًا
لِلْأَحْزَانِ وَالْأَسْقَامِ وَالْأَمْرَاضِ بِأَنْوَاعِهَا وَأَصْنَافِهَا الْمُخْتَلِفَةِ، يَقُولُ: (2)

[البيسط]

لَوْ قِيلَ: هَلْ رَجُلٌ طَالَتْ بِلَيْتِهِ لاسْتَعْبَرَتْ مُقَاتِلِي حَتَّى أَقُولَ: أَنَا
وَلَوْ قَضَى حُزْنًا مُسْتَهْتَرٌ دِنْفٌ لَكُنْتُ أَوَّلَ مَحْزُونٍ قَضَى حُزْنًا
هَذَا كِتَابُ فَتَى طَالَتْ صَبَابَتُهُ مُكَبَّلٌ فِي الْهَوَى وَقَفَ لِكُلِّ ضَنْيٍ
وَإِذَا مَا رَأَى الْوَأْوَاءَ دِيَارَ الْمَحْبُوبَةِ فَإِنَّ نِيرَانَ الْأَشْوَاقِ تَضَطَّرِمُ فِي جَسَدِهِ فَيَذُوبُ كَمَدًا
وَشَوْقًا وَحَنِينًا، وَتَذْرِفُ عَيْنَاهُ دَمْعًا غَزِيرًا مِدْرَارًا، يَقُولُ: (3)

[الوافر]

كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ بِيَدِ الدَّمُوعِ وَمَا أَمْلَى سِوَى قَلْبِي الْمَرْوَعِ

(1) الواوَاء: ديوانه، ص47.

(2) المصدر السابق، ص240-241.

(3) المصدر السابق، ص145.

أرى آثاركم فأدوبُ شوقاً وأسكبُ في مواطنكم دموعي

ولجأ الوأواء إلى مُبالغةٍ عظيمةٍ؛ ليُظهرَ شدةَ النَّصبِ والسَّقمِ والضَّنى والضَّعفِ الذي أصابَ جسدهُ بسببِ الحُبِّ، ومفادها أنه أصبحَ يستطيعُ أن يمشيَ على الماءِ دونَ أن يغرُقَ فيه، وذلكَ في قوله: (1)

[السريع]

حويتُ أسقامَ الورى مُفرداً وحازها الناسُ بأسماءِ
لو شئتُ أن أمشيَ لفرطِ الضنى مشيتُ من سُقْمِي على الماءِ

وفي مُبالغةٍ أخرى يقولُ إنَّه إذا ما اجتمعتُ أشجانُ العاشقينَ جميعهمُ وقورنتُ بالأشجانِ والأحزانِ المُتجمعةِ في قلبه، فإنَّه لا بدُّ أن ترجحَ الثانيةَ على الأولى: (2)

[البسيط]

قالوا جفاك الذي تهوى فقلتُ لهم: نومي تعلّم منه فهو يجفوني
لو قاسَ من قد مضى حبي بحبهم كانوا إذا وصفتُ أشجانهم دوني

ويُصرِّحُ بأنَّه لو أرادَ أن يصفَ أشواقه للمحبوبةِ فإنَّه لا يستطيعُ ذلكَ، لا عجزاً، وإنما لأنها تُفوقُ حدودَ الوصفِ وتجاوزُها، ولا تستطيعُ الكلماتُ استيعابها والتعبيرَ عنها: (3)

[أخذ الكامل]

شوقي إليك مجاوزٌ وصفي وظهورٌ وجدي فوقَ ما أخفي

وفي طُرْفَةٍ ظريفةٍ استعملَ الوأواءُ الاستعارةَ للكشفِ عمّا في نفسه من جوىٍ وأشواقٍ وحنينٍ إلى محبوبته، وصرَّحَ بأنَّه إذا ما أرادَ تسجيلَ تلكَ الأشواقِ على قرطاسٍ فإنَّ ذلكَ

(1) الوأواء: ديوانه، ص6.

(2) المصدر السابق، ص225-226.

(3) المصدر السابق، ص149.

الْقِرْطَاسَ لَنْ يَحْتَمِلَ تِلْكَ الْعَوَاطِفَ الْحَارَّةَ وَالْأَشْوَاقَ الْمُلتَهَبَةَ؛ وَلِذَا فَإِنَّهُ -أَيُّ الْقِرْطَاسِ- سَيَبْدَأُ
بِالْبُكَاءِ حُزْنَاً عَلَيْهِ، ثُمَّ سَيَحْتَرِقُ وَيُصْبِحُ رَمَاداً، يَقُولُ: (1)

[البسيط]

إِنِّي طَلَبْتُ إِلَى الْقِرْطَاسِ يَحْمِلُ لِي بَعْضَ الَّذِي بِي إِلَيْكُمْ زَادَنِي قَلَقَا
فَطَلَّ يَرْعَدُ فِي كَفِّي فَأَوْهَمَنِي بَأَنَّهُ لِلَّذِي أَهْوَاهُ قَدْ عَشِقَا
أَشْكُو إِلَيْهِ فَيَبْكِي حِينَ يَسْمَعُنِي مِنْ رَحْمَتِي وَلَوْ اسْتَنْطَقْتُهُ نَطَقَا
حَتَّى إِذَا عَلِمَ الْقِرْطَاسُ مَا كَتَبْتُ كَفِّي مِنَ الشَّوْقِ فِي أَحْسَائِهِ احْتَرَقَا

وَيُصْرِّحُ بِأَنَّ لَوْعَةَ الْحُبِّ فِي قَلْبِهِ مُتَجَدِّدَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ، لَا تَنْصَبُ وَلَا نَهَايَةَ لَهَا، وَذَلِكَ فِي

قَوْلِهِ: (2)

[البسيط]

لِكُلِّ شَيْءٍ نِهَايَاتٌ تَبِيدُ وَمَا لِلْوَعَةِ الْحُبِّ فِي قَلْبِي نِهَايَاتٌ
وَالْوَأَاءُ دَائِمٌ الشَّكْوَى مِنَ الْحُبِّ وَعَذَابِهِ وَنِيرَانِهِ، وَيُظْهِرُ ذَلِكَ جَلِيًّا فِي مَقْطُوعَةٍ بَدِيعَةٍ لَا
تَخْلُو مِنْ رُوحِ الْفِكَاهَةِ، يَتَغَزَّلُ فِيهَا بِمَحْبُوبَةٍ أُصِيبَتْ بِدَاءِ الْجَرَبِ، فَبَيْنَمَا هِيَ تَشْتَكِي مِنْ أَلَمِ
الْحَبِّ الظَّاهِرِ عَلَى جَسَدِهَا وَحَرِّهِ، كَانَ الْوَأَاءُ يَشْتَكِي وَيَتَأَوَّهُ مِنْ حَرِّ النِّيرانِ الْمُسْتَعْرِةِ فِي قَلْبِهِ
بِفِعْلِ عَشِقِهِ لَهَا، يَقُولُ: (3)

[مجزوء الرمل]

يَا صُرُوفَ الدَّهْرِ حَسْبِي أَيُّ ذَنْبٍ كَانَ ذَنْبِي
طَرَقْتَنِي نَائِبَاتُ الدَّ هُرْفِي فِي إِعْلَالِ حَبِّي
عَلَّةٌ عَمَّتْ وَخَصَّتْ فِي حَبِيبٍ وَمُحِبِّ

(1) الوأاء: ديوانه، ص 170.

(2) المصدر السابق، ص 62.

(3) المصدر السابق، ص 56-57.

دَبَّ فِي كَفَيْهِ مَا مِنْ حُبُّهُ دَبَّ بِقَلْبِي
فَهُوَ يَشْكُو حَرَّ حَبِّ وَاشْتَكَايَ حَرَّ حُبِّ

وَكَيْ يُظْهِرَ الْوَأْوَاءَ لِلْمَعْشُوقَةِ الْحَرَقَةَ وَالْمَرَارَةَ وَالْكَمَدَ الَّذِي أَصَابَهُ مِنَ الْحُبِّ، فَإِنَّهُ يَطْلُبُ مِنْهَا أَنْ تَصُبَّ عَلَى جَسَدِهِ الْمُحْتَرِقِ بِنَارِ الْجَوَى مَاءً بَارِدًا، وَأَنْ تَسْمَعَ إِلَى صَوْتِ الْمَاءِ حِينَ يُلَامِسُ قَلْبَهُ الْمُتَّهَبَ، يَقُولُ: (1)

[السريع]

يَا مُنْكَرًا شَكْوَايَ نَارَ الْهَوَى قَدْ زِدْتَنِي كَرْبًا عَلَى كَرْبِي
أَفِضْ عَلَيَّ الْمَاءَ أَوْ فَاسِقْتِي مَاءً وَكُنْ مِنِّي عَلَى قُرْبِ
تَسْمَعِ لِلْمَاءِ نَشِيثًا إِذَا مَا وَصَلَ الْمَاءُ إِلَى قَلْبِي

وَلَقَدْ نَجَّحَ الشَّاعِرُ فِي تَقْرِيْبِ الْمَعْنَى، بِاسْتِخْدَامِهِ مُفْرَدَةً (نَشِيثًا)؛ لِأَنَّهَا تَكْشِفُ عَنِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ مِنْ حَرْفِ الشَّيْنِ الْمُكْرَّرِ، ذَلِكَ أَنَّ نُطْقَهُ يُشْبِهُ الصَّوْتِ النَّاشِئَ عَنِ وَقُوعِ الْمَاءِ عَلَى جَسَدِ حَارٍّ.

وَقَدْ نَجَّحَ عَنِ هَذِهِ الْأَشْوَاقِ وَالْأَحْزَانِ الْمَكْبُوتَةِ فِي نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الصُّدُودِ وَالْهَجْرَانِ الَّذِي تَعَرَّضَ لَهُ ضَعْفٌ وَسَقَمٌ وَمَرَضٌ فِي جِسْمِهِ، حَيْثُ كَرَّرَ الْوَأْوَاءَ هَذَا الْمَعْنَى فِي كَثِيرٍ مِنْ أَشْعَارِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: (2)

[الكامل]

يَا مَنْ أَقَامَ قِيَامَتِي بِصُدُودِهِ الْجِسْمُ يَنْحَلُ وَالْفُؤَادُ يَذُوبُ
أَسْقَمْتَنِي فَاقْبِتْ مِنْ طَوْلِ الضَّنَا مَا لَا يُقَاسِي بَعْضَهُ ((أَيُّوبُ))

وَقَوْلُهُ مُجَانِسًا بَيْنَ لَفْظَتَيْ (بَلِيَّتُ) وَ (بُلَيْتُ)، وَمُسْتَعْمَلًا عُنْصُرَ الْمُبَالِغَةِ وَالتَّهْوِيلِ مُشِيرًا إِلَى أَنَّ جِسْمَهُ ذَابَ وَهَلَكَ إِلَى دَرَجَةٍ أَنَّهُ لَا يَكَادُ يُرَى؛ وَذَلِكَ إِبْرَازًا لِلْمَعْنَى وَتَقْوِيَّتَهُ وَتَأْكِيدَهُ، يَقُولُ: (3)

(1) الوأواء: ديوانه، ص 37-38.

(2) المصدر السابق، ص 49.

(3) المصدر السابق، ص 62.

[الوافر]

بَلَيْتُ لِأَنَّي بِكَ قَدْ بَلَيْتُ
أَلَامٌ وَقَدْ أَصَمَّ الْحُبُّ سَمْعِي
وَأَحْلَنِي فَلَوْ إِنْسَانٌ عَيْنِي
فَلَسْتُ بِمُنْتَهَى مَمَّا نَهَيْتُ
وَيُرْشِدُنِي الْعَذُولُ وَقَدْ عَمَيْتُ
تَضَمَّنَ جَفْنُهُ جِسْمِي خَفِيَتْ

وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُ يُفَرِّقُ بَأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ -بَعْدَ ذَوْبَانِ جَسَدِهِ وَهَلَاكِهِ- سِوَى اسْمِهِ
الَّذِي يَتَرَدَّدُ ذِكْرُهُ بَيْنَ النَّاسِ، يَقُولُ فِي ذَلِكَ: (1)

[السريع]

يَا حَاكِمًا قَدْ جَارَ فِي حُكْمِهِ
تَرَكْتَ جِسْمِي عَرْضًا قَائِمًا
وَهَوَّ إِذَا يُنْصِفُنِي خَصْمِي
لَمْ يَبْقَ لِي مِنْهُ سِوَى اسْمِي

وَتَجَدُّرُ الْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ الْوَأَوَاءَ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ مُعَانَاتِهِ وَحَرْقَتِهِ وَسَقَمِهِ وَأَرْقِهِ بِسَبَبِ
فِرَاقِ الْمَحْبُوبَةِ وَهَجْرَانِهَا وَبَيْنِهَا، فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى لَهَا كُلَّ خَيْرٍ، وَيَدْعُو لَهَا بِدَوَامِ الْفَرَحِ وَالسَّعَادَةِ
وَالسُّرُورِ، وَحِينَ عَلِمَ بِأَنَّ سَقَمَهُ وَحُزْنَهُ يُفْرِحُ الْمَحْبُوبَةَ، فَإِنَّهُ زَادَ مِنْ ذَلِكَ السَّقَمَ وَالْمَرَضَ، لَيْسَ
لِشَيْءٍ إِلَّا لِنِزْدَادِ الْمَحْبُوبَةِ فَرَحًا وَسَعَادَةً، وَهَذَا إِنْ دَلَّ عَلَى شَيْءٍ فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى صِدْقِ الْوَأَوَاءِ
وَإِخْلَاصِهِ فِي عَشْقِهِ وَهَيَامِهِ، وَيُظْهِرُ ذَلِكَ جَلِيًّا مِنْ قَوْلِهِ: (2)

[البيسط]

لَا أَرْقَى اللَّهُ عَيْنِي مَنْ يُورِقُنِي
قَدْ سَرَّنِي أَنَّهُمْ قَدْ سَرَّهُمْ سَقَمِي
وَلَا مَلَ مِثْلَ قَلْبِي قَلْبَهُ بِرَحَا
فَازْدَدْتُ سَقَمًا لِيَزْدَادُوا بِهِ فَرَحًا
وَكَرَّرَ شَيْئًا مِمَّا سَبَقَ فِي قَوْلِهِ: (3)

[البيسط]

قَدْ سَرَّنِي أَنَّهُمْ قَدْ سَرَّهُمْ سَقَمِي
فَازْدَدْتُ كَيْمَا يُسَرُّوا بِالضَّنَى سَقَمًا

(1) الوأواء: ديوانه، ص211.

(2) المصدر السابق، ص69.

(3) المصدر السابق، ص200.

وَيَتَبَيَّنُ لِمَنْ يُمَعِنُ النَّظَرَ فِي الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ جَمِيعَهَا، أَنَّهَا مُفَعَّمَةٌ بِالْحُبِّ وَالْأَلَمِ، مَلِيئَةٌ بِالْمَعَانِي الِوَجْدَانِيَّةِ الْحَزِينَةِ الَّتِي تَدُورُ بَيْنَ كُلِّ عَاشِقَيْنِ بَيْنَهُمَا صُدُودٌ وَهَجْرَانٌ، وَيُلَاحِظُ أَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى الْكَثِيرِ مِنَ الْمَفْرَدَاتِ وَالتَّرَاكِيِبِ الَّتِي يُسْتَشْفُ مِنْهَا صِدْقُ عَاطِفَةِ الشَّاعِرِ الْوَأْوَاءِ وَإِخْلَاصَهَا، وَالتَّهَابِ مَشَاعِرِهِ فِي الْحُبِّ، كَمَا أَنَّه يُسْتَشْفُ مِنْهَا مَا أَصَابَهُ مِنْ حُزْنٍ وَهَزَالٍ وَسَقَمٍ عَظِيمٍ كَادَ يُودِي بِحَيَاتِهِ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ الْحُبِّ، وَمِنْهَا: يَنْحَلُّ، وَيَذُوبُ، وَأَسْقَمْتِي، وَالضَّنَا، وَيُقَاسِي، وَالْجَوَى، وَالشُّوقَ، وَبَلَيْتُ، وَأَنْحَلْنِي، وَنَارَ الْهَوَى، وَاشْتَعَلْتُ، وَفَجَعَ، وَالْبَيْنَ، وَذَابَ، وَتَشْيِشَ.

ب: الْبُكَاءُ وَذَرْفُ الدُّمُوعِ الْغَزَارِ:

لَقَدْ كَانَ الْوَأْوَاءُ عَاشِقًا مُنِيئًا لَا يَجِدُ الْحَيَاةَ إِلَّا بِقُرْبِ مَنْ يُحِبُّ، وَلَا يَشْعُرُ بِالسَّعَادَةِ وَالطَّمَأِينَةِ إِلَّا بِوِصَالِهِ، فَإِذَا لَمْ يَنْلِ الْوِصَالَ أَصَابَهُ الْمَرَضُ وَالسَّقَمُ، وَاحْتَرَقَ قَلْبُهُ، وَذَابَ فُؤَادُهُ، وَنَحَلَ جِسْمُهُ، وَطَفِقَ يَبْكِي بِدَمْعٍ غَزِيرٍ مِدْرَارٍ حُزْنًا وَأَسَى⁽¹⁾، وَكَثِيرًا مَا أَعْلَنَ عَنِ هَذِهِ الْحَالَةِ فِي شِعْرِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:⁽²⁾

[السريع]

مَضَى الَّذِي أَوْدَعَ قَلْبِي الْجَوَى فَدَمَعْتِي مِنْ حَسْرَتِي قَاطِرَهُ

وَقَوْلُهُ مُسْتَحْضِرًا شَخْصِيَّةَ النَّبِيِّ أَيُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا عَانَاهُ خِلَالَ دَعْوَتِهِ لِقَوْمِهِ مِنْ أَسَىٍّ وَضَنَىٍّ وَسَقَمٍ، حَيْثُ جَعَلَ مُعَانَاتَهُ بِسَبَبِ فِرَاقِ إِلْفِهِ مِثْلَ مُعَانَاةِ أَيُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا أَنَّه اسْتَحْضَرَ شَخْصِيَّةَ النَّبِيِّ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبُكَاءَهُ عَلَى فِرَاقِ ابْنِهِ النَّبِيِّ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ⁽³⁾، حَيْثُ جَعَلَ الشَّاعِرُ بُكَاءَهُ عَلَى فِرَاقِ مَنْ يَعَشَقُ كَبُكَاءِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَذَلِكَ بِجَامِعِ اسْتِرَاكِهَمَا فِي غَزَارَةِ الدُّمُوعِ وَحَرَارَتِهَا، يَقُولُ:⁽⁴⁾

(1) يُنْظَرُ: الْوَأْوَاءُ: دِيوَانُهُ، مَقْدَمَةُ الْمُحَقِّقِ، ص 27.

(2) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، ص 106.

(3) لِلْإِسْتِزَادَةِ: يُنْظَرُ: بِيَوْمِي، مُحَمَّدٌ: قِصَصُ الْقُرْآنِ دُرُوسٌ وَعِبْرٌ لِلدَّعْوَةِ وَالِدَّاعَاةِ، ط 1، الْمَنْصُورَةُ: مَكْتَبَةُ الْإِيمَانِ، 2006، ص 189-212.

(4) الْوَأْوَاءُ: دِيوَانُهُ، ص 49.

[الكامل]

يَا مَنْ أَقَامَ قِيَامَتِي بِصُدُودِهِ الْجِسْمُ يَنْحَلُ وَالْفُؤَادُ يَذُوبُ
أَسْقَمْتَنِي فَلَقِيتُ مِنْ طُولِ الضَّنَا مَا لَا يُقَاسِي بَعْضَهُ ((أَيُّوبُ))
وَبَكِيتُ مِنْ جَزَعِ عَلَيْكَ بِحُرْقَةٍ أَسْفَاً عَلَيْكَ كَمَا بَكَى ((يَعْقُوبُ))
وَدُمُوعُ الْوَأْوَاءِ تَنْسَابُ عَلَيَّ وَجَنَّتِيهِ إِذَا رَحَلَتْ عَنْهُ الْمَحْبُوبَةُ، أَوْ فَارَقْتَهُ، وَقَدْ عَبَّرَ عَنِ
ذَلِكَ فِي بَعْضِ أَشْعَارِهِ، وَمِنْهَا قَوْلُهُ: (1)

[المتقارب]

حَقِيقٌ لِعَيْنَيَّ أَنْ تَدْمَعَا لِحَرِّ الْفِرَاقِ وَأَنْ تَجْزَعَا
وَأَلْطِمُ خَدِّي حَزْناً عَلَيْهِ وَأَبْكِي عَلَى الْإِلْفِ إِذْ وَدَعَا
وَبِمُجَرَّدِ أَنْ يَتَذَكَّرَ الشَّاعِرُ الْمَحْبُوبَةَ الْبَعِيدَةَ عَنْهُ، فَإِنَّهُ يَذْرِفُ عَلَيْهَا دَمْعاً غَزِيراً
مِدْرَاراً: (2)

[أخذ الكامل]

مَا دَارَ ذِكْرٌ مِنْكَ فِي خَلْدِي إِلَّا طَرَفْتُ بِدَمْعَتِي طَرْفِي
وَهُوَ يَتَعَجَّبُ مِنْ أَنَّهُ اكَتَفَى بِالْبُكَاءِ عَلَى فِرَاقِ الْأَحْبَابِ، وَلَمْ تَخْرُجْ رُوحُهُ بِسَبَبِهِ، يَقُولُ: (3)

[الكامل]

سَارُوا وَمَا عَاجُوا عَلَيْكَ بِنَظْرَةٍ اللَّهُ يَحْفَظُ مَنْ جَفَاكَ وَيَصْحَبُ
لَيْسَ التَّعَجُّبُ مِنْ بَكَائِكَ لِفَقْدِهِمْ لَكِنْ بِقَاكَ مَعَ التَّفَرُّقِ أَعْجَبُ
وَإِذَا رَأَى الْوَأْوَاءُ أَطْلَالَ الْمَحْبُوبَةَ وَأَثَارَ دِيَارِهَا بَعْدَ الرَّحِيلِ عَنْهَا، أَوْ مَرَّ بِهَا فَإِنَّهُ يَبْكِي
بِحُرْقَةٍ وَمَرَارَةٍ، يَقُولُ: (4)

(1) الوأواء: ديوانه، ص 141.

(2) المصدر السابق، ص 150.

(3) المصدر السابق، ص 43-44.

(4) المصدر السابق، ص 16-17.

[الطويل]

أَمَغْنَى الْهَوَى غَالَتْكَ أَيْدِي النَّوَائِبِ فَاصْصَبْتَ مَغْنَى لِلصَّبَا وَالْجَنَائِبِ (1)
إِذَا أَبْصَرْتَكَ الْعَيْنُ جَادَتْ بِمُذْهَبٍ عَلَى مَذْهَبٍ فِي الْخَدِّ بَيْنَ الْمَذَاهِبِ
والوَأَوَاءُ الشَّاعِرُ الْحَسَّاسُ الْمُرْهَفُ مَهْمَا اجْتَهَدَ فِي أَنْ يُخْفِيَ عَشْقَهُ وَحُبَّهُ وَاشْتِيَاقَهُ لِمَنْ
يَهْوَى فَإِنَّهُ يَفْشَلُ؛ لِأَنَّ دُمُوعَهُ تَفْضَحُهُ وَتَكْشِفُ عَنْ مَكُونَاتِ نَفْسِهِ وَمَا يَجُولُ فِيهَا مِنْ مَشَاعِرٍ
وَأَحَاسِيسٍ، يَقُولُ: (2)

[البيسيط]

إِنِّي لِأَخْفَى اشْتِيَاقِي، وَهُوَ مُشْتَهَرٌ، مِنْ أَيْنَ يَخْفَى، وَدَمَعِي صَاحِبُ الْخَبْرِ؟!
وَيَقُولُ: (3)

[البيسيط]

كَتَمْتُ مَا بِي فَنَمَّتْهُ الدُّمُوعُ وَكَمْ حَدَرْتُ مِنْهَا وَمَا وَقَيْتُ مِنْ حَذَرِي
وَلِكَثْرَةِ دُمُوعِهِ وَغَزَارَتِهَا وَمُعَانَاتِهِ بِسَبَبِهَا؛ فَإِنَّهُ يَطْلُبُ مِنْ مَحْبُوبَتِهِ أَنْ تُسَاعِدَهُ وَتُعِينَهُ
عَلَى إِيقَافِ انْحِدَارِهَا مِنْ عَيْنَيْهِ، وَهَذَا لَا يَتِمُّ إِلَّا بِوَصَالِهَا لَهُ وَعَوْدَتِهَا إِلَيْهِ، يَقُولُ: (4)

[الطويل]

وَصَلْتُ أَنِّي فِي الْهَوَى بِحَيْنِي وَشَكْوَايَ مَا أَلْقَى بِضَعْفٍ يَقِينِي
وَبَيَّضْتُ بِالْهَجْرِ الطَّوِيلِ نَوَاطِرِي وَوَرَدْتُ مَاءَ الدَّمْعِ بَيْنَ جُفُونِي
فِيَا مُلْزَمِي ذَنْبَ الدُّمُوعِ الَّتِي جَرَتْ فَأَبَدْتُ مِنَ الْأَسْرَارِ كُلِّ مَصُونِ

(1) النوائب: جمع نائبة، وهي ما يتوب الإنسان، أي ما ينزل به من المهمات والحوادث والمصائب. ابن منظور: لسان العرب، مادة (نوب). الجنائب: جمع جنوب، وهي ريح تهب من جهة الجنوب. مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، مادة (جنب).

(2) الوأواء: ديوانه، ص98.

(3) المصدر السابق، ص99.

(4) المصدر السابق، ص235-236.

أَعْنِي عَلَى تَأْدِيبِ دَمْعِي فَاتِيهِ يَتُوبُ إِذَا مَا كُنْتَ أَنْتَ مُعِينِي
وَإِذَا كَانَتْ الدُّمُوعُ تَتَحَدَّرُ مِنْ عَيْنِي الوأواءِ بِهِذِهِ الصُّورَةَ وَهَذِهِ الْغَزَارَةَ، فَمِنْ الطَّبِيعِيِّ أَنْ
يَتَوَقَّفَ عِنْدَهَا، وَهُوَ الشَّاعِرُ الْحَازِقُ الْمُفَلِّقُ، وَيَصِفُهَا وَصْفًا دَقِيقًا، وَهَذَا مَا حَدَّثَ بِالْفِعْلِ، فَهِيَ هُوَ
ذَا يُقَدِّمُ لَهَا صُورَةً مُسْتَمَدَّةً مِنْ عَالَمِ الطَّبِيعَةِ وَوَرُودَهَا وَأَزْهَارِهَا، حَيْثُ شَبَّهَ الدُّمُوعَ الَّتِي تَتَنَازَرُ
عَلَى خَدَّهِ بِحُبَيْبَاتِ مَاءِ النَّدى الَّتِي تَتَسَاقَطُ عَلَى زَهْرِ النَّسْرِينِ الْأَبْيَضِ، يَقُولُ: (1)

[البسيط]

كَأَنَّ دَمْعِي عَلَى خَدِّي وَصَفَرْتَهُ حَبَابُ دَمْعِ النَّدى مِنْ حَوْلِ نَسْرِينِ
وَخُزْنَا عَلَى هَجْرِ الْمَحْبُوبَةِ لِلوَأوَاءِ انْحَدَرَتْ الدُّمُوعُ، الَّتِي صَوَّرَهَا بِحُبَيْبَاتِ اللُّوْلُؤِ، مِنْ
عَيْنَيْهِ انْحِدَارًا مُتَتَابِعًا لَا انْقِطَاعَ فِيهِ، وَجَعَلَ لَوْنَهَا أَحْمَرَ؛ لِأَنَّ مَصْدَرَهَا دَمْعٌ وَقَلْبُهُ، كِنَايَةٌ عَنِ
حَرَارَتِهَا وَعَنْ خُرُوجِهَا مِنْ أَعْمَاقِ نَفْسِهِ وَوَجْدَانِهِ، لَا مِنْ أَجْفَانِهِ وَحَسْبُ، وَقَدْ عَبَّرَ عَنِ ذَلِكَ فِي
قَوْلِهِ: (2)

[مُخَلَعُ البسيط]

يَا عَاتِبًا لِي بَغَيْرِ عَتَبِ	وَهَاجِرًا لِي بَغَيْرِ ذَنْبِ
لَوْلَاكَ لَمْ تَجْرِ لِي دُمُوعُ	سَكَبًا عَلَى الْخَدِّ فَوْقَ سَكَبِ
لَا تُتَكِرَنَّ إِنْ جَرَّتْ بِدُرٍّ	مُنْتَثِرٍ لَمْ يُشْنِ بِثَقَبِ
صَيَّرَهَا فِي الْجُفُونِ حُمْرًا	تَصْعِيدُهَا مِنْ دَمِي وَقَلْبِي

وَكَرَّرَ الْمَعْنَى الْأَخِيرَ فِي قَوْلِهِ مُخَاطَبًا الْمَحْبُوبَةَ: (3)

[البسيط]

عَنْتَ يَدُ الدَّمْعِ فِي خَدِّي عِنَانَ دَمٍ كَأَنَّهُ مِنْ أَدِيمِ الْقَلْبِ مَقْدُودُ

(1) الوأواء: ديوانه، ص226.

(2) المصدر السابق، ص55.

(3) المصدر السابق، ص71.

وَفِي لَحْظَةِ فِرَاقٍ لَاحِظَ الشَّاعِرُ دُمُوعَ مَعشُوقَتِهِ وَهِيَ تَسِيلُ عَلَى وَجَنَّتَيْهَا، فَصَوَّرَهَا
بِاللُّوْلُو، وَصَوَّرَ وَجَنَّتَيْهَا بِالبِياقُوتِ، وَلَمْ يَنْسَ أَنْ يَصِفَ دُمُوعَهُ، حَيْثُ جَعَلَهَا كَالْحِجَارَةِ الكَرِيمَةِ
الْحَمْرَاءِ وَذَلِكَ بِجَامِعِ اللَّوْنِ، وَصَوَّرَ خَذَهُ الْأَصْفَرَ اللَّوْنِ بِالذَّهَبِ، يَقُولُ: (1)

[البسيط]

أَجْرَى دُمُوعًا كَمَثَلِ الدُّرِّ أَهْمَلَهَا مِنْ نَاطِرِيهِ عَلَى يَأْفُوتِ وَجَنَّتِهِ
فَحَدَّرْتُ مُقَلَّتَا عَيْنِي الْعَقِيقَ عَلَى خَدِّ حَكِي ذَهَبًا مِنْهُ بِصُفْرَتِهِ

وَفِي صُورَةٍ أُخْرَى اعْتَمَدَ فِي وَصْفِ دُمُوعِهِ الشَّفَافَةَ اللَّامِعَةَ الَّتِي تَتَحَدَّرُ عَلَى وَجَنَّتَيْهِ
الْبُنْيَتَيْنِ عَلَى عُنْصُرِ اللَّوْنِ، حَيْثُ صَوَّرَهَا بِمَادَّةِ الْفِضَّةِ الْمَوْضُوعَةِ عَلَى أَرْضِ مَصْنُوعَةٍ مِنَ
الذَّهَبِ الدَّاكِنِ اللَّوْنِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ مُخَاطَبًا مَنْ يَعِشِقُ: (2)

[المتقارب]

وَحَقَّ جُفُونِكَ فَهِيَ الَّتِي إِذَا مَا حَلَفْتُ بِهَا أَصْدُقُ
لَقَدْ فَتَحَ الشُّوقُ لِي مِنْ هَوَا كَ بَابًا مِنَ الشُّوقِ لَا يُغْلَقُ
كَأَنَّ دُمُوعِي عَلَى وَجَنَّتِي لَجِينٌ عَلَى ذَهَبٍ مُحْرَقُ

وَفِي مَقْطُوعَةٍ أُخْرَى عَاوَدَ تَصْوِيرَ حَبِيبَاتِ مَاءِ الدَّمْعِ الْمُتَنَاطِرَةِ عَلَى خَذِهِ بِاللُّوْلُو، ثُمَّ
اسْتَعْمَلَ أُسْلُوبَ التَّقْسِيمِ عَلَى لِسَانِ مَحْبُوبَتِهِ، فَجَعَلَ الدَّمْعَ الْحَقِيقِيَّ الَّذِي يَذْرِفُهُ الْإِنْسَانُ بِصِدْقٍ مِنْ
أَعْمَاقِهِ ضَرْبَيْنِ اثْنَيْنِ، هُمَا: دَمْعُ الْغَرِيبِ الْمُهَاجِرِ عَنِ وَطَنِهِ وَأَهْلِهِ وَدِيَارِهِ، وَدَمْعُ الْمَهْجُورِ الَّذِي
فَارَقَهُ الْفُؤُةَ، وَوَصَفَ دَمْعَهَا عَلَى فِرَاقِهِ مُسْتَعْمِلًا تَصْوِيرًا جَمِيلًا، وَمُعْتَمِدًا عَلَى الْحِجَارَةِ الكَرِيمَةِ
الْمَلُونَةِ، حَيْثُ صَوَّرَهُ بِالْعَقِيقِ الْأَحْمَرَ اللَّوْنِ الْمَذَابِ فِي الْبَلُّورِ الشَّفَافِ اللَّامِعِ، يَقُولُ: (3)

[الخفيف]

لَسْتُ أَنْسَى مَقَالَهَا لِي، وَدَمْعِي فَفَوْقَ خَدِّي كَاللُّوْلُو الْمَثُورِ

(1) الواوَاء: ديوانه، ص63.

(2) المصدر السابق، ص168-169.

(3) المصدر السابق، ص109.

كُلُّ دَمْعٍ فَبِالتَّكْفِ يَجْرِي غَيْرَ دَمْعِ الْغَرِيبِ وَالْمَهْجُورِ
وَرَدَّ الْبَيْنُ دَمْعَ عَيْنِي فَأَضْحَى كَعَقِيقٍ أُذَيْبَ فِي بِلُورِ

وبهذا فإنَّ الوأءَ لم يصفِ دُموعَهُ حسَب، وإنَّما وصَفَ دَمْعَ مَحْبُوبَتِهِ، وَها هُوَ ذَا يَرَسُمُ صُورَةً جَدِيدَةً لَهَا، يُصَوِّرُها فِيها بِعَقْدٍ مِنَ اللَّوْلُوِّ الْمُتَنَائِرَةِ حُبِّيَّاتُهُ عَلَيَّ وَجَنَّتِيها، وَفِي صُورَةٍ بَدِيعَةٍ صَوَّرَ بِقَايَا الْكُحْلِ الَّذِي يُزَيِّنُ عَيْنِيها، وَأَثارُهُ عَلَيَّ وَجِهًا نَتِيجَةً ذُوبانِهِ بِفِعْلِ الدَّمْعِ، صَوَّرَها بِبَقَايَا سَطْرٍ قَدِيمٍ مَكْتُوبٍ عَلَيَّ وَرَقَةً بِالْيَةِ، حَيْثُ لَا تَظْهَرُ مِنْهُ إِلَّا بَعْضُ الْأَثارِ الْبَسِيطَةِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: (1)

[الخفيف]

جَعَلْتَ تَشْتَكِي الْفِرَاقَ وَفِي أَجْ فَانْهَاجَ عِقْدُ لَوْلُوِّ مَنْثُورِ
وَكَأَنَّ الْكُحْلَ السَّحِيقَ مَعَ الدَّمِّ عَ عَلَيَّ خَدَّها بِقَايَا سَطُورِ

وَكَثِيرًا ما يَلْجَأُ الْوَأءُ فِي وَصْفِهِ لِلدَّمْعِ إِلَى رَسْمِ الصُّورِ الَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَيَّ عُنْصُرِ الْمُبَالَغَةِ وَالتَّهْوِيلِ؛ إِبرازًا لِغِزَارَةِ دُمُوعِهِ وَكَثْرَتِها، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ جَعَلَ دُمُوعَهُ بَحْرًا وَاسِعًا مُمْتَلئًا بِالماءِ، وَجَعَلَ جَفْنَ عَيْنِيهِ إِنسانًا حاذِقًا لِلسَّبَّاحَةِ الَّتِي لَوْلَها لَمَاتَ غَرِيقًا فِي ذَلِكَ الْبَحْرِ، يَقُولُ: (2)

[المنسرح]

إِنْسَانُ عَيْنٍ لَوْلَا سِبَّاحَتُهُ ماتَ غَرِيقًا بِبِحْرِ دَمْعَتِهِ
وَدُمُوعُ الْوَأءِ غَزِيرَةٌ مِدْرارَةٌ إِلَى الدَّرَجَةِ الَّتِي يُمَكِّنُ لَهَا أَنْ تَمَلَأَ نَهْرَ النَّيْلِ الْعَظِيمِ، وَتَجْعَلَهُ يَفِيزُ بِالماءِ، فَقَدْ وَصَفَ فِي بَعْضِ أَشْعارِهِ هَذَا النَّهْرَ بِأَنَّهُ مُمْتَلئٌ بِالماءِ، وَيُعَلِّلُ ذَلِكَ لَا بِكَثْرَةِ الْمَطَرِ الْمُنْهَمِرِ مِنَ السَّمَاءِ كَمَا يَتَّبَادَرُ إِلَى ذَهْنِ الْإِنْسَانِ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ، وَإِنَّمَا بِكَثْرَةِ الدَّمُوعِ الَّتِي تَنْهَمِرُ مِنْ عَيْنِيهِ، وَتَجْمَعُها فِي ذَلِكَ النَّهْرِ، يَقُولُ: (3)

(1) الوأء: ديوانه، ص111.

(2) المصدر السابق، ص64.

(3) المصدر السابق، ص274.

[مجزوء الرمل]

مَا تَرَى النَّيْلَ عَلَيْهِ حَبَكًا مِثْلَ الدُّرُوعِ
إِنَّمَا زَادَ لِأَنْبِي فِيهِ أَجْرِيَّتُ دُمُوعِي

وَيَسْتَذَكِرُ الوَأَاءُ مَعشُوقَهُ فِي إِحْدَى اللَّيَالِي الْمُظْلِمَةِ الشَّدِيدَةِ السَّوَادِ، فَيَبْدَأُ بِالْبُكَاءِ شَوْقًا وَحَنِينًا، وَيَذْرِفُ دَمْعًا مِدْرَارًا فَضِيَّ اللَّوْنِ حَتَّى كَادَ اللَّيْلُ الْأَسْوَدُ، لِكثْرَةِ دُمُوعِهِ وَلَمَعَانِهَا، يَتَحَوَّلُ إِلَى نَهَارٍ مُشْرِقٍ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ: (1)

[الطويل]

رَعَى اللَّهُ لَيْلًا ضَلَّ عَنْهُ صَبَاحُهُ وَطَيْفُكَ فِيهِ لَا يُفَارِقُ مَضْجَعِي
وَمَا زِلْتُ أَبْكِي فِي دُجَاهِ صَبَابَةٍ مِنْ الْوَجْدِ حَتَّى ابْيَضَّ مِنْ فَيْضِ أَدْمَعِي

وَفِي مُبَالِغَةٍ جَدِيدَةٍ، اسْتَعْمَلَ الوَأَاءُ فِي صِيَاغَتِهَا أُسْلُوبَ الشَّرْطِ، وَاخْتَارَ مِنْ أَدَوَاتِهِ مَا يُفِيدُ امْتِنَاعَ الْجَوَابِ لِامْتِنَاعِ الشَّرْطِ أَلَا وَهُوَ الْحَرْفُ "لَوْ"، قَالَ لَوْ أَنَّ الْعُشْبَ وَالنَّبَاتَ يَنْبُتُ فِي خَدِّ الْإِنْسَانِ، وَيُسْقَى بِمَاءِ الدَّمْعِ لَتَكَوَّنَتْ فِي خَدِّيهِ، أَيِ الوَأَاءِ، لِعِزَارَةِ دُمُوعِهِ مَزَارِعَ مِنَ النَّبَاتَاتِ وَالْأَزْهَارِ الْمُتَعَدِّدَةِ الْأَلْوَانِ وَالْأَشْكَالِ، يَقُولُ: (2)

[مُخْلَعُ البسيط]

كَمْ زَفَرَاتٍ وَكَمْ دُمُوعٍ هَذَا لَعْمَرِي هُوَ الْقُطُوعُ
لَوْ أَعْشَبَ الْخَدُّ مِنْ دُمُوعٍ لَكَانَ فِي خَدِّي الرَّبِيعُ

وَفِي مَقْطُوعَةٍ أُخْرَى تَحَدَّثَ عَنْ وَصَالِ الْمَحْبُوبَةِ لَهُ بَعْدَ فَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ مِنَ الْقَطِيعَةِ وَالْفِرَاقِ، فَحِينَمَا عَلِمَ بِقُدُومِهَا بَكَى بُكَاءً شَدِيدًا، وَذَرَفَ دَمْعًا غَزِيرًا، وَقَدْ صَوَّرَ تِلْكَ الدُّمُوعَ حَيْثُ جَعَلَ عَيْنِيهِ مَصْدَرَ الدَّمْعِ نَبْعَ مَاءٍ لَا تَنْضَبُ مِيَاهُهُ وَلَا تَنْتَهِي، وَلِمُضَاعَفَةِ الْمُبَالِغَةِ الَّتِي يَسْعَى إِلَى إِظْهَارِهَا، يَقُولُ إِنَّهُ إِذَا مَا نُصِبَتْ رَحَى بَجَانِبِ عَيْنِيهِ، وَصُرِّقَتْ دُمُوعُهُ إِلَيْهَا، لَدَارَتْ تِلْكَ الرَّحَى عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ثِقَلِ وَزْنِهَا، يَقُولُ: (3)

(1) الوَأَاءُ: دِيوَانُهُ، ص 141-142.

(2) المَصْدَرُ السَّابِقُ، ص 138.

(3) المَصْدَرُ السَّابِقُ، ص 110-111.

[الوافر]

أَتَانِي زَائِرًا مَن كَانَ يُبِيدِي لِي الْهَجَرَ الطَّوِيلَ وَلَا يَزُورُ
فَقَالَ النَّاسُ لَمَّا أَبْصَرُوهُ: لِيهِنَّكَ زَارِكُ الْبَدْرِ الْمُنِيرُ
فَقُلْتُ لَهُمْ، وَدَمَعُ الْعَيْنِ يَجْرِي عَلَيَّ خَدِّي لَهْ دُرٌّ نَثِيرُ:
مَتَى أُرْعَى رِيَاضَ الْحُسْنِ مِنْهُ وَعَيْنِي قَدْ تَضَمَّنَهَا غَدِيرُ!
وَلَوْ نَصَبُوا رَحَى بِإِزَاءِ دَمْعِي لَكَاتَتْ مِنْ تَحْدُرِهِ تَدُورُ!

وَلِكَثْرَةِ بُكَاءِ الْوَأْوَاءِ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْمَعْشُوقَةِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ إِغْمَاضَ عَيْنَيْهِ؛ لِأَنَّ جُفُونَهُ تَتَقَلَّصُ وَيَصْغُرُ حَجْمُهَا، بِسَبَبِ مَا لَقِيَتْهُ مِنْ تَعَبٍ وَاجْتِهَادٍ، يَقُولُ فِي هَذَا الْمَعْنَى: (1)

[مجزوء الكامل]

فَدَمَّوعَ عَيْنِي إِذْ رَأَتْ هُ تَجُودُ بِالْأَدَمْعِ الْمَصُونِ
مَا تَطْعَمُ الْإِغْمَاضَ مِنْ قِصْرِ الْجُفُونِ عَنِ الْجُفُونِ

يُسْتَخْلَصُ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ الْوَأْوَاءَ شَاعِرٌ مُرَهَفٌ حَسَّاسٌ، وَعَاشِقٌ مُنِيْمٌ بَكَى عَلَى فِرَاقِ مَنْ يَعَشَقُ، وَعَلَى صُدُودِهِ وَهَجْرَانِهِ، فَذَرَفَ دَمْعًا غَزِيرًا، فَوَصَفَهُ، وَاعْتَمَدَ فِي وَصْفِهِ لَهُ، فِي مُعْظَمِ الْأَحْيَانِ، عَلَى الصُّورَةِ اللَّوْنِيَّةِ الَّتِي اسْتَمَدَّهَا مِنْ بَعْضِ الْحِجَارَةِ الْكَرِيمَةِ وَالْمَعَادِنِ الثَّمِينَةِ كَاللُّؤْلُؤِ، وَالذَّرِّ، وَالْيَاقُوتِ، وَالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةِ، وَمِنْ بَعْضِ أَدْوَاتِ الزَّيْنَةِ كَالْكَحْلِ، وَالْكَافُورِ، وَفَضْلًا عَنْ ذَلِكَ فَقَدَ اعْتَمَدَ فِي تَصْوِيرِهَا عَلَى عُنْصُرِ الْمُبَالَغَةِ وَالتَّهْوِيلِ اعْتِمَادًا كَبِيرًا؛ رَغْبَةً فِي إِظْهَارِ كَثْرَتِهَا وَغَزَارَتِهَا.

ج: تَصْوِيرُ طُولِ لَيْلِهِ، وَمَا يُصِيبُهُ فِيهِ مِنْ أَرْقٍ وَقَلْقٍ وَسَهَادٍ:

من الوسائل التي استعملها الشاعر الوأواء للتعبير عن الألم والمكابدة والشوق الذي يُعَانِيهِ، وَيَكْتَوِي بِنَارِهِ نَتِيجَةَ فِرَاقِ مَحْبُوبَتِهِ وَصُدُودِهَا وَهَجْرَانِهَا، وَصَفُ اللَّيْلِ، وَالتَّرْكِيزُ عَلَى

(1) الوأواء: ديوانه، ص 234.

إبراز طول ساعاته وامتدادها تركيزاً كبيراً، حتى يظهر وكأنه ليس له نهاية، ويتضح ذلك من قوله: (1)

[البسيط]

أما لتطويل هذا الليل تقصيرُ
بأن الحبيب فالمامي به لممٌ
من شفه الشوق في شكواه معذورُ
بعد البعاد وزوراتي له زورُ

وعبر عن هذه الفكرة في العديد من الصور الدالة، وقد لجأ إلى الغلو؛ ليظهر المعاناة والمكابدة والحزن الذي يُعانيه، ومن ذلك أنه جعل الليل -شدة طول ساعاته وامتدادها- شيئاً ضائعاً ضاللاً لا يتمكن صاحبه، أي الصباح، من العثور عليه، ثم يصور بكاءه على المحبوبة، فهو لكثرة الدموع التي انحدرت من عينيه، تحول ظلام الليل الأسود إلى بياض ناصع، وفي هذا ما يكشف عن نفسية الوأواء المدمرة، وحالة الشوق والحنين والأرق التي كان يعيشها عند نظم هذه الأبيات، يقول: (2)

[الطويل]

رعى الله ليلاً ضلَّ عنه صباحه
ولم أر مثلي غار من طول ليله
وطيفك فيه لا يفارق مضجعي
عليه كأن الليل يعشقه معي
من الوجد حتى ابيض من فيض أدمعي
وما زلت أبكي في دجاء صبابه

ويلجأ الوأواء إلى تكرار شيء من الصورة السابقة، ومن ذلك قوله: (3)

[الكامل]

فلرب ليل ضلَّ عنه صباحه
فكأنه بك خطرة المتفكر

(1) الوأواء: ديوانه، ص112.

(2) المصدر السابق، ص141-142.

(3) المصدر السابق، ص108.

وفي موضعٍ آخر، شَبَّهَ لَيْلَهُ بِلَيْلِ النَّسَاءِ اللَّوَاتِي يَنْدُبْنَ أَبْنَاءَهُنَّ بَعْدَ فَقْدِهِمْ، بِجَامِعِ الطُّوْلِ وَشِدَّةِ الْمُعَانَاةِ، حَيْثُ لَا يَعْرِفُ الْإِنْسَانُ فِيهِ شَرْقَهُ مِنْ غَرْبِهِ وَلَا شِمَالَهُ مِنْ جَنُوبِهِ، يَقُولُ: (1)

[الطويل]

وليلِ كَلَيْلِ الثَّأَكِلَاتِ لَبِسَتْهُ مشارفُهُ لَا تَهْتَدِي لِلْمَغَارِبِ
وفي صورةٍ جديدةٍ مُعْبِرَةٍ دَالَّةٌ عَلَى طَوْلِ لَيْلِهِ، يَصَوِّرُهُ بِغَرَابٍ أَسْوَدَ لَفِّ الْأَرْضِ
بِجَنَاحِيهِ وَاحْتَضَنَهَا، فَأَصْبَحَتْ سُودَاءَ مُظْلِمَةٍ، لَا يُرَى فِيهَا النُّورَ، وَبِهَذَا أَيْقَنَ أَنَّ الصَّبَاحَ لَنْ
يَنْبَلِجَ، وَأَنَّ اللَّيْلَ لَنْ يَنْتَهِيَ، يَقُولُ: (2)

[مُخَلَّعَ البسيط]

أَطَالَ لَيْلَ الصُّدُودِ حَتَّى يَسْتُ مِنْ غُرَّةِ الصَّبَاحِ
كَأَنَّهُ إِذَا دَجَا غُدَافٌ قَدْ حَضَنَ الْأَرْضَ بِالْجَنَاحِ (3)
وَيَبَالِغُ فِي تَصْوِيرِ لَيْلِهِ الطَّوِيلِ الْمُمْتَدِّ، فَيَشْعُرُ بِأَنَّهُ لَا حُدُودَ لَهُ وَلَا نِهَآيَةَ، وَقَدْ عَبَّرَ عَنِ
ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: (4)

[الطويل]

وليلِ كَفَكْرِي فِي صُدُودِ مُعَذَّبِي وَإِلَّا كَأَنْفَاسِي عَلَيْهِ مِنَ الْوَجْدِ
وَإِلَّا كَعَمْرِ الْهَجْرِ مِنْهُ فَإِنَّهُ إِذَا قَسَتْهُ بِالْوَصْفِ كَانَ بِلَا حَدِّ
وَاللَّيْلُ عِنْدَهُ يُشْبِهُ نَفْسَ الْعَاشِقِ فِي طَوْلِهِ، بَلْ هُوَ أَطْوَلُ مِنْهُ، يَقُولُ: (5)

(1) الوأواء: ديوانه، ص 18.

(2) المصدر السابق، ص 69.

(3) الغداف: هو الغراب، وخصَّ بعضهم به غراب القَيْظِ الصَّخْمِ الْوَافِرِ الْجَنَاحِينَ، وَالْجَمْعُ غُدْفَانٌ. ابن منظور: لسان العرب، مادة (غدف).

(4) الوأواء: ديوانه، ص 87.

(5) المصدر السابق، ص 262.

[الخفيف]

رُبَّ لَيْلٍ أَمَدٌ مِنْ نَفْسِ الْعَا شِقِ طُولًا قَطَعْتَهُ بِانْتِحَابِ
وصور الوأواء لحظات الليل الممتد، المتجددة كواكبُه ونومُه بلحظات انفصالِ العاشقين،
وساعات فراقهم، وكانَّ الوقتَ -آنذاك- لا ينقضي، يقول: (1)

[الوافر]

وَلَيْلٍ مِثْلَ يَوْمِ الْبَيْنِ طُولًا كَوَاكِبُهُ إِذَا أَفَلَّتْ تَعُودُ
يُدَافِعُ نَوْمَهَا فِيهِ انْتِبَاهُ فَأَعْيُنُهَا مُفْتَحَةٌ رُقُودُ
ويكرر هذه الصورة في قوله: (2)

[الوافر]

وَلَيْلٍ مِثْلَ يَوْمِ الْبَيْنِ طُولًا كَانَ ظَلَامَهُ لَوْنُ الصُّدُودِ
ولم ينسَ أن يُشيرَ إلى ما يُصيبُه من أرقٍ وسهادٍ نتيجة هجرانِ المحبوبِ وبينهِ، ومن
ذلك قوله: (3)

[السريع]

لَا تَكْتَثِرُوا عَذْلًا وَلَا لَوْمًا لَمْ يُبِقِ حَرُّ الْهَجْرِ لِي نَوْمًا
وَيَلِي عَلَى هَجْرَانِ مَنْ هَجْرُهُ قَدْ سَامَنِي وَرَدَ الرَّدَى سَوْمًا
أُنْكِرَنِي حَتَّى كَانَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُنِي مِنْ دَهْرِهِ يَوْمًا
وفي فكرِ الشاعرِ أنَّ هناكَ وسيلتين لتسليَةِ النَّفسِ، وتقصيرِ ذاكَ اللَّيْلِ الطَّوِيلِ، أمَّا
أولاهُما، فَهِيَ شَرْبُ الْخَمْرِ وَمُعَاقَرَتُهَا، يقول: (4)

(1) الوأواء: ديوانه، ص76.

(2) المصدر السابق، ص86.

(3) المصدر السابق، ص213.

(4) المصدر السابق، ص10.

[الطويل]

وليلٍ تَمَادَى طَوْلُهُ فَقَصَّرْتُهُ بِرَاحِ تَعِيرِ الْمَاءِ مِنْ صَفْوِهَا صَفَا
وَأَمَّا ثَانِيَتُهُمَا، فَهِيَ لِقَاءُ مَنْ يَعشَقُ، حَيْثُ يُصْبِحُ اللَّيْلُ -أَنذَاكَ- قَصِيرًا جَدًّا، يَمُرُّ فِي
لَحَظَاتٍ قَلِيلَةٍ، كَنَتِكَ الَّتِي تَسْتَعْرِقُهَا خَفَقَةٌ مِنْ خَفَقَاتِ الْقَلْبِ، أَوْ قَبْلَةَ عَاشِقٍ يَأْخُذُهَا مِنْ مَحْبُوبَتِهِ
عَلَى عَجَلٍ وَحَذَرٍ، أَوْ تَحْتَاجُهَا رَمْسَةً عَيْنٍ، يَقُولُ: (1)

[الطويل]

وليلٍ طَوِيلٍ كَانَ لَمَّا قَرَنْتُهُ بِرُؤْيَا مَنْ أَهْوَى قَصِيرَ الْجَوَانِبِ
د: الإقرارُ بالذُّلِّ وَالْهَوَانِ، وَبِالْعُبُودِيَّةِ لِلْمَحْبُوبَةِ:

صَرَخَ الْوَأْوَاءُ بِالذُّلِّ وَالْهَوَانِ الَّذِي أَصَابَهُ مِنَ الْحُبِّ، وَبِالْعُبُودِيَّةِ لِلْمَحْبُوبَةِ الَّتِي قَابَلَتْهُ
بِالصَّدُودِ وَالْهَجْرَانِ وَالْبَيْنِ وَالْإِعْرَاضِ، وَذَلِكَ نَتِيجَةُ السَّعْيِ وَرَاءَهَا؛ رَغْبَةً فِي إِرْضَائِهَا
وَالْحُصُولِ عَلَى عَطْفِهَا وَوَصَالِهَا، وَقَدْ صَوَّرَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: (2)

[الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنِّي بَعْتُ عِزِّي بِذِلَّةٍ وَطَاوَعْتُ مَا تَهْوَى لِطَوْعِكَ مَا تَشَا
وَهُوَ رَاضٍ بِذِلَّةٍ فِي الْحُبِّ وَمُسَلِّمٌ بِهِ، وَيَتَّضِحُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ: (3)

[مجزوء الرمل]

أَنْتَ بِالْعِزَّةِ مَاضٍ وَأَنَا بِالذُّلِّ رَاضٍ
هَلْ سَمِعْتُمْ بِغِزَالٍ صَادَ لَيْثًا فِي غِيَاضٍ!؟
بِأَبِي رِيَمٍ رَمَى قَلْبُ بِي بِأَخْدَاقِ مِرَاضٍ

(1) الوأواء: ديوانه، ص26.

(2) المصدر السابق، ص9.

(3) المصدر السابق، ص137.

وَيَفْعَلُ خَبْرَتَهُ الطَّوِيلَةَ فِي العِشْقِ وَالْهَيْامِ، يُقَدِّمُ نَصِيحَةَ لِلْعَاشِقِينَ جَمِيعِهِمْ يُوصِيهِمْ فِيهَا بِضُرُورَةِ الخُضُوعِ وَالتَّذَلُّلِ لِلْمَحْبُوبِ الَّذِي يَعِزُّ وَصَالَهُ، فَرُبَّمَا يَحِنُّ عَلَى العَاشِقِ وَيَجُودُ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنَ الوِصَالِ وَاللِّقَاءِ، يَقُولُ: (1)

[البسيط]

اخْضَعْ إِذَا عَزَّ مَنْ تَهَوَّى وَذَلَّ لَهُ فَوَدَّ أَهْلَ الهَوَى أَبْقَى إِذَا خَضَعُوا
وَجَعَلَ نَفْسَهُ عَبْدًا طَائِعًا لِمَنْ يَعِشَقُ، لَا يُرِيدُ مِنْهُ سِوَى الرِّضَى، كَمَا أَنَّهُ جَعَلَ مَحْبُوبَهُ
سَيِّدًا لَهُ يُلْقِي عَلَيْهِ الأوامِرَ، وَقَدْ رَكَزَ عَلَى هَذَا المَعْنَى وَكَرَّرَهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَشْعَارِهِ، وَمِنْهَا قَوْلُهُ
مُحَاوِلًا اسْتِعْطَافَ مَعْشُوقِهِ وَاسْتِرْضَاءَهُ وَاسْتِنْتَارَةَ حَفِيظَتِهِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَحْصُلَ عَلَى قُرْبِهِ
وَوِصَالِهِ: (2)

[مجزوء الكامل]

دُ أَمَّا لَهُ يَوْمًا ذُنُوءُ !	يَا سَيِّدِي كَمْ ذَا البِعَا
م فَمَّا لَهُ مِنْهُ سُؤُوءُ	أَغْرَيْتَ قَلْبِي بِالأَغْرَا
أَعْلَى مَرَاتِبَهُ العُلُوءُ	أَهْبَطْتَ قَلْبِي بَعْدَ مَا
وَرَأَى مَسَرَّتَهُ العُودُوءُ	فَرَأَى صَدِيقِي شَيْئَهُ

وَهَا هُوَ ذَا يَسْتَحْفُ الْمَحْبُوبَةَ وَيَطْلُبُ مِنْهَا بِنُوعٍ مِنَ التَّرَجِّيِ أَلَّا تُخَاطَبَهُ بِعِبَارَةِ (سَيِّدِي)
عِنْدَ الحَدِيثِ مَعَهُ، لِأَنَّ السَّادَةَ لَا يُخَاطَبُونَ عَبِيدَهُمْ بِمِثْلِ هَذَا القَوْلِ، يَقُولُ: (3)

[الكامل]

ووصية الهادي الأمين المهتدي	إني سألتك بالنبِّيِّ ((محمد))
بصباية ممزوجة بتجأد	ويحب من أغرى فؤادك حُبهُ

(1) الواوَاء: ديوانه، ص 139.

(2) المصدر السابق، ص 247.

(3) المصدر السابق، ص 89.

وبسحرٍ منطقِكَ الَّذِي سُلْطَانُهُ حُكْمٌ يَجُورُ عَلَى الْقُلُوبِ وَيَعْتَدِي
هَلَا هَجَرْتَ بِفِيكَ قَوْلِكَ: سَيِّدِي مَوْلَى يَقُولُ لِعَبْدِهِ: يَا سَيِّدِي !
وَيَصْرَحُ الْوَأْوَاءُ بِأَنَّهُ عَبْدٌ طَائِعٌ لِمَنْ يُحِبُّ، فَهُوَ يَفْعَلُ كُلَّ مَا يَرِيدُهُ مِنْهُ، إِلَى دَرَجَةِ أَنَّهُ
يَمُوتَ عَلَى الْفُورِ وَدُونَ تَرَدُّدٍ أَوْ تَفْكِيرٍ إِذَا مَا طَلَبَ مِنْهُ ذَلِكَ، يَقُولُ: (1)

[مجزوء الكامل]

بِاللَّهِ يَا سَطَوَاتِ هَجْرِهِ لَا تَعْجَلِي بِحُكُولِ ضُرِّهِ
لَوْ قَالَ لِي: مُتْ طَاعَةً مَا عَشْتُ بَعْدَ سَمَاعِ أَمْرِهِ
وَيَقُولُ: (2)

[مجزوء الكامل]

لَوْ قَالَ لِي: مُتْ طَاعَةً لِأَطَعْتُهُ وَقَبِلْتُ أَمْرَهُ
وَالْوَأْوَاءُ يَفْتَخِرُ كُلَّ الْاِفْتِخَارِ بِعُبُودِيَّتِهِ لِلْمَعْشُوقَةِ، إِذْ صَرَخَ بِأَنَّهُ يَكْفِيهِ شَرَفًا وَعِزًّا وَنُبْلًا
أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لَهَا يَأْتَمِرُ بِأَمْرِهَا، يَقُولُ: (3)

[الخفيف]

سَيِّدِي أَنْتَ لَمْ أَقُلْ سَيِّدِي أَنْ تَ لِأَنِّي عَدَدْتُ نَفْسِي أَهْلًا
أَنَا حُرٌّ وَالْحُرُّ يَشْهَدُ أَنِّي لَكَ عَبْدٌ فَكَتُبْ بِذَلِكَ سِجْلًا
شَرَفِي إِنْ رَضِيَتْ بِي لَكَ مَمْلُوءٌ كَأَوْحَسْبِي بِذَلِكَ عِزًّا وَنُبْلًا
ه: تَمَنَّى الْمَوْتَ وَطَلَبَهُ:

كَانَ الْوَأْوَاءُ مُتَعَلِّقًا بِالْمَرَأَةِ الْمَحْبُوبَةِ تَعَلُّقًا شَدِيدًا، وَلَا يَسْتَطِيعُ الْعَيْشَ بَعِيدًا عَنْهَا، فَإِذَا مَا
فَارَقْتَهُ وَبَانَتْ عَنْهُ أَصَابَةُ الْيَأْسِ مِنَ الْحَيَاةِ، وَحَطَّمَتْ نَفْسُهُ وَدُمِّرَتْ مَشَاعِرُهُ، وَأَصْبَحَ يَتَمَنَّى

(1) الوأواء: ديوانه، ص117.

(2) المصدر السابق، ص118.

(3) المصدر السابق، ص182.

الموت وَيَطْلُبُهُ؛ لِأَنَّهُ فِيهِ يَحْصُلُ عَلَى الرَّاحَةِ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي يُعَانِي مِنْهُ، وَلَقَدْ عَبَّرَ عَنِ هَذِهِ
الْفِكْرَةِ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَشْعَارِهِ، وَمِنْهَا قَوْلُهُ فِي إِحْدَى مَقْطُوعَاتِهِ الْغَزَلِيَّةِ بَعْدَ ذِكْرِ مُعَانَاتِهِ وَالْمَهْمَةِ: (1)

[المنسرح]

مَنْ كَانَ مِثْلِي فَالْمَوْتُ رَاحَتُهُ وَالْمَوْتُ وَاللَّهُ دُونَ مَا أَجْدُ
وقَوْلُهُ: (2)

[البيسط]

شَغَلْتُ قَلْبِي وَسَمِعِي فِي مَوَدَّتِكُمْ لَا خَلَصَ اللَّهُ قَلْبِي مِنْ مَحَبَّتِكُمْ
وَلَا رُزِقْتُ حَيَاةً بَعْدَ بَيْنِكُمْ إِنَّ لَمْ أَمُتْ نَدَمًا مِنْ بَعْدِ فُرْقَتِكُمْ
هَا قَدْ غَضِبْتُ عَلَى رُوحِي لِأَجْلِكُمْ حَتَّى جَفَوْتُ حَيَاتِي عِنْدَ جَفَوْتِكُمْ
وَفِي مَقْطُوعَةٍ أُخْرَى يُعْرَبُ عَنْ خَجَلِهِ وَحَيَاتِهِ مِنْ بَقَائِهِ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ بَعْدَ بَيْنِ الْمَحْبُوبَةِ
وَفِرَاقِهَا، ثُمَّ يَرَى أَنَّ طَلْبَهُ الْمَوْتَ لَيْسَ غَرِيبًا، وَإِنَّمَا الْغَرِيبُ الْعَجِيبُ هُوَ بَقَاؤُهُ حَيًّا، يَقُولُ: (3)

[البيسط]

وَإِخْجَلْتِي مِنْ بَقَائِي بَعْدَ فُرْقَتِكُمْ إِذْ لَيْسَ لِي فِي حَيَاتِي بَعْدَكُمْ أَرْبُ
وَلَيْسَ مَوْتِي عَجِيبًا بَعْدَ بَيْنِكُمْ وَإِنَّمَا فِي حَيَاتِي بَعْدَكُمْ عَجَبُ
وَهَا هُوَ ذَا يُعَاتِبُ الْمَنِيَّةَ الَّتِي لَمْ تَقْبِضْ رُوحَهُ بَعْدَ رَحِيلِ الْمَحْبُوبَةِ وَفِرَاقِهَا، فِي قَوْلِهِ: (4)

[البيسط]

هُوَ الْفِرَاقُ فَعِشْ إِنْ شِئْتَ أَوْ فَمِتْ لَيْسَ الْحَيَاةُ إِذَا بَانُوا بِمُعْجِبَتِي

(1) الواوَاء: ديوانه، ص76.

(2) المصدر السابق، ص66.

(3) المصدر السابق، ص34.

(4) المصدر السابق، ص60.

وَيَحِ الْمَنِيَّةَ إِذْ سَارَتْ رَكَائِبُهُمْ لَوْ أَنَّهَا قَبِضَتْ رُوحِي لِأَحْسَنْتِ

وَإِذَا كَانَ الْحَالُ كَذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ الْمُسْتَغْرَبِ أَنْ يُقَدَّمَ الشَّاعِرُ رُوحَهُ هَدِيَّةً رَخِيصَةً
لِلْمَحْبُوبَةِ، فَكُلُّ مَا يَهْمُهُ هُوَ بَقَاؤُهَا فِي نَعِيمٍ وَسَلَامٍ وَخَيْرٍ حَتَّى لَوْ كَانَ ذَلِكَ عَلَى حِسَابِ حَيَاتِهِ،
وَهَذَا يُمَثِّلُ غَايَةَ الْعَفَافِ وَالْإِخْلَاصِ فِي الْحُبِّ، يَقُولُ: (1)

[الكامل]

لَا تُكْرِئِي مَا بِي فَلَيْسَ بِمُنْكَرٍ عِنْدَ التَّفَرُّقِ حَيْرَةٌ الْمُتَحَيِّرِ
هَذَا هَذِهِ رُوحِي إِلَيْكَ هَدِيَّةً فَتَجَمَّلِي فِي أَخْذِهَا أَوْ فَاغْزِرِي

يَتَّضِحُ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ الْوَأْوَاءَ صَوَّرَ فِي غَزَلِيَّاتِهِ الْمَعْنَوِيَّةِ الطَّاهِرَةِ الْعَفِيفَةَ، الْمُعَانَاةَ وَالْأَلَمَ
وَالْحُزْنَ الَّذِي يَشْعُرُ بِهِ مِنَ الْحُبِّ، وَمِنْ صُدُودِ الْمَحْبُوبَةِ وَهَجْرَانِهَا وَفِرَاقِهَا لَهُ، وَقَدْ اسْتَعْمَلَ
لِإِبْرَازِ ذَلِكَ الْعَدِيدِ مِنَ الْوَسَائِلِ وَالْأَسَالِيبِ الدَّالَّةِ الْمُعْبَّرَةِ، وَهُوَ بِهَذَا مُلْتَزِمٌ بِمَا أَوْصَى بِهِ كِبَارُ
الشُّعْرَاءِ وَالنُّقَادِ تَلَامِيذَهُمْ وَحَثُّوهُمْ عَلَيْهِ، فَهِيَ هُوَ ذَا أَبُو تَمَامٍ يُوصِي تَلْمِيذَهُ الْبُحْتَرِيَّ بِذَلِكَ، فِي
قَوْلِهِ: "إِنْ أُرِدْتَ التَّشْبِيهَ فَاجْعَلِ الْفِظَ رَشِيقًا، وَالْمَعْنَى رَقِيقًا، وَأَكْثَرُ فِيهِ مِنْ بَيَانِ الصَّبَابَةِ،
وَتَوَجُّعِ الْكَأَبَةِ، وَقَلْقِ الْأَشْوَاقِ، وَلَوْعَةِ الْفِرَاقِ" (2)، وَفِي مِثْلِ هَذَا الْمَعْنَى قَالَ قُدَامَةُ بْنُ جَعْفَرَ:
"يَجِبُ أَنْ يَكُونَ النِّسِيبُ الَّذِي يَتِمُّ بِهِ الْغَرَضُ هُوَ مَا كَثُرَتْ فِيهِ الْأَدْلَةُ عَلَى التَّهَالُكِ فِي الصَّبَابَةِ،
وَتَظَاهَرَتْ فِيهِ الشُّوَاهِدُ عَلَى إِفْرَاطِ الْوَجْدِ وَاللُّوعَةِ، وَمَا كَانَ فِيهِ مِنَ التَّصَابِي وَالرَّفَقَةِ أَكْثَرَ مِمَّا
يَكُونُ مِنَ الْخَشْنِ وَالْجَلَادَةِ، وَمِنَ الْخُشُوعِ وَالذَّلَّةِ أَكْثَرَ مِمَّا يَكُونُ فِيهِ مِنَ الْإِبَاءِ وَالْعِزِّ، وَأَنْ يَكُونَ
جَمَاعَ الْأَمْرِ فِيهِ مَا ضَادَ التَّحَافُظَ وَالْعِزِيمَةَ، وَوَافِقَ الْإِنْحِلَالَ وَالرِّخَاوَةَ، فَإِذَا كَانَ النِّسِيبُ كَذَلِكَ
فَهُوَ الْمَصَابُ بِهِ الْغَرَضُ" (3).

وَأَكَّدَ ذَلِكَ أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ فِي قَوْلِهِ: "وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ التَّشْبِيهَ ... دَالًّا عَلَى شِدَّةِ
الصَّبَابَةِ، وَإِفْرَاطِ الْوَجْدِ، وَالتَّهَالُكِ فِي الصَّبُوبَةِ ... وَيَكُونُ بَرِيًّا مِنْ دَلَائِلِ الْخُشُونَةِ وَالْجَلَادَةِ،

(1) الْوَأْوَاءُ: دِيْوَانُهُ، ص 107.

(2) الْحُصْرِيُّ، أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَلِيٍّ الْقَيْرَوَانِيِّ: زَهْرُ الْآدَابِ وَثَمَرُ الْأَلْبَابِ، تَفْصِيلُ وَضْبِطُ وَشَرْحُ زَكِيِّ مَبَارَكٍ، تَح: مُحَمَّدٌ مَحْيِي الدِّينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، ط 4، بِيْرُوت: دَارُ الْجَيْلِ، 1972، 1/152.

(3) ابْنُ جَعْفَرَ، أَبُو الْفَرَجِ قُدَامَةُ: نَقْدُ الشُّعْرِ، تَح: مُحَمَّدٌ عَبْدِ الْمَنْعَمِ خَفَاجِي، بِيْرُوت: دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، (د.ت)، ص 134.

وإمارات الإباء والعزة ... ويُستجاد التشبيب أيضاً إذا تضمّن ذكر التشوق والتذكر لمعاهد الأحبة بهبوب الرياح، ولمع البروق، وما يجري مجراها من ذكر الديار والآثار ... وكذا ينبغي أن يكون التشبيب دالاً على الحنين والتحرّس وشدة الأسف⁽¹⁾

ثانياً: اللوم والعذل:

يُشكّل لومُ اللّائمينِ وعذلُ العادلينِ مظهرًا من مظاهرِ غزلِ الوأواءِ، حيثُ يُشيرُ في بعضِ غزليّاته إلى اللومِ والعذلِ الشديدينِ الذي ينعرضُ له في عشقه؛ وذلك نتيجةً لما أصابه من سقمٍ وهزالٍ وضعفٍ وبلاءٍ، لكنّه يقفُ موقفًا سلبيًا معادياً ممن يلومونه، ويصرّحُ بأنّه لم ولن يستمعَ لنصائحهم وإرشاداتهم، يقول: (2)

[الوافر]

بليتُ لأنني بك قد بليتُ فليستُ بمنته ممانهيتُ
الأمُ وقد أصمّ الحُبُّ سمعي ويرشدي العذولُ وقد عميتُ

ورسم الوأواءِ صورةً قاتمةً منفرةً لمن يلومه في حبه، إذ جعله رسولاً لإبليس، حيث يدعوهُ إلى ممارسةِ الأمورِ المحرّمة، وجعله كمن يمارسُ فعلاً شاذاً شنيعاً قبيحاً مخالفاً للدين، على اعتبارِ أنّ عشقه للغلمانِ شريفٌ نبيلٌ موافقٌ للفطرةِ الإنسانيةِ !!!، يقول: (3)

[الخفيف]

أكثرت لومي بغير تنفيسِ ما أنت إلا رسول إبليسِ
جفني من الدمعِ مؤسرٍ ومن السلِّ وة قلبني من المفايسِ
من لامني في الحبيب كان كمن يضربُ في مسجد بنافوسِ

(1) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: الصناعتين (الكتابة والشعر)، تح: مفيد قميحة، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1981، 145ص-146.

(2) الوأواء: ديوانه، ص62.

(3) المصدر السابق، ص127.

وَرَأَى الشَّاعِرُ يُدَافِعُ عَنْ حُبِّهِ، وَيَبْرُرُ عِشْقَهُ، لِلرَّدِّ عَلَى أَوْلِيَاءِ الْعَادِلِينَ وَإِسْكَاتِهِمْ، وَقَدْ اعْتَمَدَ فِي ذَلِكَ عَلَى مُبَرَّرٍ وَاحِدٍ، أَلَا وَهُوَ حُسْنُ مَحْبُوبَتِهِ وَجَمَالُهَا السَّاحِرُ الْفَتَّانُ، يَقُولُ: (1)

[المديد]

وَالهَوَى لَا خَفِيَ عَانِدَتِي فِي هَوَى مَنْ جَلَّ عَنْ صِفَتِي
مَنْ لَحَاتِي عَنْ هَوَاهُ فَفِي وَجْهِهِ الْفَتَّانِ مَعْدِرَتِي
وَيَقُولُ: (2)

[أخذ الكامل]

نَطَقَ الْجَمَالَ بِعُدْرِ عَاشِقِهَا لِلْعَادِلِينَ فَأُخْرِسَ الْعَدْلُ
وَلِيَقْنَعَ الْعُدَّالَ الَّذِينَ يُحَاوِلُونَ مُحَاوَلَاتٍ دَائِبَةً أَنْ يُوقِعُوا شَيْئًا مِنَ الْقَطِيعَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
مَعشُوقَتِهِ، لِيَقْنَعَهُمْ بِاسْتِحَالَةِ عُدُولِهِ عَنْهَا وَتَرْكِهَا، فَإِنَّهُ يُوضِّحُ لَهُمْ أَنَّ الْعَدْلَ وَاللَّوْمَ الَّذِي يَسْتَمِعُ
إِلَيْهِ لَا يَزِيدُهُ إِلَّا تَعَلُّقًا وَتَمَسُّكًا بِهَا، وَعِشْقًا لَهَا؛ لِذَا صَرَخَ لَهُمْ بِحُبِّهِ وَمِيلِهِ إِلَى الْإِسْتِمَاعِ إِلَى
عَدْلِهِمْ؛ كَيْ يَبْقَى ذِكْرُ مَحْبُوبَتِهِ جَارِيًا عَلَى مَسَامِعِهِ دَوْمًا، وَهَذَا أَقْصَى أَمَانِيهِ، يَقُولُ: (3)

[البيسط]

لَوْ كَانَ يَعْلَمُ عُدَّالِي بِمَا صَنَعُوا لِأَقْصَرُوا عَنْ مَلَامِي فِيكَ وَارْتَدَعُوا
زَادُوكَ عِنْدِي، إِذْ عَابُوكَ، مَنْزِلَةً كَأَنَّهُمْ رَفَعُوا مِنْكَ الَّذِي وَضَعُوا
فَمَنْ يَكُنْ فِيهِ عَنْ عُدَّالِهِ صَمٌّ فَأَيْنِي فِيكَ لِلْعُدَّالِ مُسْتَمِعٌ
حُبًّا لِذِكْرِكَ أَنْ يَجْرِي عَلَى أُذُنِي فَلْيُقْصِرُوا عَنْ مَلَامِي فِيكَ وَلْيَدَعُوا

(1) الوأواء: ديوانه، ص 64.

(2) المصدر السابق، ص 190.

(3) المصدر السابق، ص 138.

ثالثاً: الوقوف على الأطلال:

يُشكّل الوقوف على أطلال المحبوبة ووصفها أحد العناصر المهمة في غزل الوأواء، فهذا هو ذا يصف ما أصابها من بلاء ودمار وهلاك وسكون وانعدام للحركة نتيجة للارتحال عنها، وذلك في قوله: (1)

[الكامل]

لَمَنْ الرُّسُومُ بٍ ((رَامَتَيْنِ)) (2) بَلِينَا
كُسَيْتَ مَعَالِمُهَا الْهُوى وَعَرِينَا
دَمَنْ فُطِمَنْ مِنَ الصَّبِي وَتَبَدَّتْ
حَرَكَاتُهُنَّ مِنَ الْغَرَامِ سُكُونَا
وَيَصِفُهَا بِأَنَّهَا صَارَتْ مَكَانًا خَالِيًا مُفْقِرًا تَلْعَبُ فِيهِ رِيَا حُ الشَّمَالِ وَرِيَا حُ الْجَنُوبِ: (3)

[الطويل]

أَمَعْنَى الْهُوى غَالَتْكَ أَيْدِي النَّوَابِ
فَأَصْبَحْتَ مَعْنَى لِلصَّبَا وَالْجَنَائِبِ
وَتَوَقَّفَ الْوَأوَاءُ فِي شَعْرِهِ عِنْدَ اثْنَيْنِ مِنْ مُكَوَّنَاتِ الْأَطْلَالِ، وَهُمَا الْأَثَافِي وَالنُّوَي،
وَصَوَّرَهُمَا مُسْتَعْمَلًا تَشْبِيهِيْنِ مُسْتَمَدَّيْنِ مِنْ عِلْمِ الْكِتَابَةِ وَالْخَطِّ، حَيْثُ شَبَّهَ الْأَثَافِي بِالنَّقْطِ الثَّلَاثِ
التي تُوَضَعُ فَوْقَ حَرْفِ الثَّاءِ، وَجَعَلَ النُّوَيَ مِثْلَ حَرْفِ النُّونِ فِي اسْتِدَارَتِهِ وَالتَّفَافِيهِ، يَقُولُ: (4)

[الطويل]

أَثَافٍ كَنَقْطِ الثَّاءِ فِي طِرْسِ دِمْنَةٍ
وَنُؤْيِ كَدَوْرِ النُّونِ مِنْ خَطِّ كَاتِبِ
أَمَّا سَبَبُ إِقْبَالِهِ عَلَى الْأَطْلَالِ وَالْوُقُوفِ عَلَيْهَا، فَهُوَ الشُّوقُ وَالْحَنِينُ الَّذِي يَمَلَأُ قَلْبَهُ
لِلْمَحْبُوبَةِ، وَيَتَّضِحُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ مُخَاطَبًا أَحَدَ الْأَطْلَالِ: (5)

(1) الوأواء: ديوانه، ص214.

(2) رامتين: مفردا راماة، وهي منزل بينه وبين الرمادة ليلة في طريق البصرة إلى مكة، ومنه إلى إمرة، وهي آخر بلاد بني تميم، وبين راماة والبصرة اثنتا عشرة مرحلة. الحموي، ياقوت: معجم البلدان، 20/3.

(3) الوأواء: ديوانه، ص16.

(4) المصدر السابق، ص17.

(5) المصدر السابق، ص171.

[الطويل]

أَرَى الشَّوْقَ يُجِينِي إِلَيْكَ كَمَا التَّجَا إِلَى الرَّيِّ مِنْ مَاءِ الْحَيَاةِ رُبَاكَ
وَيَشْكُو الشَّاعِرُ لِلْأَطْلَالِ هُمُومَهُ وَأَحْزَانَهُ وَوَجْدَهُ فِي قَوْلِهِ: (1)

[الطويل]

أَرْبَعِ الْبُلْبُلَى إِنِّي إِلَيْكَ لَشَاكَ وَإِنِّي عَلَى وَجْدِي عَلَيْكَ لَبَّاكَ
وَمَا ذَاكَ مِنْ بُقْيَا عَلَيْكَ وَإِنَّمَا لِعِشْقِ بُكَايِي فِيكَ حُبٌّ هَلَكَ
وَيَسْتَوْقِفُ أَصْحَابُهُ عَلَى تِلْكَ الْأَطْلَالِ؛ كَيْ يَذْرِفُوا مَعَهُ الدُّمُوعَ الْغِزَارَ عَلَى مَا أَصَابَهَا
مِنْ تَغْيِيرٍ وَدَمَارٍ وَهَلَكَ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: (2)

[الطويل]

قَفُّوا مَا عَلَيْكُمْ مِنْ وَقُوفِ الرِّكَائِبِ لِنَبْذِ مَذْخُورِ الدُّمُوعِ السَّوَابِ
وَهَا هُوَ ذَا يَدْعُو لِنَتْلِكَ الْأَطْلَالِ بِالسُّقْيَا وَالْخَيْرِ؛ كَيْ تَذَكَّرَهُ بِالْمَحْبُوبَةِ دَوْمًا: (3)

[الطويل]

سَقَى اللَّهُ آجَالَ الْهَوَى فِيكَ لِلْبَقَا مُدَامَ الْأَمَانِي مِنْ تَغُورِ الْحَبَائِبِ
وَيَدْعُو لَهَا بِدَوَامِ الْإِشْرَاقِ وَالْبَهَاءِ وَالْجَمَالِ، وَبِأَنَّ تَبَعَتْ فِيهَا الْحَيَاةُ مِنْ جَدِيدٍ: (4)

[الطويل]

أَيَا دِمْنَةَ اللَّذَاتِ لَا زَالَ دَائِمًا عَلَيْكَ مِنَ الْإِشْرَاقِ نُورٌ بِهَِاكِ

(1) الوأواء: ديوانه، ص171.

(2) المصدر السابق، ص24.

(3) المصدر السابق، ص17.

(4) المصدر السابق، ص171.

ويلاحظ من استعراض وقوف الشاعر الوأء على الأطلال أنه ذكر بعض عناصر الحياة البدوية (النوي والأثافي)، وجاء على ذكر بعض الأماكن من شبه الجزيرة العربية (رامتين ومنعرج اللوى)، ويبدو أن هذا ليس إلا تقليداً كان يُقلد به الشعراء السابقين؛ حتى لا يخرج عن السمات التي التزموه، حيث أشار ابن رشيقي القيرواني إلى أن بعض الشعراء كانوا يذكرون في أشعارهم أسماء الأماكن التي ذكرها الشعراء القدامى اقتداءً بهم واتباعاً لما ألفته طباع الناس (1).

وفي خاتمة استعراض الغزل المعنوي في شعر الوأء، تجدر الإشارة إلى أن عفته تتوج من خلال وصفه لموقف وداع للمحبوبة الراحلة، حيث أشار إلى أنه ودعها بالمناجاة من بعيد بلغة العيون، من خلال استراق النظرات السريعة إليها، وبالإشارة لها بيده من بعيد، وقد عبّر عن هذا المعنى في قوله: (2)

[البسيط]

ودعتها ولهيب الشوق في كبد
وداع صبين لم يمكن وداعهما
والبين يبعد بين الروح والجسد
إلا بالأحاط عين أو بنان يد
ثانياً: الغزل الحسي:

لم يكن غزل الوأء كله معنوياً عفيفاً يهتم بالبت والشكوى، وإنما منه ما كان حسياً مادياً، يدور حول جسد المرأة ويتخذ محوراً له، وإذا ما أمعن الباحث النظر في هذا النوع الأخير فإنه يمكنه أن يقسمه إلى قسمين اثنين، هما: غزل حسي فاحش، وحسي غير فاحش، ويتمثل الفرق بينهما في أن الغزل الحسي الفاحش يتحدث فيه الشاعر عما وقع بينه وبين المحبوبة من صلة حسية مادية، ويصف مغامراته الجنسية معها بكل جرأة وصراحة، ويستشف منه نهمه إلى جسد المرأة وشهوته له، ورغبته في مطارحتها الغرام على الفراش، فضلاً عن أنه لا يخلو من بعض الألفاظ الفاضحة والتعابير المكشوفة التي تخدش الحياء العام. أما الغزل

(1) ينظر: القيرواني، ابن رشيقي: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، 225/1.

(2) الوأء: ديوانه، ص 91.

الحسِّيُّ غَيْرُ الْفَاحِشِ، فَإِنَّهُ يَصِفُ جَسَدَ الْمَحْبُوبَةِ وَصِفًا دَقِيقًا، وَيَتَحَدَّثُ عَنْ مَفَاتِنِهَا الْأَنْثَوِيَّةِ، وَيُشَبِّهُهَا بِأَشْيَاءٍ مَادِّيَّةٍ حَسِّيَّةٍ، لَكِنَّ دُونَ الْوُصُولِ إِلَى حَدِّ الْإِبْتِدَالِ وَالْإِسْفَافِ الْمَقْيَتَيْنِ، وَالتَّهْتُكِ الْفَاضِحِ، وَلَيْسَ هَذَا بِغَرِيبٍ عَنِ الْوَأْوَاءِ الدَّمَشْقِيِّ، فَقَدْ عَاشَ حَيَاةً لَاهِيَةً مَاجِنَةً عَابِثَةً بَعِيدَةً عَنِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْعِفَّةِ، قَضَاهَا بَيْنَ الْجَوَارِي الْحَسَّانِ، وَالرِّيَاضِ وَالْأَزْهَارِ وَالْخُمُورِ، وَفِي الصَّفَحَاتِ الْآتِيَةِ تَفْصِيلٌ لِكُلِّ النَّوعَيْنِ وَبَيَانٌ لَهُمَا.

أ: الْغَزْلُ الْحَسِّيُّ الْفَاحِشُ:

يَشْتَمِلُ غَزْلُ الْوَأْوَاءِ عَلَى الْعَدِيدِ مِنَ الْمَقْطُوعَاتِ وَالْقَصَائِدِ الشَّعْرِيَّةِ الْفَاحِشَةِ الَّتِي وَصَفَ فِيهَا مُغَامِرَاتٍ حَسِّيَّةً وَسَرَدَ قِصَصًا جِنْسِيَّةً فَاضِحَةً حَصَلَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَحْبُوبَةِ، سَرْدًا مُفْصَلًا دَقِيقًا يَكْشِفُ عَنِ قَدْرِ كَبِيرٍ مِنَ التَّهْتُكِ وَالْإِبْتِدَالِ الَّذِي كَانَ يَعِيشُ فِيهِ وَيَقْضِي أَيَّامَهُ وَلِيَالِيَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ، وَصَفَهُ لِمُغَامِرَةِ حَسِّيَّةٍ صَاغَهَا عَلَى هَيْئَةِ قِصَّةٍ مَلِيئَةٍ بِالْإِشَارَاتِ الْجِنْسِيَّةِ الْمُثِيرَةِ، وَقَدْ صَوَّرَ فِيهَا لِقَاءَهُ بِإِحْدَى الْفَنَائَاتِ الْحَسَّانِ الْجَمِيلَاتِ اللَّاتِي فَسَدَتْ أَخْلَاقُهُنَّ، وَذَلِكَ بِاعْتِرَافِهِ فِي قَوْلِهِ: (مُرَّةَ الْأَخْلَاقِ)، فَوَصَفَ مَشِيَّتَهَا الْمُتَدَلِّلَةَ الْمُتَعَنَّجَةَ وَهِيَ مُقْبَلَةٌ عَلَيْهِ، وَرَكَزَ عَلَى تَصْوِيرِ عَجْزِهَا الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَسَبَّبَتْ -لِنَقْلِهَا- فِي دَفْعِ صَدْرِهَا إِلَى الْأَمَامِ، ثُمَّ وَصَفَ مَا جَرَى بَيْنَهُمَا مِنْ اتِّصَالِ حَسِّيٍّ مَادِّيٍّ كَالْعَضِّ وَالْقِرْصِ وَمَصِّ اللِّسَانِ، لَكِنَّهَا وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ تَهْتُكِهَا وَأَنْحِلَالِ أَخْلَاقِهَا حَاوَلَتْ مَنْعَهُ مِنَ التَّمَكُّنِ مِنْهَا، إِذْ مَنْعَتْهُ مِنْ خَلْعِ السَّرْوَالِ الَّذِي تَرْتَدِيهِ، غَيْرَ أَنَّهُ هَدَّدهَا بِأَنَّهَا إِذَا مَا تَمَسَّكَتْ بِمَوْقِفِهَا الرَّافِضِ فَإِنَّهُ سَيَجْعَلُهَا تَخْلَعُهُ غَضَبًا عَنْهَا، وَهَذَا مَا حَدَّثَ بِالْفِعْلِ، مِمَّا جَعَلَهُ يَتِمَكَّنُ مِنْهَا، يَقُولُ: (1)

[الْخَفِيفُ]

هَامَ قَلْبِي بِهَا هِيَامًا وَهَمًّا
بَحْتُ مِنْهَا فِي الْحُبِّ أَعْمَى أَصَمًّا
حُسْنَ بَدْرِ التَّمَامِ سَاعَةً تَمًّا

أَنَا أَفْدي مَكْتُومَةً لَا تُسَمِّي
حُلُوهُ الْخُلُقِ مُرَّةُ الْخُلُقِ قَدْ أَصْ
أَفْبَلْتُ فِي تَمَامِهَا فَنَسِينَا

(1) الواوَاء: ديوانه، ص 208-209.

قَدِمَتْ صَدْرَهَا مِنَ الْمَشْيِ قُدَمَا
 صُ، وَمَصُّ اللِّسَانِ مِنْهَا فَلَمَّا
 تَهَ عَلَى الْفَدَمِ مَا ظَنَنْتُكَ قَدَمَا (2)
 قَطَعُهَا هَيْنَ كَمَا أَشْرَبُ الْمَا
 وَالْيَيْكَ الْخِيَارُ إِمَّا وَإِمَّا
 أَنَا لَا أَسْتَطِيعُ فِي الْحُبِّ حِلْمًا
 ثُمَّ يَكْفِي مِنَ الْغَزَالِ الْمُدَمَى
 لَا بِجِسْمِي مِنْ أَيْنَ أَمَلِكُ جِسْمًا؟!

تَمَشَّيْتُ وَتَقَلُّ رَأْفَتَيْهَا (1)
 ثُمَّ طَالَ الْعِتَابُ، وَالْعَضُّ وَالْقَرُّ
 مَنَعْتَنِي مِنْ تِكَّةٍ ثُمَّ قَالَتْ:
 قُلْتُ: جُودِي بِحَلِّهَا لِي وَإِلَّا
 فَهِيَ وَقْفٌ مَا بَيْنَ حَلٍّ وَقَطْعٍ
 قَالَتْ: احْلُمْ فَقُلْتُ: لِلْحِلْمِ وَقْتُ
 قُلْتُ: لَا بُدَّ أَنْ يُدَمَّى غَزَالٌ
 فَتَأْتِيهَا بِرُوحِي وَقَلْبِي

ويبرز في القصيدة أعلاه اعتماد الشاعر في صياغتها على الأسلوب القصصي، إذ
 تشتمل على شخصيتين، هما الشاعر ومعشوقته، ويبرز فيها عنصر الحوار الذي يضطلع بدور
 مهم في بناء القصة وتطور أحداثها، منذ أن عرض الشاعر على معشوقته أن تسلمه نفسها، إلى
 أن تمكن منها غصبا عنها.

ويكشف في إحدى غزلياته المأجنة عن مغامرة حسية خاضها مع من يعشق، فيصرخ
 بأنه عانقه، وتمكن منه وقضى حاجته، وحصل على كل ما يريد ويستتهي، لكن من غير الدخول
 في تفاصيل هذا اللقاء وحيثياته، يقول: (3)

[المنسرح]

وَنَلِيتُ سُؤْلِي بِحُسْنِ مَا صَنَعَا
 كَأَنَّهُ نِصْفُ دِرْهَمٍ قُطِعَا

عَانَقْتُ مَوْلَايَ عِنْدَ رُؤْيَيْهِ
 مِنْ قَمَرٍ صَارَ فِي تَنَصُّفِهِ

(1) الرأفتين: مثنى رانفة، وهي أسفل الألية، وقيل: هي منتهى أطراف الأليتين مما يلي الفخذين، وقيل: هي ناحية الألية.
 ابن منظور: لسان العرب، مادة (رنف).

(2) التكة: رباط السروال، وجمعها تكك. ابن منظور: لسان العرب، مادة (تكك). القدم من الناس: العيب عن الحجة والكلام
 مع تقل ورخاوة وقلة فهم، وهو أيضاً الغليظ السمين الأحمق الجافي. السابق، مادة (قدم).

(3) الوأواء: ديوانه، ص 139.

وَيَقْرُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ بِالْأَفْعَالِ الْمُتَهْتِكَةِ الَّتِي قَامَ بِهَا مَعَ الْمَحْبُوبَةِ، حَيْثُ يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ قَبْلَ فَمَهَا، فَشَرِبَ مِنْهُ رِيقًا كَالْخَمْرِ فِعْلًا وَمَذَاقًا، وَقَبْلَ مِنْهَا خَدًّا كَالزَّهْرِ لَوْنًا وَنُعُومَةً وَرِقَّةً مَلَمَسًا، ثُمَّ يَتَحَدَّثُ عَنِ مُشَاهَدَتِهِ وَمُعَايِنَتِهِ لِبَعْضِ مَوَاضِعِ الْفِتْنَةِ وَالْإِغْرَاءِ مِنْ جَسَدِهَا الْأَبْيَضِ النَّاصِعِ الَّذِي يُبِيرُ اللَّيْلَ وَيَنْفِي ظِلَامَهُ، يَقُولُ: (1)

[المتقارب]

تَرَشَّفْتُ مِنْ شَفْتَيْهِ الْعُقَارَا وَقَبَّلْتُ مِنْ خَدِّهِ الْجُنَّارَا
وَشَاهَدْتُ مِنْهُ كَثِيبًا مَهِيلًا وَغُصْنَا رَطِيبًا وَبَدْرًا أَنْارَا
وَأَبْصَرْتُ مِنْ وَجْهِهِ فِي الظَّلَامِ بِكُلِّ مَكَانٍ بَلِيلٍ نَهَارَا
وَتَحَدَّثَ الْوَأْوَاءُ عَنِ زِيَارَةِ الْمَحْبُوبَةِ لَهُ بَعْدَ فِتْرَةٍ مِنَ الْغِيَابِ وَالْجَفَاءِ، وَاعْتَرَفَ بِأَنَّهُ عَانَقَهَا وَارْتَكَبَ مَعَهَا الْكَثِيرَ مِنَ الْإِثَامِ وَالْأَوْزَارِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: (2)

[السريع]

زَارَ الْمُنَى وَالسُّؤْلُ إِذْ زَارْتَنِي وَكَانَ قَدِمًا غَيْرَ زَوَارِ
يَا زُورَةَ سَاعِدَ فِيهَا الْهَوَى بِحَمَلِ آثَامٍ وَأَوْزَارِ
عَانَقْتُ مَنْ أَهْوَى وَيَا طَالَمَا بَتُّ مِنَ الشَّقِيقِ عَلَى نَارِ
وَفَوْقَنَا الْبَدْرُ عَلَى نِصْفِهِ كَأَنَّهُ شِقَّةُ دِينَارِ
وَأَغْلَبُ الظَّنُّ أَنَّ هَذِهِ الْمُعَامَرَةَ قَدْ تَمَّتْ فِي الطَّبِيعَةِ فِي إِحْدَى الرِّيَاضِ، وَفِي مُنْتَصَفِ الشَّهْرِ، وَيُلَاحِظُ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ تَشْبِيهِهِ لِلْبَدْرِ - خِلَالَ عِنَاقِهِ لِلْمَحْبُوبَةِ - وَهُوَ فَوْقَهُمَا فِي السَّمَاءِ بِنِصْفِ دِينَارٍ يَلْمَعُ وَيَتَلَأَلُ.

وَفِي إِحْدَى غَزَلِيَّاتِهِ الْفَاحِشَةِ يَتَحَدَّثُ عَنِ لَيْلَةٍ صَاحِبَةٍ قَضَاهَا فِي جَوْ الطَّبِيعَةِ مَعَ الْمَحْبُوبَةِ، وَهُوَ يَلْتُمُّهَا وَيَقْبَلُهَا، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: (3)

(1) الوأواء: ديوانه، ص 269.

(2) المصدر السابق، ص 116-117.

(3) المصدر السابق، ص 80.

[الخفيف]

رُبَّ لَيْلٍ مَا زِلْتُ أَلْتُمُ فِيهِ قَمَرًا لَا بَسًا غَلَاةً وَرَدٍ
وَالثَّرِيًّا كَأَنَّهَا كَفُّ خَوْدٍ دَاخَلْتَهَا لِلْبَيْنِ رِعْدَةً وَجَدٍ
لَمْ تُطِقْ دَفْعَهَا عَنِ الْوَجْدِ حَتَّى قَطَعْتَهَا لِلْبَيْنِ مِنْ أَصْلِ زُنْدٍ

وَفِي مَقْطُوعَةٍ أُخْرَى تَفُوحُ مِنْهَا رَائِحَةُ التَّهْتِكِ وَالْإِبْتِدَالِ، يَكْشِفُ الْوَأْوَاءُ عَنِ تِلْكَ الْعِلَاقَةِ الْحَمِيمِيَّةِ بَيْنَ الْعِشَاقِ، حَيْثُ يَصِفُ مَوْقِفَ لِقَائِهِ وَوَصَالَهُ لِلْمَحْبُوبَةِ، وَعِنَاقَهُ لَهَا بَعْدَ أَنْ دَفَعَهَا إِلَيْهِ الشُّوقُ وَالْحَيْنُ مَادِدَةً يَدَهَا النَّاعِمَةَ لَهُ، وَقَدْ ضَمَّنَ الشَّاعِرُ هَذِهِ الْمَقْطُوعَةَ وَصَفًا حَسِيًّا مُثِيرًا لِلْمَحْبُوبَةِ، فَشَعْرُهَا الْأَسْوَدُ الطَّوِيلُ مُنْسَدِلٌ عَلَى خَدَيْهَا وَمَوْلَفٌ عَلَى هَيْئَةِ حَرْفِ الْوَاوِ فِي انْتِنَائِهِ وَاعْتِكَافِهِ، وَخَصَرُهَا دَقِيقٌ رَقِيقٌ رَشِيقٌ، يَقُولُ: (1)

[مجزوء الخفيف]

كَتَبْتَ فِي نَهَارٍ خَدًّا أَنْيَقِ وَآوِ لَيْلٍ مَلِيحَةً التَّفْرِيقِ
وَتَبَدَّتْ بِمُقْلَةٍ تَرشُقُ الْقُلُ بَ بِالْحَاطِظِهَا وَقَدْ رَشِيقِ
ثُمَّ مَدَّتْ إِلَيَّ كَفًّا مِنَ اللُّو لُؤٍ فِيهَا أَنَامِلٌ مِنْ عَقِيقِ
فَاعْتَقْنَا عَلَى الطَّرِيقِ كَأَنَّا مَا عَلَيْنَا نِنَاطِرٍ مِنْ طَرِيقِ

وَوَصَفَ -كَذَلِكَ- كَيْفَ قَامَتْ مَحْبُوبَتُهُ خِلَالَ إِحْدَى التَّجَارِبِ الْجَنَسِيَّةِ بِنَغْطِيَّتِهِ وَتَغْطِيَّتِ نَفْسِهَا بِشَعْرِهَا الْأَسْوَدِ الْحَالِكِ الطَّوِيلِ؛ خَوْفًا مِنَ الرَّقَبَاءِ وَالْوَشَاةِ، ثُمَّ صَوَّرَ نَفْسَهُ مَعَ الْمَحْبُوبَةِ لِشِدَّةِ بَيَاضِ جَسَدَيْهِمَا بِالصُّبْحِ الْمُنْبَلِّجِ خِلَالَ الظَّلَامِ الْمُطْبِقِ وَاللَّيْلِ الْبَهِيمِ الْحَالِكِ السَّوَادِ، وَلِهَذَا التَّشْبِيهِ دِلَالَتُهُ الْجَنَسِيَّةَ الْخَالِصَةَ، إِذْ يُشِيرُ إِلَى تَجَرُّدِهِمَا مِنَ الْمَلَابِسِ، وَقَدْ عَبَّرَ عَنِ ذَلِكَ كُلِّهِ فِي قَوْلِهِ: (2)

[الكامل]

خَفْتُ الرَّقِيبَ فَجَالَّتَنِي شَعْرُهَا وَتَجَلَّلَتْ مِنْ خَوْفٍ وَأَشٍ يَرْمُقُ

(1) الوأواء: ديوانه، ص 169.

(2) المصدر السابق، ص 166.

فَكأننا صُبْحانِ فِي لَيْلِ حَوَى فَجَرَيْنِ بَيْنَهُمَا ظَلَامَ مُطْبِقُ
نَخْفَى إِذَا خَفْنَا وَتَبَدُّو تَارَةً فِيهِ وَأَحْيَاناً يَغِيبُ وَيُشْرِقُ
وَعْيُونُنَا قَدْ خَالَفتْ رُقْبَاءُنَا وَقُلُوبُنَا لِلْبَيْنِ مِنْهُمْ تَخْفُقُ

وَيَصِفُ الوأواءُ لَحْظَةً لِقائِهِ بِالْمَحْبُوبِ، وَعِنائِهِمَا وَتَطْوِيرِ قِيَمَتَهُمَا بَعْضُهُمَا بَعْضاً خِلالَ فَتْرَةِ

الصَّبَّاحِ فِي قَوْلِهِ: (1)

[المنسرح]

عَانَقْتُ بَدْرًا فِيهِ وَعَانَقْتِي فَصَارَ حَظِّي مِنْ ذَيْنِ حَظَّيْنِ
وَالْبَدْرُ قَدْ وَشَّحتْ يَدَاهُ مِنْ أَلِ وَجَدَ لِأَعْنَاقِنَا وَشَاحِينِ
كَأَنَّمَا كَانَ عَاشِقًا ظَفِيرَتِ يَدَاهُ مِنْ هَجْرِنَا بَوْصَلَيْنِ
كَأَنَّنَا وَالظَّلَامُ يَجْمَعُنَا صُبْحانِ لَاحًا مِنْ تَحْتِ لَيْلَيْنِ

وَهَا هُوَ ذَا يُصَوِّرُ بِكُلِّ جُرْأَةٍ وَصَرَاحَةٍ زِيَارَةَ الْمَحْبُوبَةِ لَهُ صَبَّاحًا، حَيْثُ دَعَتُهُ إِلَى نَفْسِهَا،

وَيُصَرِّحُ بِأَنَّهُ أَجَابَ دَعْوَتَهَا دُونَ تَرَدُّدٍ أَوْ تَمَهُّلٍ، وَقَامَ بِوِصَالِهَا حَسِيًّا، يَقُولُ: (2)

[مجزوء الرمل]

طَالَعَتْنِي كَطُوعِ أَلِ بَدْرٍ فِي وَجْهِ الصَّبَّاحِ
كَصَبَّاحِ تَخْتِ لَيْلِ وَدَعَتْنِي لِأَصْنِيطِاحِ
فَأَجَبْنَاهَا بِبِلَامِنِ عِ إِلَى تَرْكِ الصَّلَاحِ
وَوَصَلْنَاهَا وَمَنْ يَصِصْ بِرُ عَنِ وَصَلِ الْمِصْلَاحِ!

وَالوَأوَاءُ لَا يَأْبَهُ بِأَنْ يَدْعُوَ الْمَحْبُوبَةَ الَّتِي جَمَعَتْ كُلَّ صِفَاتِ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ إِلَى أَنْ

تُسَاعِدَهُ عَلَى نَفْيِ الشَّوْقِ وَالسَّهْرِ وَالسَّقَمِ وَالضَّنَى الَّذِي يُعَانِيهِ، وَذَلِكَ بِأَنْ تَجُودَ عَلَيْهِ بِقُبْلَةٍ مِنْ

فَمِهَا وَبِرِشْفَةٍ مِنْ رِيْقِهَا: (3)

(1) الوأواء: ديوانه، ص 225.

(2) المصدر السابق، ص 70-71.

(3) المصدر السابق، ص 268.

[الكامل]

يا مَنْ حَوَتْ كُلَّ الْمَحَاسِنِ فِي الْوَرَى
رِفْقاً بِمَنْ أَسَرَتْ عِيُونَكَ قَلْبَهُ
وَتَعَطَّفِي جُوداً عَلَيَّ بِقُبَالَةِ
مَاتَتْ - أَطَالَ اللَّهُ عُمُرَكَ - سَلَوْتِي
وَأَلْحَسُنُ فِيهَا عَاكِفٌ فِي بَادِ
وَدَعِيَ السُّيُوفَ تَقَرُّ فِي الْأَعْمَادِ
فَبِمِيمٍ مَبْسَمِكِ شِفَاءُ الصَّادِي
وَلَقَدْ فَنِي صَبْرِي وَعَاشَ سُهَادِي
وَتَجَدَّرُ الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّهُ كَثِيرًا مَا كَانَ يَحِنُّ إِلَى لِيَالِي اللَّقَاءِ وَالْوِصَالِ وَالْعِنَاقِ، وَيُتَوَقَّ
إِلَيْهَا، فَهِيَ هُوَ ذَا يَدْعُو لَهَا بِالسُّقْيَا وَالْخَيْرِ: (1)

[الطويل]

سَقَى اللَّهُ لَيْلًا طَالَ إِذْ زَارَ طَيْفُهُ
بِطِيبِ نَسِيمٍ مِنْهُ يُسْتَجَلَبُ الْكَرَى
تَمَلَّكْنِي لَمَّا تَمَلَّكَ مُهْجَتِي
وَلَا يَخْلُو هَذَا الضَّرْبُ مِنْ غَزَلِ الْوَأْوَاءِ مِنَ الْعِتَابِ، حَيْثُ يَبْدُو أَنَّهُ قُوبِلَ بِالصُّدُودِ
وَالْهَجْرَانِ مِنَ الْمَحْبُوبَةِ بَعْدَ أَنْ حَصَلَ مِنْهَا عَلَى الْوُدِّ وَالْوِصَالِ، فَأَخَذَ يُذَكِّرُهَا بِمَا جَرَى بَيْنَهُمَا
مِنْ غَرَامٍ وَهِيَامٍ وَاتِّصَالِ جَسَدِيٍّ وَمُغَامَرَةِ حِسِّيَّةٍ فِي لَيْلَةٍ غَابَ عَنْهَا فِيهَا الرُّقْبَاءُ؛ فَلَعَلَّهُ بِذَلِكَ
يَسْتَفْرِهُمَا وَيَسْتَنْثِرُ حَفِيزَتَهُمَا، وَيَدْفَعُهَا لِلْعُودَةِ إِلَى وَصَالِهِ، يَقُولُ: (2)

[المجتث]

لَمَّا تَحَقَّقَتْ وَدِّي
يَا أَصْفَقَ النَّاسِ وَجْهًا
لَا تَنْسَ لَيْلَةَ كُنَّا
وَمَا عَلَيْنَا رَقِيبًا
إِلَّا نُجُومٌ أَنْارَتْ
أَعْقَبْتُ وَصَلًا بِصَدِّ
يَا نَاقِضًا كُلَّ عَهْدِ
فِي الضَّمِّ رُوحًا لِفِرْدِ
يُبدِلُ قُرْبًا بِبُعْدِ
كَالِدُرِّ فَنِي لَازُورِدِ

(1) الوأواء: ديوانه، ص 164-165.

(2) المصدر السابق، ص 93.

هَذِهِ هِيَ الْحِسِيَّةُ الْمَادِّيَّةُ الْفَاحِشَةُ الْفَاضِحَةُ الَّتِي تَغْنَى بِهَا الْوَأْوَاءُ فِي شِعْرِهِ الْغَزَلِيِّ، فَهِيَ تَغْصُ بِالْإِشَارَاتِ الْجِنْسِيَّةِ الْمُتَهَنِّكَةِ الْمُبْتَدَلَةِ وَالتَّعَابِيرِ الْفَاضِحَةِ الَّتِي تَتَحَدَّرُ مَعَهَا الْأَخْلَاقُ، وَتُهْدَرُ الْعِفَّةُ، وَيَخْدَشُ الْحَيَاءُ الْعَامَّ، مِنْ مِثْلِ: الْعَضِّ، وَالْقَرَصِ، وَمَصِّ اللِّسَانِ، وَخَلَعْتُ عَذَارِي، وَتَهَتَّكَ سِتْرِي، وَاللُّثْمَ، وَالضَّمَّ، وَالنَّقْبِيلَ، وَعَانَقْتُ، وَعَانَقَنِي، وَتَرَشَّفْتُ مِنْ شَفَتَيْهِ ...

ب: الْغَزَلُ الْحِسِّيُّ غَيْرُ الْفَاحِشِ

يَضُمُّ دِيْوَانَ الْوَأْوَاءِ الْكَثِيرَ مِنَ الْأَشْعَارِ الْغَزَلِيَّةِ الْحِسِيَّةِ الَّتِي تَدُورُ حَوْلَ جَسَدِ الْمَرْأَةِ، وَتَشْرَحُهُ وَتَصِفُهُ وَصَفًا مَادِّيًّا، وَتُصَوِّرُ مَفَاتِنَهُ، وَتَتَغَنَّي بِمُغْرِيَاتِهِ لَكِنْ مِنْ غَيْرِ الْوُصُولِ فِي مُعْظَمِ الْأَحْيَانِ - إِلَى مَرَحَلَةِ التَّهْنُوكِ، وَالْخَلَاعَةِ، وَالْإِسْفَافِ، وَالْإِبْتِدَالِ، وَخَلَعِ الْعَذَارِ الَّذِي يَخْدَشُ الْحَيَاءَ وَلَا يُنَاسِبُ الذُّوقَ الْعَامَّ.

وَإِذَا مَا تَتَبَعْنَا تِلْكَ الْأَشْعَارَ، نَجِدُ أَنَّ الشَّاعِرَ الْوَأْوَاءَ قَدْ رَسَمَ فِيهَا صُورَةَ جَسَدِيَّةٍ مِثَالِيَّةً مُتْكَامِلَةً لِلْمَرْأَةِ الْمَحْبُوبَةِ، وَلِمَوَاضِعِ الْإِغْرَاءِ وَالْفِتْنَةِ فِيهَا، وَقَدْ جَمَعَ كَثِيرًا مِنْهَا فِي قَوْلِهِ: (1)

[الخفيف]

وَعِيُونٌَ فَوَاتِرٌ وَقُدُودٌ	فَتَنَّتْنَا سَوَالِفٌ وَخُدُودٌ
وَشُعُورٌ مِثْلُ التَّقَاطُعِ سُودٌ	وَوُجُوهٌ مِثْلُ التَّوَاصُلِ بِيضٌ
فَخَضَعْنَا لَهَا وَنَحْنُ أَسُودٌ	مَلَكَتْنَا بِضِغْفِهِنَّ ظِبَاءٌ

وَيُصْرِّحُ الْوَأْوَاءُ بِأَنَّ الْمَحْبُوبَةَ أَكْثَرُ حُسْنًا وَجَمَالًا مِنَ الشَّمْسِ ذَاتِهَا، فَهِيَ إِذَا مَا رَأَتْهَا اخْتَفَتْ خَجَلًا وَحَيَاءً، يَقُولُ: (2)

[البسيط]

إِنْسِيَّةٌ لَوْ بَدَتْ لِلشَّمْسِ مَا طَلَعَتْ مِنْ بَعْدِ رُؤْيَيْهَا يَوْمًا عَلَى أَحَدٍ

(1) الواوَاء: ديوانه، ص90.

(2) المصدر السابق، ص266.

وَيَكْرُرُ الْمَعْنَى السَّابِقَ فِي الْقَالِبِ ذَاتِهِ مَعَ تَغْيِيرِ بَعْضِ الْأَلْفَاظِ فِي قَوْلِهِ: (1)

[البسيط]

إِنْسِيَّةٌ لَوْ رَأَتْهَا الشَّمْسُ مَا طَلَعَتْ مِنْ بَعْدِ رُؤْيَيْهَا يَوْمًا عَلَى أَحَدٍ
وَيَذْكَرُ أَنَّ مَحْبُوبَتَهُ أَجْمَلُ مِنَ الْبَدْرِ، فَالْبَدْرُ ذَاتُهُ إِذَا مَا رَأَاهَا فَإِنَّهُ يُصَابُ بِالْكُسُوفِ
وَالْخَجَلِ، وَيَخْتَفِي احْتِرَامًا وَإِجْلَالًا لَهَا، وَاعْتِرَافًا بِأَنَّهَا تَفُوقُهُ حُسْنًا وَمَلَاحَةً وَإِشْرَاقًا، يَقُولُ: (2)

[مُخْلَعُ الْبَسِيطِ]

لَمْ يَبْدُ لِلْبَدْرِ قَطُّ إِلَّا أَخْجَلَهُ فَاكْتَسَى كُسُوفًا
وَإِذَا قَالَ أَحَدُهُمْ مُسْتَعْمِلًا التَّشْبِيهِ الْمَقْلُوبَ لِلْمُبَالَغَةِ فِي جَمَالِ الْمَحْبُوبَةِ - إِنَّ الْبَدْرَ
يُشْبِهُهَا، فَإِنَّ الْبَدْرَ يَعْتَرِضُ عَلَى هَذَا التَّشْبِيهِ، وَيَعْتَدِرُ لَهَا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمُسْتَوَى حُسْنِهَا وَجَمَالِهَا،
وَلَيْسَ أَهْلًا لِلتَّشْبِيهِ فِيهَا، وَقَدْ عَيَّرَ الْوَأَوَاءُ عَنْ هَذِهِ الْفِكْرَةِ فِي قَوْلِهِ: (3)

[البسيط]

يَا ذَا الَّذِي تُخْجِلُ الْأَغْصَانَ قَامَتُهُ وَمَنْ لَهُ الْبَدْرُ وَجْهٌ وَالْدُّجَى شَعْرُ
وَمَنْ إِذَا قِيلَ: إِنَّ الْبَدْرَ يُشْبِهُهُ حُسْنًا أَتَى الْبَدْرُ مِمَّا قِيلَ يَعْتَدِرُ
وَيَصِفُ الْوَأَوَاءُ جَمَالَ الْمَحْبُوبَةِ بِأَنَّهُ مِثَالِيٌّ مُتَكَامِلٌ لَا مِثِيلَ لَهُ وَلَا مُشَابِهَ، إِلَى الدَّرَجَةِ
الَّتِي يَعْجَزُ مَعَهَا الْوَصَافُونَ عَنْ وَصْفِهِ، يَقُولُ فِي ذَلِكَ: (4)

[البسيط]

جَلَّتْ مَحَاسِنُهُ عَنْ كُلِّ تَشْبِيهِ وَجَلَّ عَنْ مُشْبِهٍ فِي الْحُسْنِ يَحْكِيهِ

(1) الواوَاء: ديوانه، ص 85.

(2) المصدر السابق، ص 146.

(3) المصدر السابق، ص 118.

(4) المصدر السابق، ص 251.

انظُرْ إِلَى وَجْهِهِ وَاسْتَعْنِ عَن صِفَتِي
سُبْحَانَ خَالِقِهِ سُبْحَانَ بَارِيهِ
وَيَقُولُ: (1)

[المُجْتَث]

أَفْدِي الَّذِي شَفَّ قَانِبِي بَغْجِجِهِ وَالتِّيَّيْهِ
حَازَ الكَمَالَ فَأَضْحَى بَدْرُ السُّدْجِي يَحْكِيهِ
يُبْدِي غَرَائِبَ حُسْنِ جَاءَتْ عَنِ التَّشْبِيهِ

وَجَعَلَ الوَأَاءُ وَجَهَ المَحْبُوبَةِ أبيضَ اللَّوْنِ، مُشْرِقاً يَشْعُ مِنْهُ النُّورُ وَالضِّيَاءُ الَّذِي يُنِيرُ
الظَّلَامَ، وَبِذَلِكَ فَهُوَ يُغْنِي عَنِ شُعْلَةِ النَّارِ الَّتِي يُسْتَضَاءُ بِهَا، وَيَتَّضِحُ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: (2)

[البسيط]

لَوْ أَنَّهَا فِي ظَلَامٍ لَاسْتَتَارَ بِهَا لِأَنَّ إِشْرَاقَهَا يُغْنِي عَنِ السُّرْجِ
وَعيْنَا المَحْبُوبَةِ - مَصْدَرُ السُّحْرِ وَالجَمَالِ - وَاسْعَتَانِ شَدِيدَتَا البَيَاضِ وَالسَّوَادِ، وَالأَجْفَانُ
فَاتِرَةٌ مُنْكَسِرَةٌ ضَعِيفَةٌ مِنْ شِدَّةِ الغَنَجِ وَالدَّلَالِ، وَكَأَنَّهَا مُصَابَةٌ بِمَرَضٍ عُضَالٍ: (3)

[البسيط]

انظُرْ إِلَى السُّحْرِ فِي عَيْنِيهِ وَالدَّعَجِ (4) كَأَنَّ أَجْفَانَهُ مَرَضَى مِنَ الغَنَجِ
وَيُكْرَرُ شَيْئاً مِمَّا سَبَقَ فِي قَوْلِهِ: (5)

[الكامل]

وَمَرِيضٍ كَرَّ اللَّحْظَ تَحْسَبُ أَنَّمَا أَجْفَانُهُ نَشَوَى بِلا خَمَرٍ

(1) الوَأَاءُ: ديوانه، ص 253.

(2) المصدر سابق، ص 68.

(3) المصدر السابق، ص 67.

(4) الدَّعَجُ: شِدَّةُ سَوَادِ العَيْنِ، وَشِدَّةُ بَيَاضِ بَيَاضِهَا، وَقِيلَ شِدَّةُ سَوَادِهَا مَعَ سِعْتِهَا. ابن منظور: لسان العرب، مادة (دعج).

(5) الوَأَاءُ: ديوانه، ص 105.

وَفِي قَوْلِهِ: (1)

[البسيط]

كَأَنَّهَا اسْتَرْهَنْتَ (2) فِي نَاطِرِي سَقَمًا بَلَحَظَ أَجْفَانِهَا الْمَرَضَى مِنَ الْغُنْجِ
وَيَبْدُو أَنَّهُ أُعْجِبَ بِشَعْرِهَا وَكَيْفِيَّةِ تَصْفِيهِهِ وَطَرِيقَةِ تَنْسِيقِهِ، فَوَصَفَهُ وَصَفًا بَارِعًا، فَهُوَ
نَاعِمٌ كَثِيفٌ مُنْسَقٌ عَلَى هَيْئَةِ مَجْمُوعَتَيْنِ مُتَخَالَفَتَيْنِ تُغَطِّيَانِ مَنَاقِبَهَا، وَشَبَّهَ هَذَا التَّنْسِيقَ بِالصُّورَةِ
الَّتِي تُكْتَبُ عَلَيْهَا كَلِمَةُ (لا)؛ لِأَنَّهَا تَتَأَلَّفُ مِنْ خَطِّينِ مُتَخَالَفَيْنِ، وَقَدْ أَحْسَنَ بِاسْتِخْدَامِ كَلِمَةِ (غَدَائِرُ)
لِلدَّلَالَةِ عَلَى كَثَافَةِ شَعْرِهَا وَنُعُومَتِهِ وَلُيُونَتِهِ، فَهِيَ تَدُلُّ عَلَى جَمْعٍ، وَتَشْتَمِلُ عَلَى حَرْفِ الْأَلِفِ الَّذِي
يَحْمِلُ مَعْنَى اللَّيُونَةِ وَالنُّعُومَةِ، وَقَدْ عَبَّرَ عَنِ كُلِّ هَذَا فِي قَوْلِهِ: (3)

[الطويل]

إِذَا أَسْبَلْتُ زَهْوًا غَدَائِرَ شَعْرِهَا تَوَشَّحْنَهَا مِنْ طَوْلِهَا بِالْمَنَاقِبِ
وَخَالَفْنَهَا لِمَا اسْتَجْرَنَ لَنَا بِهَا كَمَا خَالَفَتْ فِي ((لَا)) أُنَامِلُ كَاتِبِ
وَشَعْرُ صَدَغِهَا الْأَسْوَدُ مُصَفَّفٌ عَلَى هَيْئَةِ حَرْفِ اللَّامِ، وَمُنْسَدِلٌ عَلَى جَانِبِي وَجْهَهَا، وَقَدْ
شَبَّهَهُ بِالخَرَزِ الْأَسْوَدِ، بِجَامِعِ الْإِشْتِرَاكِ بِاللُّونِ، يَقُولُ: (4)

[البسيط]

تَقْتَعَتْ بِالذُّجَى فَوْقَ الضُّحَى فَجَلَّتْ فِي عَاجِ عَارِضِهَا لَامًا مِنَ السَّبَّجِ (5)
وَدَمَجَ الْوَأَوَاءُ فِي بَعْضِ أَشْعَارِهِ بَيْنَ وَصْفِ هَيْئَةِ تَصْفِيهِ شَعْرٍ مَنْ يَعْتَشِقُ وَلَوْنِهِ، فَهُوَ
مُصَفَّفٌ وَمَقُوسٌ فَوْقَ وَجْنَتَيْهِ النَّاصِعَتَيْنِ الْمُشْرِقَتَيْنِ عَلَى هَيْئَةِ حَرْفِ اللَّامِ، وَلَوْنُهُ أَسْوَدٌ حَالِكٌ: (6)

(1) الوأواء: ديوانه، ص 68.

(2) استرهن فلان من فلان: طلب منه رهنا. مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، مادة (رهن).

(3) الوأواء: ديوانه، ص 25-26.

(4) المصدر السابق، ص 67.

(5) السَّبَّج: الخرز الأسود، وهي كلمة دخيلة معربة. ابن منظور: لسان العرب، مادة (سبج).

(6) الوأواء: ديوانه، ص 220.

[المنسرح]

صَوَّجُ لَامَيْنِ فِي عِذَارَيْنِ فِي ذَهَبَيْنِ جَوْهَرَيْنِ
يَا بَابِي كَيْفَ شَفَّنِي سَقْمًا سَوَادُ هَذَيْنِ فِي سَنَا ذَيْنِ
وَتَحَدَّثَ كَذَلِكَ - عَنِ صَدْعِي الْمَعشُوقِ الَّذِينَ صَفَّفَهُمَا فَوْقَ خَدَّيْهِ عَلَى هَيْئَةِ حَلْقَةٍ
دَائِرِيَّةٍ، الْأَمْرُ الَّذِي جَعَلَهُ يَزْدَادُ حُسْنًا وَجَمَالًا وَسِحْرًا، يَقُولُ: (1)

[السريع]

مَرَّ بِنَا فِي قُرْطُقٍ أَخْضَرٍ مُزْرَفَنَ الْأَصْدَاغِ بِالْعَبْرِ (2)
قَدْ كَتَبَ الْحُسْنَ عَلَى خَدِّهِ: يَا أَعْيُنَ النَّاسِ قَفِي وَأَنْظُرِي!
وَشَبَّهَ شَعْرَ الصَّدْعِ الْمُنْسَقِ عَلَى هَيْئَةِ حَرْفِ اللَّامِ فِي لَوْنِهِ بِالْخَرَزِ الْأَسْوَدِ، وَذَلِكَ فِي
قَوْلِهِ: (3)

[البسيط]

لَهُ مِنَ الدَّرِّ عَقْدٌ تَحْتَ شَارِبِهِ وَفَوْقَ أَصْدَاغِهِ لَامَانٍ مِنْ سَبِجٍ (4)
وَجَعَلَ - فِي مِبَالِغَةٍ وَأَضْحَاةٍ - شَعْرَ الْمَحْبُوبَةِ أَشَدَّ سَوَادًا مِنَ اللَّيْلِ الْحَالِكِ: (5)

[البسيط]

وَرَزَائِرِ رَاعٍ وَجْهَ الْبَيْنِ مَنْظَرُهُ أَحْلَى مِنَ الْأَمْنِ عِنْدَ الْخَائِفِ الْوَجِلِ
أَلْفَى عَلَى اللَّيْلِ لَيْلًا مِنْ ذَوَائِبِهِ فَهَابَهُ الصُّبْحُ أَنْ يَبْدُوَ مِنَ الْخَجَلِ
وَلَقَدْ فُتِنَ الْوَأْوَاءُ بِالْخُدُودِ الْوَرْدِيَّةِ الْحَمْرَاءِ، فَشَبَّهَهَا بِزَهْرِ الرُّمَّانِ فِي قَوْلِهِ: (6)

(1) الوأواء: ديوانه، ص 112.

(2) القُرْطُق: القباء. ابن منظور: لسان العرب، مادة (قرطق). زرفن صُدغِيه: جعلهما كالحلقة. السابق، مادة (زرفن).

(3) الوأواء: ديوانه، ص 67.

(4) السَّبِج: الخرزُ الأسود، وأصله سَبَّة. ابن منظور: لسان العرب، مادة (سبج).

(5) الوأواء: ديوانه، ص 180-181.

(6) المصدر السابق، ص 266.

[البسيط]

إِنْ كَانَ فِي جُنَّارٍ (1) الْخَدُّ مِنْ عَجَبٍ
فَالصَّدْرُ يَطْرَحُ رُمَانًا لِمَنْ يَرِدُ
وَسَبَّهَهَا - كَذَلِكَ - بِالْوَرْدِ بِجَامِعِ الْاِشْتِرَاكِ فِي النُّعُومَةِ وَالرَّقَّةِ وَالصَّفَاءِ وَاللَّوْنِ، وَمِنْ ذَلِكَ
قَوْلُهُ: (2)

[الوافر]

تَبَارَكَ مَنْ كَسَا خَدَيْكَ وَرَدًا
تَطَّلَعَ مِنْ فُرُوعِ الْيَاسَمِينِ
وَقَوْلُهُ: (3)

[مجزوء الرمل]

لِي حَبِيبٍ خَدُّهُ كَالِ
وَرْدٍ حُسْنًا فِي بَيَاضِ
وَلِإِظْهَارِ شِدَّةِ نُعُومَتَيْهِمَا وَرَقَّتَيْهِمَا صَرَّحَ بِأَنَّ الْوَرْدَ ذَاتَهُ مَأْخُودٌ مِنْهُمَا: (4)

[البسيط]

النَّرْجِسُ الْغَضُّ مِنْ أَجْفَانِ مُقَلَّتِهِ
وَالْوَرْدُ مِنْ خَدِّهِ وَالدَّرُّ مِنْ فِيهِ
وَفِي قَوْلِهِ: (5)

[الكامل]

لَطَمَتْ بِغُنَابِ الْبِنَانِ شَقَائِقَ الْ
فَكَأَنَّهَا لَمَّا تَكَاثَفَ لَطْمُهَا
وَجَنَاتِ لِي فِي مَاتَمِ الصَّدِّ
فِي خَدِّهَا مِسْكَ عَلَى وَرْدٍ

(1) الجُنَّار: زهر الرُّمَّان. مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، مادة (جُنَّار).

(2) الوأواء: ديوانه، ص228.

(3) المصدر السابق، ص134.

(4) المصدر السابق، ص251.

(5) المصدر السابق، ص77.

صَوَّرَ الْبَنَانَ بِالْعَنَابِ، وَالْوَجْنَتَيْنِ بِشَقَائِقِ النُّعْمَانِ، وَوَقَّفَ عَلَى الرَّائِحَةِ الَّتِي تَنْبَعِثُ مِنَ
الْخَدِّ عِنْدَ اللَّطْمِ، وَجَعَلَهَا مِسْكَاً.

أُخْرَى شُمُوساً لَا تَتَطَفَىُّ وَلَا يَغِيبُ نُورُهَا وَضِيَاؤُهَا، يَقُولُ: (1)

[الطويل]

يُقَمِّنَ لَنَا بَرَقَ الثُّغُورِ أَدِلَّةً إِذَا مَا ضَلَلْنَا فِي ظَلَامِ الدَّوَابِّ
شُمُوسٌ مَتَى تَبْدُو تَضِيءُ لَنَا الدُّجَى فَمَشْرِقُهَا فِيهِ بَغِيرِ مَغَارِبِ
وَلَقَدْ دَهَشَتْ أَسْنَانُهَا الْبَيْضَاءُ النَّاصِعَةُ اللَّامِعَةُ الْمُنْتَظَمَةُ الْمُرْتَبَةُ تَرْتِيباً مُحْكَمًا يَخْطِفُ عَقْلَ
مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، الْوَأَوَاءُ، وَدَفَعَتْهُ إِلَى تَشْبِيهِهَا بِالذَّرِّ وَالْحِجَارَةِ الْكَرِيمَةِ، يَقُولُ: (2)

[المتقارب]

لَهُ ضَاحِكٌ بَرَقُهُ خَاطِفٌ عُقُودَ الرَّجَالِ إِذَا مَا ابْتَسَمَ
أَقُولُ لَكَ إِذْ بَدَا دُرُّهُ شَاهِدْنَا لَصَانِعِهِ بِأَلْحَكَمِ
أَرَى الدَّرَّ يَنْقُبُهُ النَّاطِمُونَ وَمَا تَقَبُّوا ذَا فَكَيْفَ انْتَضَمَ!
وَمَا هُوَ ذَا يُشَبِّهُهَا بِحَبِيبَاتِ الْبَرْدِ الْمُتَجَمِّدَةِ الْمُنْتَاقِطَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: (3)

[الكامل]

مُتَبَسِّمٌ عَنِ لَوْلُو رَطْبِ حَكِي بَرْدًا تَسَاقَطَ مِنْ عُقُودِ سَمَاءِ
وَأَعْجَبَ الْوَأَوَاءُ بِالنُّهُودِ وَالنُّدَى الْمُسْتَدِيرَةِ، فَصَوَّرَهَا بِثَمَرَةِ الرُّمَّانِ فِي قَوْلِهِ: (4)

[البيسيط]

إِنْ كَانَ فِي جُنَّارِ الْخَدِّ مِنْ عَجَبٍ فَالْصَدْرُ يَطْرَحُ رُمَّاناً لِمَنْ يَرِدُ

(1) الوأواء: ديوانه، ص26.

(2) المصدر السابق، ص212.

(3) المصدر السابق، ص4.

(4) المصدر السابق، ص266.

وَصَوَّرَهَا -كَذَلِكَ- بِالْبَدْرِ وَقَتَ تَمَامِهِ فِي قَوْلِهِ: (1)

[الطويل]

وتُظهِرُ لي من تَحْتِ أَرْزَارِ جَيْبِهَا إِذَا مَا بَدَتْ من كُلِّ نَاحِيَةٍ بَدْرًا
وَدَاتَ يَوْمٍ رَأَى الوَأْوَاءَ مَحْبُوبَتَهُ فَجَاءَ، فَغَطَّتْ وَجْهَهَا بِسَاعِدِهَا خَجَلًا وَحِيَاءً، فَلَا حَظَّ
جَمَالَ ذَاكَ السَّاعِدِ وَحُسْنَهُ وَضِيَاءَهُ، فَجَعَلَهُ عَمُودًا يُشِعُّ نُورًا وَضِيَاءً، وَجَعَلَ وَجْهَهَا الأَبْيَضَ قَمْرًا
يَنْبَعِثُ مِنْهُ النُّورُ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: (2)

[المنسرح]

قَدْ سَتَرْتُ وَجْهَهَا مِنَ الخَفْرِ بِسَاعِدِ حَلِّ عِقْدِ مُصْطَبِرِي
كَأَنَّهُ -والعُيُونُ تَرْمُقُهُ- عَمُودٌ نُورٍ فِي دَارَةِ القَمَرِ
وَيَبْدُو أَنَّهُ لَاحَظَ المَحْبُوبَةَ وَقَدْ نَقَشَتْ مِعْصَمَهَا وَرَزَرَكَشْتَهُ وَخَضَّبَتْهُ بِالحِنَاءِ، فَأَعْجَبَ بِذَلِكَ
المَنْظَرِ، وَشَبَّهَهُ بِمَنْظَرِ النَّمْلِ وَهُوَ يَسِيرُ مُتتَالِيًا وَرَاءَ بَعْضِهِ بَعْضًا، وَبِالبَرْدِ الَّذِي يَتَسَاقَطُ مِنَ
السُّحْبِ وَيَتَجَمَّعُ فِي كُتَلٍ تُشكِّلُ مَنَاطِرَ مُمَيَّزَةً، يَقُولُ: (3)

[البيسط]

نَالَتْ عَلَى يَدِهَا مَا لَمْ تَنَلْهُ يَدِي نَقْشًا عَلَى مِعْصَمٍ أَوْهَتْ بِهِ جَدِي
كَأَنَّهُ طُرُقُ نَمَلٍ فِي أَنَامِلِهَا أَوْ رَوْضَةٌ رَصَّعَتْهَا السُّحْبُ بِالبَرْدِ
وَكَفَّ المَحْبُوبَةَ -كَبَقِيَّةِ جَسَدِهَا- أَبْيَضُ نَاعِمٌ مَضِيءٌ يَشْفُ مِثْلَ المَاءِ، يَقُولُ: (4)

[البيسط]

لَهَا مِنَ المَاءِ كَفٌّ فِي أَنَامِلِهَا إِذْ صَافَحْتَنِي بِهِ نَارٌ عَلَى وَهَجٍ

(1) الوأواء: ديوانه، ص104.

(2) المصدر السابق، ص102.

(3) المصدر السابق، ص265.

(4) المصدر السابق، ص68.

تَكَادُ مِنْ لَمَعَانِ الْحُسْنِ تَسْتُرُهُ كَأَنَّمَا طَرَفَتْهُ مِنْ دَمِ الْمُهَاجِ
 وَفِي أَحَدِ مَجَالِسِ اللَّهْوِ وَالْمُجُونِ وَالْغِنَاءِ تَأَمَّلَ أَصَابِعَ مُغْنِيَةٍ وَهِيَ تَضْرِبُ عَلَى الْعُودِ
 بِمَهَارَةٍ فَائِقَةٍ وَدِقَّةٍ مُتْنَاهِيَةٍ، فَفَتِنَ بِهَا، وَجَعَلَهَا قِطْعًا مِنَ الْحِجَارَةِ الْكَرِيمَةِ (الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ) فِي
 قَوْلِهِ: (1)

[الطويل]

أَشَارَتْ بِأَطْرَافِ لَطَافٍ كَأَنَّهَا أَنَامِلُ دُرٍّ قَمَعَتْ بِعَقِيْقِ
 وَدَارَتْ عَلَى الْأَوْتَارِ جَسًّا كَأَنَّهَا بَنَانُ طَبِيبٍ فِي مَجَسِّ عُرُوقِ
 وَلَمْ يَنْسَ الْوَأْوَاءُ أَنْ يَقِفَ عِنْدَ اثْنَيْنِ مِنْ أَكْثَرِ مَوَاضِعِ الْإِثَارَةِ وَالْفِتْنَةِ فِي جَسَدِ الْمَرْأَةِ،
 وَهَمَّا الْخَصْرُ وَالرِّدْفُ، فَوَصَفَهُمَا وَجَعَلَ الْخَصْرَ نَاحِلًا لَيْنًا أَهْيَفَ، وَجَعَلَ رِدْفَهَا عَظِيمًا مُمْتَأَنًا
 يَتَرَجَّرُ وَرَاءَهَا، يَقُولُ: (2)

[البيسط]

وَخَصَرُهَا نَاحِلٌ مِثْلِي عَلَى كَفَلٍ مُرْجَرَجٍ قَدْ حَكَى الْأَحْزَانَ فِي الْخَلْدِ
 وَهَا هُوَ ذَا يَتَغَنَّى بِضُمُورِ خَصْرِ الْمَحْبُوبَةِ وَهَيْفِهِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: (3)

[مجزوء الكامل]

جَرَحَ الْفُؤَادَ بِصَدِّهِ مَنْ لَا يَرِقُّ لِعَبْدِهِ
 حُلُوُّ الشَّمَائِلِ أَهْيَفٌ فَضَحَ الْقَضِيبَ بِقَدِّهِ
 وَقَوْلِهِ: (4)

[المنسرح]

تَاهَ بِقَدِّ يُزْهِى بِهِ الْهَيْفُ كَأَنَّهُ فِي قَوَامِهِ أَلْفُ

(1) الوأواء: ديوانه، ص275.

(2) المصدر السابق، ص266.

(3) المصدر السابق، ص89.

(4) المصدر السابق، ص151.

وَالْمُبَالَغَةَ فِي إِظْهَارِ نُحُولِ جَسَدِ الْمَعشُوقَةِ وَلَيْنِهِ وَرِقَّتِهِ، يُصْرِّحُ الْوَأْوَاءُ بِأَنَّهُ يَخَافُ عَلَيْهَا
إِذَا مَشَتْ عَلَى رِجْلِهَا أَنْ تَتَّقَصَّفَ وَتَتَكَسَّرَ، يَقُولُ: (1)

[الكامل]

أَخْشَى عَلَيْكَ إِذَا مَشَيْتَ تَقْصُفًا وَكَذَا يُخَافُ عَلَى الْقَضِيبِ إِذَا نَشَا
وَإِذَا كَانَ خَصْرُ الْمَحْبُوبَةِ نَاحِلًا ضَامِرًا، فَإِنَّ رِدْفَهَا عَظِيمٌ مُمْتَلئٌ تَقِيلُ إِلَى دَرَجَةِ أَنَّهُ
يَمْنَعُهَا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ مِنَ النَّهُوضِ مِنْ مَجْلِسِهَا، وَقَدْ عَبَّرَ الْوَأْوَاءُ عَنِ هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ: (2)

[الرجز]

مَرِيضٌ كَرَّ الطَّرْفَ مِنْ غَيْرِ مَرَضٍ كَأَنَّمَا قَتَلِي عَلَيْهِ مُفْتَرَضٌ
تُقْعِدُهُ أَرْدَافُهُ إِذَا نَهَضَ كَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مِنْهَا عِوَضٌ
وَالْمَحْبُوبُ مُنْعَمٌ مُتَرَفٌ لَطِيفٌ حَسَّاسٌ إِلَى الدَّرَجَةِ الَّتِي لَا يَسْتَطِيعُ مَعَهَا حَمْلَ الْوَشَاحِ
الَّذِي يَتَزَيَّنُ فِيهِ، وَذَلِكَ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ خَفَةِ وَزْنِهِ، يَقُولُ: (3)

[الكامل]

وَمُهْفَهَفٍ كَالْغُصْنِ هَزَّتَهُ الصَّبَا فَصَبَا إِلَيْهِ مِنَ الْفُتُونِ هَوَائِي
يُوهِيهِ حَمْلٌ وَشَاحِهِ فَتْرَاهُ مِنْ تَرَفِ النَّعِيمِ يَنْنُ فِي إِخْفَاءِ
وَفِي خَاتِمَةِ اسْتِعْرَاضِ هَذِهِ الْجُزْئِيَّةِ مِنْ غَزَلِ الْوَأْوَاءِ، تَجَدُّرُ الْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّهُ جَمَعَ خَمْسَ
اسْتِعْرَاطٍ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ، الْأَمْرُ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى بَرَاعَتِهِ الْفَنِّيَّةِ وَشَاعِرِيَّتِهِ الْفَدَّةِ، مِمَّا دَفَعَ أَبَا هِلَالٍ
الْعَسْكَرِيَّ إِلَى التَّعْبِيرِ عَنِ إِعْجَابِهِ فِيهِ بِقَوْلِهِ: "لَا أَعْرِفُ لِهَذَا الْبَيْتِ ثَانِيًا فِي أَشْعَارِهِمْ" (4)، وَفِيهِ
شَبَهَ الشَّاعِرُ دُمُوعَ الْمَحْبُوبَةِ اللَّامِعَةِ الَّتِي تَتَحَدَّرُ مِنْ عَيْنَيْهَا بِحُبِّيَّاتِ اللُّوْلُؤِ، وَعَيُونَهَا بِزَهْرِ

(1) الْوَأْوَاءُ: دِيْوَانُهُ، ص 133.

(2) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، ص 135.

(3) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، ص 3.

(4) الْعَسْكَرِيُّ، أَبُو هِلَالٍ: الصَّنَاعَتَيْنِ، ص 251.

النَّرجِسِ، وَجَعَلَ خُدُودَهَا وَرَدًا بِجَامِعِ النُّعُومَةِ وَالْحُمْرَةِ، وَشَبَّهَ أَنَامِلَهَا الْمُخَضَّبَةَ بِالْعُنَابِ الْأَحْمَرِ،
وَأَسْنَانَهَا بِحَبِيبَاتِ الْمَاءِ الْمُتَجَمِّدِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: (1)

[البسيط]

قَالَتْ، وَقَدْ فَتَكَتْ فِينَا لَوَاحِظَهَا: كَمْ ذَا أَمَا لِقَتِيلِ الْحُبِّ مِنْ قَوْدٍ؟!
وَأَمْطَرَتْ لَوْلُؤًا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ وَرَدًا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ
وَمِمَّا سَبَقَ يَبْدُو جَلِيًّا أَنَّ الْوَأَوَاءَ تَغَزَلُ بِالْأُنثَى غَزَلًا حَسِيًّا غَيْرَ فَاحِشٍ، فَصَوَّرَ مَوَاضِعَ
الْجَمَالِ وَالْفِتْنَةِ وَالْإِغْرَاءِ فِي جَسَدِهَا، كَالْوَجْهِ، وَالْخُدُودِ، وَالْأَسْنَانِ، وَالشَّعْرِ، وَالسَّاعِدِ، وَالنُّهُودِ،
وَالْخُصُورِ، وَالْأَرْدَافِ مِنْ غَيْرِ إِسْفَافٍ أَوْ ابْتِدَالٍ وَامْتِهَانٍ، وَاسْتَعْمَلَ لِتَحْقِيقِ ذَلِكَ الْعَدِيدِ مِنْ
الصُّورِ الَّتِي اعْتَمَدَ فِي صِيَاغَتِهَا عَلَى أَشْيَاءَ مَادِيَّةٍ تَشْتَمِلُ عَلَى قَدْرِ مِنَ الرَّقَّةِ وَالنُّعُومَةِ الَّتِي
تَتَنَاسَبُ مَعَ نُعُومَةِ الْمَرْأَةِ وَحَسَاسِيَّتِهَا، كَالدُّرِّ، وَالْيَاقُوتِ، وَالْوَرْدِ، وَزَهْرِ الرُّمَّانِ، وَشَقَائِقِ النُّعْمَانِ،
وَالْمَاءِ، وَالْبَرْدِ، وَالشَّمْسِ، وَالْبَدْرِ.

(1) الوأواء: ديوانه، ص 83-84.

الفصل الثالث

السّماتُ الفنّيّةُ للوصفِ والغزلِ
في شعرِ الواوِءِ الدّمّشقيّ

المَبَحَثُ الْأَوَّلُ

البناءُ الفنيُّ للقَصيدةِ

بينَ أيدينا كثيرٌ من شعرِ الوأءِ الدمشقيِّ، وقد جاءَ مُوزَّعاً على أربعةِ أنماطٍ، فمنهُ ما كانَ على هيئةِ قصائدٍ، حيثُ بلغَ عددها خمساً وثلاثين قصيدةً، ومنهُ ما جاءَ على صورةِ مقطوعاتٍ قصيرةٍ، وقد بلغَ عددها مئتين وتِسَعِ مقطوعاتٍ، ومنهُ ما جاءَ على شكلِ نَتْفٍ وصلَ عددها إلى ثمانٍ وثمانين نَتْفَةً، فضلاً عن الأبياتِ المفردةِ التي بلغَ عددها بيّتين اثنتين.

ويَظهرُ من الإحصائيةِ السابقةِ كثرةُ شكلِ المقطوعةِ وتعدُّدِ نماذجها في شعره، حيثُ احتلَّت حيزاً كبيراً منه، والمقطوعةُ الشعريَّةُ "إطارٌ محدودٌ وضيقٌ، يعبرُ فيه الشاعرُ أحياناً عن خاطرِ راوده، أو شعورٍ حادٍ في لحظةٍ من اللحظاتِ، أو معنى طريفٍ جالٍ بنفسه فاقتنصه دون أن يتوسع فيه أو يولد منه ما يصنع قصيدةً طويلةً"⁽¹⁾، ورَبِّما تكونُ "صورةً لطيفةً مبتكرةً، لمعت في خيالِ الشاعرِ فبادرَ إلى تسجيلها ثم اكتفى بها حين رآها متكاملةً تقومُ بنفسها"⁽²⁾.

ولقد وَظَّفَ الوأءُ المقطوعةَ الشعريَّةَ للحديثِ عن كلِّ آفاقِ التجربةِ الشعريَّةِ التي حَلَّقَ فيها وأبحَرَ بها، كالغزلِ، والخمرِ، والمُجونِ، والروضياتِ والزهرياتِ، ووصفِ الكواكبِ والنجومِ ومظاهرِ الحضارةِ...

ورَبِّما تُفسِّرُ ظاهرةُ كثرةِ المقطوعاتِ في شعره بضياعِ قدرٍ كبيرٍ منه، وبهذا لم يبقَ من قصائدهِ سوى مقطوعاتٍ تتألَّفُ من عددٍ قليلٍ من الأبياتِ، ورَبِّما تكونُ عائدةً إلى إقباله على هذا النمطِ الشعريِّ، تدفعُهُ إليه العواملُ والأسبابُ الآتيةُ:

أولاً: شُيوعُ الغناءِ:

لقد انتشرَ الغناءُ في العصرِ العباسيِّ انتشاراً كبيراً بينَ مختلفِ طبقاتِ المُجتمعِ، وطبيعةُ هذا الفنِّ تفرِّضُ على الشعراءِ أن يقصروا شعرهم على المقطعاتِ القصيرةِ؛ حتَّى يَتِمَكَّنوا من

(1) إسماعيل، عز الدين: في الأدب العباسيِّ الرؤيةُ والفنُّ، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1975، ص418.

(2) المرجع السابق، ص419.

تَقْدِيمَهَا فِي إِطَارِ مُوسِيقِيٍّ جَدَّابٍ، وَحَتَّى تَتَلَّامَ مَعَانِيهَا الْمَحْدُودَةَ الْمُبَاشِرَةَ مَعَ مَا يَتَطَلَّبُهُ الْغِنَاءُ مِنْ تَأْثِيرٍ سَرِيعٍ وَتَطْرِيبٍ مُبَاشِرٍ.

ثَانِيًا: الْوَحْدَةُ الْمَوْضُوعِيَّةُ:

فَبَعْضُ الشُّعْرَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ كَانُوا يَقْصُرُونَ أَشْعَارَهُمْ عَلَى فِكْرَةٍ مُعَيَّنَةٍ، لَا يَتَجَاوَزُونَهَا إِلَى غَيْرِهَا، وَمَعَالَجَةُ هَذِهِ الْفِكْرَةِ تَأْتِي فِي أَبْيَاتٍ قَلِيلَةٍ مَعْدُودَةٍ.

ثَالِثًا: التَّطَوُّرُ الْحَضَارِيُّ:

مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّهُ كَلَّمَا تَعَفَّدَتْ أَسْبَابُ الْحَضَارَةِ وَطَرَائِقُ الْعَيْشِ أَصْبَحَتْ نُفُوسُ النَّاسِ تَسَامُ الْأَعْمَالَ الْأَدْبِيَّةَ الْمُطَوَّلَةَ وَتَنْفَرُ مِنْهَا؛ لِأَنَّهُمْ يَعِيشُونَ -آنَ ذَاكَ- أَيَّامَهُمْ فِي إِيقَاعِ مُتْسَارِعٍ، حَيْثُ لَا يَتَوَفَّرُ لَدَيْهِمْ وَقْتُ لِقَاءِ مِثْلِ تِلْكَ الْمُطَوَّلَاتِ أَوْ الْإِسْتِمَاعِ إِلَيْهَا، فَهُمْ مُنْشَغَلُونَ بِالتَّجَارَةِ وَالزَّرَاعَةِ وَالصَّنَاعَةِ، وَالْإِسْتِمَاعِ بِالْحَيَاةِ اللَّاهِيَةِ الْمَاجِنَةِ وَذَائِدِهَا وَمُغْرِيَاتِهَا، وَهَذَا مَا هُوَ حَاصِلٌ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ، لِذَا لَجَأَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ إِلَى الْمَقْطَعَاتِ الْقَصِيرَةِ الْخَفِيفَةِ، فَهِيَ أَكْثَرُ تَقْبُلًا لَدَى النَّاسِ (1).

وَقِيمًا يَخُصُّ قَصَائِدَهُ، فَقَدْ تَعَدَّدَتْ مَوْضُوعَاتُهَا وَأَغْرَاضُهَا، فَمِنْهَا الْغَزَلِيَّاتُ، وَمِنْهَا الْمَدَائِحُ، وَمِنْهَا الْخَمْرِيَّاتُ، وَمِنْهَا الرُّوضِيَّاتُ، أَمَّا مِنْ حَيْثُ الْكَمِّ، فَقَدْ كَانَتْ فِي الْغَزْلِ وَالْخَمْرِ وَالرِّيَاضِ تَتْرَاوَحُ بَيْنَ الْقِصْرِ وَالتَّوَسُّطِ، فَعَدَّدَ أَبْيَاتُهَا بَيْنَ سَبْعَةٍ إِلَى ثَلَاثِينَ بَيْتًا، وَلَعَلَّ ذَلِكَ عَائِدٌ إِلَى ضِيَاعِ قِسْمِ مِنْهَا مَعَ مَا ضَاعَ مِنْ أَشْعَارِهِ، أَمَّا مَدَائِحُهُ، فَقَدْ كَانَتْ طَوِيلَةً إِلَى مُتَوَسِّطَةِ الْحَجْمِ، وَأَطْوَلُهَا بِأَثْنَيْتَيْهِ فِي سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْحَمْدَانِيَّةِ، حَيْثُ بَلَغَ عَدْدُ أَبْيَاتِهَا ثَلَاثَةً وَخَمْسِينَ بَيْتًا، وَهِيَ أَطْوَلُ قَصِيدَةٍ فِي دِيْوَانِهِ، وَيَرْجِعُ ذَلِكَ -أَيُّ طُولِ قَصَائِدِ الْمَدْحِ فِي شِعْرِهِ- إِلَى أَنَّ أَغْرَاضَهَا مُتَنَوِّعَةٌ وَمَوْضُوعَاتُهَا مُتَعَدَّدَةٌ، لِذَا فَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى مِسَاحَةٍ شِعْرِيَّةٍ كَبِيرَةٍ، وَأَبْيَاتٍ كَثِيرَةٍ لِلتَّعْبِيرِ عَنْهَا، وَمَعَالَجَتِهَا عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهِ.

(1) يُنظر: هدارة، محمد مصطفى: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ص 148-149.

وَقَدْ قَدَّمَ الْوَأْوَاءُ لِمُعْظَمِ قَصَائِدِهِ بِمُقَدِّمَاتٍ تَسْبِقُ الْغَرَضَ الرَّئِيسَ، وَالْمُقَدِّمَةُ عَادَةً مَا تَكُونُ
 "خاصة بالشاعر يتحدث فيها عن آماله وآلامه، عن ضميره وخلجات نفسه، عن حب زل
 وحبيب رحل، عن شباب غاب وشيب سطع، إنها تعكس أهم ما يشغل بال الشاعر ويدور في
 نفسه، وذلك قبل أن يتلاشى في الغرض العام للقصيدة"⁽¹⁾.

وَقَدْ تَنَوَّعَتْ مُقَدِّمَاتُ الْوَأْوَاءِ وَتَعَدَّدَتْ أَنْمَاطُهَا، فَأَكْثَرُهَا شُبُوعًا الْمُقَدِّمَةُ الطَّلِيَّةُ، حَيْثُ
 تَصَدَّرَتْ كَثِيرًا مِنْ مَدَائِحِهِ وَغَزَلِيَّاتِهِ وَخَمْرِيَّاتِهِ، فَكَثِيرًا مَا كَانَ يَقِفُ عَلَى الْأَطْلَالِ وَيَبْكِيهَا،
 وَيَطْلُبُ مِنْ أَصْحَابِهِ الْوُقُوفَ عَلَيْهَا وَبُكَاءَهَا، وَيَتَغَنَّى بِعِنَاصِرِهَا وَمُكُونَاتِهَا كَالنُّوْيِ وَالْأَثَافِيِّ،
 وَيَصِفُ مَا أَصَابَهَا مِنْ بَلَاءٍ وَدَمَارٍ وَهَلَاكِ وَخَرَابٍ وَأَنْعَادٍ لِلْحَرَكَةِ وَالْحَيَاةِ، وَيَتَحَدَّثُ عَمَّا أَصَابَهُ
 مِنْ حُزْنٍ وَسَقَمٍ وَالْمِ عِنْدَ رُؤْيَيْهَا وَالْمُرُورِ بِهَا، وَأَحْيَانًا يَدْعُو لَهَا بِالْخَيْرِ وَالسَّلَامَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ
 فِي مُقَدِّمَتِهِ لِمَدْحِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْحَمْدَانِيِّ: ⁽²⁾

[الطويل]

أَمَغْنَى الْهَوَى غَالَتْكَ أَيَدِي النَّوَابِ
 إِذَا أَبْصَرْتَكَ الْعَيْنُ جَادَتْ بِمَذْهَبِ
 أَثَافٍ كَنَقْطِ الثَّاءِ فِي طِرْسِ دِمْنَةٍ
 وَقَوْلُهُ فِي مُقَدِّمَةِ مِدْحَةِ أُخْرَى لَهُ: ⁽³⁾

فَأَصْبَحَتْ مَغْنَى لِلصَّبَا وَالْجَنَائِبِ
 عَلَى مَذْهَبٍ فِي الْخَدِّ بَيْنَ الْمَذَاهِبِ
 وَنُؤْيٍ كَدُورِ النُّونِ مِنْ خَطِّ كَاتِبِ

[الطويل]

قَفُّوا مَا عَلَيْكُمْ مِنْ وَقُوفِ الرِّكَائِبِ
 وَإِلَّا فَدُلُونِي عَلَى الصَّبْرِ إِنَّنِي
 لِنَبْذِلَ مَذْخُورَ الدُّمُوعِ السَّوَابِ
 رَأَيْتُ اصْطِبَارِي مِنْ أَعَزِّ الْمَطَالِبِ
 وَقَوْلُهُ فِي مُقَدِّمَتِهِ لِمَدْحِ الشَّرِيفِ الْعِيقِيِّ: ⁽⁴⁾

(1) زاهر، جمال: شعر الوأواء الدمشقي، ص 279.

(2) الوأواء: ديوانه، ص 16-17.

(3) المصدر السابق، ص 24.

(4) المصدر السابق، ص 214.

[الكامل]

كُسَيْتَ مَعَالِمَهَا الْهُوى وَعَرِينَا
حَرَكَاتُهُنَّ مِنَ الْغَرَامِ سَكُونَا
بِيَدِ السُّهَادِ وَمَا أَرَدْتُ مُعِينَا

لَمَنِ الرُّسُومُ بِ ((رَامَتَيْنِ)) بَلِينَا
دَمَنْ فُطْمَنْ مِنَ الصَّبِي وَتَبَدَّلَتْ
أَيَقَظَتْ فِيهَا كُلَّ وَجَدٍ هَاجِعٍ
وَقَوْلُهُ فِي مُقَدِّمَتِهِ لِأَحَدِي خَمْرِيَّاتِهِ: (1)

[الطويل]

فَجَدَّدْتَ عَهْدَ الشُّوقِ فِي دَمَنِ الْهُوى
فَأَوْرَقَ غُصْنُ الْحُبِّ فِي رَوْضَةِ الرِّضَا

أَيَا رُبْعَ صَبْرِي كَيْفَ طَاوَعَكَ الْبَلَى
وَأَجْرِيَتْ مَاءَ الْوَصْلِ فِي تُرْبَةِ الْجَفَا
وَقَوْلُهُ فِي مُقَدِّمَتِهِ لِأَحَدِي غَزَلِيَّاتِهِ: (2)

[الطويل]

وَأِنِّي عَلَى وَجْدِي عَلَيْكَ لَبَّاكِ
لِعِشْقِ بُكَايِي فِيكَ حُبًّا هَلَكَي
عَلَيْكَ مِنَ الْإِشْرَاقِ نُورٌ بِهِكَ

أَرْبَعِ الْبَلَى إِنِّي إِلَيْكَ لَشَّاكِ
وَمَا ذَاكَ مِنْ بُقْيَا عَلَيْكَ وَإِنَّمَا
أَيَا دِمْنَةَ اللَّذَاتِ لَا زَالَ دَائِمًا

وَيَبْرُزُ فِي شِعْرِهِ نَمَطٌ آخِرٌ مِنَ الْمُقَدِّمَاتِ، وَهِيَ الْمُقَدِّمَةُ الْغَزَلِيَّةُ، وَقَدْ اهْتَمَّ بِهَا كَثِيرٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ، وَذَلِكَ لِمَا فِي الْغَزْلِ وَالنَّسِيبِ "من عطف القلوب، واستدعاء القبول بحسب ما في الطباع من حب الغزل، والميل إلى اللهو والنساء" (3)، وَفِي هَذِهِ الْمُقَدِّمَاتِ تَغَزَّلَ بِالْمَحْبُوبَةِ، وَتَغَنَّى بِحُسْنِهَا وَجَمَالِهَا، وَبِمَظَاهِرِ فِتْنَتِهَا وَبِهَائِهَا وَسِحْرِهَا، وَوَصَفَ قَوَامَهَا وَرَقَّتَهَا وَتُعُومَتَهَا وَإِشْرَاقَ وَجْهِهَا، وَتَغَنَّى بِشِعْرِهَا وَعَيُْونِهَا وَخُدُودِهَا وَأَسْنَانِهَا...، وَيُظْهِرُ ذَلِكَ مِنْ مُقَدِّمَتِهِ لِأَحَدِي خَمْرِيَّاتِهِ، حَيْثُ يَقُولُ: (4)

(1) الواوَاء: ديوانه، ص 8.

(2) المصدر السابق، ص 171.

(3) القيرواني، ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، 225/1.

(4) الواوَاء: ديوانه، ص 3-4.

[الكامل]

فَصَبَا إِلَيْهِ مِنَ الْفُتُونِ هَوَائِي
تَرَفِ النَّعِيمِ يَنْنُ فِي إِخْفَاءِ
بِخْفِي كَرَّ اللَّحْظِ وَالْإِيمَاءِ
قَافٍ مُعْلَقَةً بِعَظْفَةِ فَاءِ

وَمُهَفِّفٍ كَالْغُصْنِ هَزَّتَهُ الصَّبَا
يُوهِيهِ حَمْلٌ وَشَاحِهِ فَتْرَاهُ مِنْ
تَدْمَى سَوَالِفُهُ إِذَا لَاحَظْتَهَا
وَكَانَ عَقْرَبٌ صُدَّعَهُ لَمَّا انْتَهَتْ

وَمِنْ مُقَدَّمَتِهِ لِإِحْدَى مَدَائِحِهِ لِلْعَقِيقِيِّ: (1)

[البسيط]

وَعَلَّمَ السُّقْمَ مِنَ أَجْفَانِهِ السَّقْمَا
إِلَّا سَقَى نَاطِرِي مِنْ رِيِّهِ بِظَمَا

تَظَلَّمَ الْوَرْدُ مِنْ خَدْيِهِ إِذْ ظَلَمَا
وَلَمْ أَرِدْ بِلِحَاطِي مَاءَ نَاطِرِهِ

وَمِنْ مُقَدَّمَتِهِ لِإِحْدَى مَدَائِحِهِ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ، وَمِنْهَا قَوْلُهُ: (2)

[المنسرح]

فِي ذَهَبِيَّيْنِ جَوْهَرِيَّيْنِ
سَوَادُ هَذَيْنِ فِي سَنَا ذَيْنِ
فَوْقَ نَظَامَيْنِ لَوْلُؤِيَّيْنِ

صَوَلَجُ لَامَيْنِ فِي عِذَارَيْنِ
يَا بِأَبِي كَيْفَ شَقَّنِي سَقْمَا
قَدْ زَهَتْ الرِّاءُ مِنْ مُقْبَلِهِ

وَهُنَاكَ صِنْفٌ ثَالِثٌ مِنْ مُقَدَّمَاتِ الْوَأْوَاءِ لِقِصَائِدِهِ، وَهِيَ الْمُقَدَّمَاتُ الْخَمْرِيَّةُ، وَفِيهَا يَطْلُبُ

مِنَ السَّاقِي أَنْ يُقَدِّمَ لَهُ الْخَمْرَ وَالشَّرَابَ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي مُقَدَّمَتِهِ لِإِحْدَى مَدَائِحِهِ لِلْعَقِيقِيِّ: (3)

[الخفيف]

بَعْدَ يَأْسٍ مِنْ مُغْرَمٍ بَاجْتِنَابِ
شُ، مُدَامًا تُجَلِّي بِحُلِّي الْحَبَابِ

زَمَنْ مِثْلُ زُورَةِ الْأَحْبَابِ
فَاسْقِنِي يَا غُلامُ، عَاشَ لِي الْعَيُّ

وَفِي مُقَدَّمَتِهِ لِإِحْدَى رَوْضِيَّاتِهِ: (4)

(1) الواوَاء: ديوانه، ص191.

(2) المصدر السابق، ص220.

(3) المصدر السابق، ص11-12.

(4) المصدر السابق، ص175.

[الكامل]

فَمُ فَاسِقَتِي بِالكَأْسِ لَا بِالْقَنْقَلِ وَأَشْرَبَ عَلَيَّ وَجْهَ الزَّمَانِ الْمُقْبِلِ
وَهُنَاكَ نَمَطٌ آخِرٌ مِنَ الْمُقَدَّمَاتِ فِي شِعْرِهِ، وَهُوَ وَصَفُ الرِّيَاضِ، وَيَبْرُزُ فِي قَصِيدَةٍ
وَاحِدَةٍ فِي الْخَمْرِ، وَفِيهَا يَصِفُ الرِّيَاضَ وَالْأَشْجَارَ وَالْأَزْهَارَ الْمُتَعَدِّدَةَ الْأَنْوَاعِ وَالْأَصْنَافِ
وَالْأَلْوَانَ، وَيَصِفُ حَرَكَةَ أَغْصَانِ الْأَشْجَارِ، وَتَمَائِلَهَا يَمِينًا وَشِمَالًا تَبَعًا لِحَرَكَةِ الرِّيْحِ، وَفِيهَا
يَقُولُ: (1)

[الخفيف]

زَمَانَ ضَا حِكْ وَرَوْضٌ جَدِيدُ وَغُصُونٌ مُرْتَحَاتٌ تَمِيدُ
أَنْجُمُ الزَّهْرِ حَوْلَهَا فَتْرَاهَا طَالَعَاتٌ كَأَنَّهِنَّ سُغُودُ
تَغْتَدِي لِلْعُيُونِ مِنْهَا عُيُونُ وَتُلَاقِي الْخُدُودَ مِنْهَا خُدُودُ
تَتَنَتَّى مَعَ الرِّيَّاحِ اخْتِيَالًا بَغُصُونٍ كَأَنَّهِنَّ فُودُودُ

هَذِهِ هِيَ أَنْمَاطُ مُقَدَّمَاتِ الْوَأْوَاءِ لِقَصَائِدِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَلْتَزِمَ بِهَا فِي جَمِيعِ قَصَائِدِهِ، فَأَحْيَانًا
كَانَ يَتَخَلَّى عَنِ الْمُقَدَّمَةِ، وَيَلْجُ إِلَى الْمَوْضُوعِ مُبَاشَرَةً، كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي بَعْضِ غَزَلِيَّاتِهِ،
وَخَمْرِيَّاتِهِ، وَرَوْضِيَّاتِهِ، مُتْجَاهَةً دَعَوَاتِ النِّقَادِ التَّقْلِيدِيِّينَ الَّتِي تُصْرِّحُ بِضُرُورَةِ الْإِلْتِمَامِ بِبَنِيكَ
الْمُقَدَّمَاتِ، حَيْثُ أُطْلِقُوا عَلَى الْقَصَائِدِ الَّتِي لَا تَلْتَزِمُ بِهَا مُصْطَلَحَ الْقَصِيدَةِ الْبِتْرَاءِ قِيَاسًا عَلَى
الْخُطْبَةِ الْبِتْرَاءِ، كَمَا أَنَّهُمْ أُطْلِقُوا عَلَى عَمَلِيَّةِ تَرْكِهَا وَإِهْمَالِهَا الْعَدِيدِ مِنَ الْمُصْطَلِحَاتِ الَّتِي تُدَلُّ
عَلَى ضَعْفِ الْقَصِيدَةِ وَنَقْصِهَا وَنَقْصِيرِهَا، كَالْوَثْبِ وَالْبِتْرِ وَالْقَطْعِ وَالْكَسْعِ وَالْإِقْتِضَابِ (2).

وَمَا هُوَ ذَا ابْنُ طَبَاطِبَا الْعَلَوِيِّ يَدْعُو الشُّعْرَاءَ إِلَى ضُرُورَةِ "الوقوف على مذاهب العرب
في تأسيس الشعر، والتصرف في معانيه، في كل فن قالته العرب فيه، وسلوك مناهجها في
صفاتها ومخاطباتها وحكاياتها وأمثالها" (3).

(1) الوأواء: ديوانه، ص 74-75.

(2) يُنظر: القيرواني، ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، 1/231.

(3) ابن طباطبا، محمد بن أحمد العلوي: عيار الشعر، تح: طه الحاجري، ومحمد زغلول سلام، القاهرة: المكتبة التجارية
الكبرى بشارع محمد علي، 1956، ص 4.

وَمِنَ الْأَمْثَلَةِ عَلَىٰ هَذَا النَّمَطِ مِنْ قَصَائِدِ الْوَأْوَاءِ، غَزَلِيَّتُهُ الَّتِي مَطَّلَعُهَا: (1)

[الكامل]

بَدْرٌ تَقَّعَ بِالْأَظْلَا مِ عَلَىٰ قَضِيْبٍ فِي كَثِيْبٍ
تَدْعُو مَحَاسِنُهُ الْقُؤُو بِ إِلَيَّ مُشَافَهَةَ الذُّؤُوْبِ
وَخَمْرِيَّتُهُ الَّتِي مَطَّلَعُهَا: (2)

[المنسرح]

قُمْ يَا غُلَامُ اسْقِنِي مُشَعَّعَةً تَسِيرُ فِي الْكَأْسِ بِالتَّبَاشِيرِ
هَذَا فِيمَا يَخْصُ مُقَدَّمَاتِ قَصَائِدِ الْوَأْوَاءِ، أَمَّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِخَوَاتِيمِهَا، فَيُمْكِنُ تَقْسِيمُ قَصَائِدِهِ
وَفَقًّا لَهَا إِلَى قِسْمَيْنِ اثْنَيْنِ، هُمَا: قَصَائِدُ يَشْعُرُ قَارِئُهَا بِأَنَّهَا اقْتَرَبَتْ مِنَ الْإِنْتِهَاءِ، وَبِأَنَّ أَبْيَاتِهَا
الْأَخِيرَةَ لَيْسَتْ إِلَّا خَاتِمَةً لَهَا، وَهَذَا الصَّنْفُ يَنْحَصِرُ فِي مَدَائِحِهِ، حَيْثُ اهْتَمَّ بِتَجْوِيدِ خَوَاتِيمِهَا؛ لِأَنَّ
"خَاتِمَةَ الْكَلَامِ أَبْقَى فِي السَّمْعِ، وَالصَّقُّ بِالنَّفْسِ؛ لِقَرَبِ الْعَهْدِ بِهَا؛ فَإِنْ حَسَنْتَ حَسَنًا... وَالْأَعْمَالُ
بِخَوَاتِيمِهَا، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" (3)، وَبِذَلِكَ يَضْمَنُ الْإِسْتِحْوَاذَ عَلَىٰ إِعْجَابِ
الْمَمْدُوحِ، وَمَا يَنْتُجُ عَنْهُ مِنَ الْحُصُولِ عَلَى الْمَالِ وَالْعَطَاءِ وَالنَّوَالِ، يُؤَكِّدُ ذَلِكَ مَوْضُوعَاتُ
خَوَاتِيمِهَا وَأَنْمَاطُهَا الْمُتَعَدِّدَةُ الْمُتَنَوِّعَةُ، فَمِنْهَا مَا يَشْتَمِلُ عَلَى الْفَخْرِ وَالتَّبَاهِي بِشِعْرِهِ وَبِمَقْدَرَتِهِ
الْفَنِّيَّةِ، وَيُظْهِرُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ فِي خَاتِمَةِ قَصِيدَتِهِ الْبَائِيَّةِ فِي مَدْحِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ: (4)

[الطويل]

أَبَا حَسَنِ هَذَا ابْنُ مَدْحِكَ قَدْ أَتَى لِمَدْحِكَ وَالْأَيَّامُ خُضْرُ الشَّوَارِبِ
بِمَالِكَةٍ لِلْسَّمْعِ مَمْلُوكَةٍ بِهِ عَجَائِبُهَا مِنْ أُمَّهَاتِ الْعَجَائِبِ
إِذَا أَنْشَدَتْ فِي مَشْهَدٍ شَهِدُوا لَهَا بِحُسْنِ التَّنَاهِي فِي اخْتِصَارِ الْمَذَاهِبِ

(1) الواوَاء: ديوانه، ص32.

(2) المصدر السابق، ص106.

(3) القيرواني، ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، 217/1.

(4) الواوَاء: ديوانه، ص23.

لِتَعْلَمَ أَنِّي حَاتِمُ الشَّعْرِ وَالَّذِي غَرَّابُهُ فِيهِ حِسَانُ الْغَرَائِبِ
وَمِنْ قَوْلِهِ فِي خَاتِمَةِ قَصِيدَتِهِ الرَّائِيَّةِ فِي مَدْحِ الْعَقِيقِيِّ: (1)

[الخفيف]

يَا مُجِيرِي مِنَ الزَّمَانِ إِذَا لَمْ هَاكَ شِعْرًا إِلَيْهِ يَفْتَقِرُ الْمُو
لَو رَأَتْهُ الْعِيدَانُ وَهِيَ سُكُوتٌ نَثَرَتْ رَاحَةَ الْمَعَانِي عَلَيْهِ
أَسْتَجِرُ مِنْ خُطُوبِهِ لِي بِجَارِ سِرُّ فِي دَهْرِهِ مِنَ الْأَشْعَارِ
كَلَّمْتَهُ سِرًّا بِلَا أَوْتَارِ جَوْهَرًا مِنْ جَوَاهِرِ الْأَفْكَارِ
وَمِنْ خَوَاتِيمِهِ مَا يَتَضَمَّنُ التَّصْرِيحَ بِطَلَبِ الْمَالِ وَالنَّوَالِ مِنَ الْمَمْدُوحِ، وَذَلِكَ كَقَوْلِهِ فِي
إِحْدَى مَدَائِحِهِ لِلْعَقِيقِيِّ: (2)

[الخفيف]

كَلَّمَا لَامَنِي خَبِيثٌ بَعْتَبِ فَتَبَيَّنَ عُنْوَانُ حَالِي فَالْعُنْ
كُنْتُ أَخْشَى خَرَابَ دَهْرِي وَقَدْ قَمُ قَلَّمَا يَنْفُقُ الْأَدِيبُ وَلَنْ يَنْ
وَاحِيَايَ مِنَ الْعُيُونِ إِذَا مَا يَقْطَعُ الْعَضْبُ إِنْ نَبَا عَنْ قَلِيلِ
قَامَ لِبَيْسِي لَهُ مَقَامَ الْجَوَابِ وَأَنْ يُنْبِي بِكُلِّ مَا فِي الْكِتَابِ
تَ لِعُمْرَانَ كُلِّ دَهْرٍ خَرَابِ فُوقَ إِلَّا عَلَيَّ ذَوِي الْآدَابِ
عَايَنْتَنِي فِي هَذِهِ الْأَسْلَابِ وَيَعُودُ الْهَلَالُ بَعْدَ الْغِيَابِ
وَقَوْلِهِ فِي مِدْحَةِ أُخْرَى: (3)

[البسيط]

يَا مُعَلِّمًا بِطِرَازِ الْحُسْنِ نِسْبَتَهُ وَمَنْ هُوَ الشَّمْسُ فِي أَفْقِ بِلَا فَالْكَ
هَذَا يَمِينُكَ فِي الْأَجَالِ صَائِلَةً وَمَنْ غَدَا بَيْنَ أَبْنَاءِ الْعُلَى عَلَّمَا
وَمَنْ هُوَ الْبَدْرُ فِي أَرْضِ بَغِيرِ سَمَا فَاقْتُلْ بِسَيْفِ رَدَاهَا الْخَوْفَ وَالْعَدَمَا

(1) الواوَاء: ديوانه، ص 97.

(2) المصدر السابق، ص 15-16.

(3) المصدر السابق، ص 196.

وَمِنْ خَوَاتِيمِهِ مَا يَشْتَمِلُ عَلَى الدُّعَاءِ لِلْمَدْحِ بِالْخَيْرِ وَالسَّلَامَةِ، وَيَظْهَرُ ذَلِكَ فِي خَاتِمَةِ
مَدْحِهِ لِلْعَقِيقِيِّ، حَيْثُ يَقُولُ: (1)

[الكامل]

فَأَسْلَمَ فَإِنَّكَ مَا سَلِمْتَ مِنَ الرَّدَى وَسُقِيتَ مِنْ مَاءِ الْحَيَاةِ سُقِينَا
أَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي مِنْ قِصَائِدِهِ، فَلَا خَاتِمَةَ لَهُ، إِذْ إِنَّ آخِرَ الْقَصِيدَةِ لَا يَشْتَمِلُ عَلَى مَا يَدُلُّ
عَلَى انْتِهَائِهَا، وَهُنَاكَ الْكَثِيرُ مِنَ الْأَمْثَلَةِ الَّتِي تُسَاقُ عَلَى هَذَا الْقِسْمِ، وَمِنْ ذَلِكَ خَمْرِيَّتُهُ الَّتِي
مَطَّلَعُهَا: (2)

[المتقارب]

زَمَانُ الرِّيَاضِ زَمَانٌ أَنْبِقُ وَعَيشُ الْخَلَاعَةِ عَيشٌ رَفِيقُ
وَقَدْ جَمَعَ الْوَقْتَ حَالِيهِمَا فَمَنْ ذَا يُفِيقُ وَمَنْ يَسْتَفِيقُ؟
فَهِيَ تَتَكَوَّنُ مِنْ وَاحِدٍ وَعِشْرِينَ بَيْتًا، بَدَأَهَا الشَّاعِرُ بِالْحَدِيثِ عَنِ الرِّيَاضِ وَالتَّغْنِي بِجَمَالِهَا
وَبِعُنَاصِرِهَا، وَلَمْ يَنْتَقِلْ لِلْحَدِيثِ عَنِ الْخَمْرِ إِلَّا فِي الْبَيْتَيْنِ الْأَخِيرَيْنِ، وَمِنْ الْغَرِيبِ عَلَى شَاعِرٍ
مَاجِنٍ كَالْوَأَاءِ أَنْ يَتَحَدَّثَ عَنِ الْخَمْرِ فِي بَيْتَيْنِ اثْنَيْنِ فَقَطَّ حَيْثُ يَقُولُ: (3)

[المتقارب]

أَدْرِيَا غُلَامُ كُوُوسِ الْمُدَامِ وَإِلَّا فَيَكْفِيكَ لِحَظٌ وَرِيقُ
وَحُثُّ الصَّبُوحِ لَوْ قَتَّ الصَّبَاحِ فَمَتَّسِعُ الْهَمِّ فِيهِ يَضْرِيْقُ
وَمِنْهَا مَدْحَتُهُ فِي سَيْفِ الدَّوْلَةِ، حَيْثُ انْتَهَتْ فِي الْبَيْتِ السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ بِقَوْلِهِ: (4)

[المنسرح]

زَادَ جَمَالَ الْقَرِيضِ يَا بَنَ أَبِي الْهَيِّ جَاءَ لَمَّا أَتَاكَ ضِعْفَيْنِ

(1) الواوَاء: ديوانه، ص 219.

(2) المصدر السابق، ص 155.

(3) المصدر السابق، ص 158.

(4) المصدر السابق، ص 223.

وَرُبَّمَا يَعُودُ عَدَمٌ وَجُودَ خَاتِمَةٍ لِهَاتَيْنِ الْقَصِيدَتَيْنِ وَشَبِيهَاتِهِمَا إِلَى ضِيَاعِ الْقِسْمِ الْأَخِيرِ مِنْهَا
مَعَ مَا ضَاعَ مِنْ شِعْرِ الْوَأْوَاءِ⁽¹⁾.

يُسْتَنْجِحُ مِمَّا سَبَقَ كَثْرَةَ شَكْلِ الْمَقْطُوعَةِ فِي شِعْرِ الْوَأْوَاءِ، وَاهْتِمَامَهُ بِمُقَدِّمَاتِ قَصَائِدِهِ،
حَيْثُ تَعَدَّدَتْ أَنْمَاطُهَا مَا بَيْنَ مُقَدِّمَةِ طَلَلِيَّةٍ، وَغَزَلِيَّةٍ، وَخَمْرِيَّةٍ، وَرَوْضِيَّةٍ، إِلَّا أَنَّهُ تَخَلَّى فِي بَعْضِ
قَصَائِدِهِ عَنِ الْمُقَدِّمَاتِ وَدَخَلَ إِلَى الْمَوْضُوعِ مُبَاشَرَةً، وَيُلَاحِظُ خُلُوقَ قَصَائِدِهِ الْغَزَلِيَّةِ وَالْخَمْرِيَّةِ
وَالرَّوْضِيَّةِ مِنَ الْخَوَاتِيمِ، أَمَّا مَدَائِحُهُ فَتَعَدَّدَتْ أَنْمَاطُ خَوَاتِيمِهَا وَأَصْنَافُهَا مَا بَيْنَ فَخْرِ بِنْتَاكِهِ
الشَّعْرِيِّ، وَطَلَبِ لِلْمَالِ وَالْعَطَاءِ وَالنَّوَالِ، وَدُعَاءِ لِلْمَمْدُوحِ بِالْخَيْرِ وَالسَّلَامَةِ، وَبِذَلِكَ فَهِيَ تَتَلَاثَمُ مَعَ
الْهَدَفِ الَّذِي يَسْعَى إِلَى تَحْقِيقِهِ مِنْ وِرَاءِ مَدْحِهِ، وَهُوَ طَلَبُ الْمَالِ وَالنَّوَالِ.

(1) ينظر: زاهر، جمال: شعر الوأواء الدمشقي، ص300.

المَبْحَثُ الثَّانِي

اللُّغَةُ

لَقَدْ كَانَتْ لُغَةُ الشَّاعِرِ الْوَأْوَاءِ فِي مُعْظَمِ غَزَلِيَّاتِهِ وَخَمْرِيَّاتِهِ، وَفِي رَوْضِيَّاتِهِ وَزَهْرِيَّاتِهِ وَوَصْفِيَّاتِهِ سَهْلَةً بَسِيطَةً وَأَضِحَةً، قَائِمَةً عَلَى نَبْذِ الْمُعْجَمِ اللُّغَوِيِّ الْقَدِيمِ، وَعَلَى تَوْظِيفِ الْأَلْفَاظِ الْعَدْبَةِ الْمُنتَقَاةِ، وَالْعِبَارَاتِ السَّلْسَةِ الرَّقِيقَةِ اللَّطِيفَةِ الَّتِي لَا تَوَعَّرُ فِيهَا وَلَا وَحْشِيَّةً، وَلَا إِغْرَابَ وَلَا تَعْقِيدَ، فَهِيَ تَشْرَحُ نَفْسَهَا بِنَفْسِهَا، وَلَا حَاجَةَ لِلدَّارِسِ بِأَنْ يَعُودَ إِلَى الْمَعْجَمِ لِفَهْمِهَا وَشَرْحِهَا، وَقَدْ أَشَارَ الصَّفْدِيُّ إِلَى ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: إِنَّ الْوَأْوَاءَ شَاعِرٌ مَطْبُوعٌ مَنْسَجٌ الْأَلْفَاظِ عَذْبِ الْعِبَارَةِ"⁽¹⁾، وَيَنْكَشِفُ ذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ قَوْلِهِ وَأَصِفَاً وَرَدَةً بِيضَاءً، وَمُتَعْنِيًا بِجَمَالِهَا:⁽²⁾

[مجزوء الرجز]

يَا حُسْنَهَا مِنْ وَرْدَةٍ
كَجَامِ بِلَّوْرٍ بِهِ
وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ مُتَعَزَّلًا:⁽³⁾

بِيضَاءً جَاءَتْ بِالْعَجَبِ
قُرَاضَةً مِنْ الذَّهَبِ

[مجزوء الكامل]

يَا مَنْ سَقَامُ جُفُونِهِ
حُزَّتْ الْمُوَدَّةَ فَاسْتَوَى
كُنْ كَيْفَ شِئْتَ مِنَ الْبَعَا
وَمِثْلُهُ فِي وَصْفِ ثَمَرَةِ الْبُطِيخِ:⁽⁴⁾

لِسِقَامِ عَاشِقِهِ طَيِّبِ
عِنْدِي حُضُورِكَ وَالْمَغِيبِ
دِ فَأَنْتَ مِنْ قَلْبِي قَرِيبِ

[السريع]

وَذَاتِ رِيْقٍ إِنْ تَرَشَّفْتَهُ
وَجَدْتَهُ أَحْلَى مِنْ الْمَنْ

(1) الصَّفْدِيُّ: الْوَأْوَاءُ بِالْوُفِيَّاتِ، 53/2.

(2) الْوَأْوَاءُ: دِيْوَانُهُ، ص 261.

(3) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، ص 54.

(4) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، ص 277.

إِذَا بَدَتْ فِي كَفِّ جَلَابِهَا رَأَيْتَهَا فِي غَايَةِ الْحُسْنِ
 كَسَلَّةٌ خَضِرَاءَ مَخْتُومَةٌ عَلَى الْفُصُوصِ الْخُمْرِ فِي الْقُطْنِ
 فَمَعَانِي الْأَبْيَاتِ أَعْلَاهُ مَفْهُومَةٌ وَأَضْحَةٌ، وَأَلْفَاطُهَا سَهْلَةٌ بِسَيْطَةٍ بَعِيدَةٌ عَنِ التَّعْقِيدِ
 وَالْغَرِيبِ، وَلَا تَحْتَاجُ إِلَى شَرْحٍ أَوْ تَفْسِيرٍ.

وَوَصَلَتْ لُغْتُهُ أحياناً إِلَى مَرَحَلَةِ الشَّعْبِيَّةِ، وَاسْتِعْمَالَ الْأَلْفَاطِ الَّتِي تَكَادُ تَقْتَرِبُ مِنْ أَحَادِيثِ
 الْعَامَّةِ، وَمِنْ لُغَةِ الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ، مِنْ مِثْلِ (مَا أَحْلَى رِضَاكَ)، وَ(مَا أَمَرَ سُخْطَكَ)، وَ(مَوْلَاةُ
 مَوْلَاهَا)، وَ(أَعَزُّ شَيْءٍ لِقَلْبِي)، حَيْثُ وَرَدَتْ فِي قَوْلِهِ فِي الْمَحْبُوبَةِ: (1)

[البسيط]

لِللَّهِ لِمَا أَحْلَى رِضَاكَ وَمَا أَمَرَ سُخْطَكَ يَا مَوْلَاةَ مَوْلَاهَا
 لِأَشْيَاءٍ أَحْسَنُ مِنْهَا إِنَّهَا خُلِقَتْ أَعَزُّ شَيْءٍ لِقَلْبِي حِينَ أَلْقَاهَا
 وَمِنْ مِثْلِ قَوْلِهِ فِي الْعِيدِ عِنْدَ مَفَارِقَةِ أَحْبَابِهِ وَإِخْوَانِهِ: (2)

[مجزوء السريع]

مَنْ سَرَّهُ الْعِيدُ فَلَا سَرْنِي بَلْ زَادَ فِي شَوْقِي وَأَحْزَانِي
 لِأَنَّهُ ذَكَرَنِي مَا مَضَى مِنْ عَهْدِ أَحْبَابِي وَإِخْوَانِي
 إِنَّ هَذِهِ الْأَمْتَلَةَ، عَلَى سُهولةِ لُغَةِ الْوَأَوَاءِ، لَيْسَتْ إِلَّا فَيْضًا مِنْ غَيْضٍ، وَتَعْلِيلُهَا يَتِمُّ فِي
 مُحَاوَلَتِهِ إِرْضَاءَ نَزْعَاتِهِ الدَّائِيَّةِ فِي مَجَالِسِهِ وَاجْتِمَاعَاتِهِ وَخَلَوَاتِهِ وَمُعَامِرَاتِهِ، فَضلاً عَنِ بُعْدِهِ عَنِ
 حَيَاةِ الصَّحْرَاءِ وَقَسْوَةِ الْبَادِيَّةِ، وَمُعَايِشَتِهِ لِحَيَاةِ الْمَدِينَةِ الَّتِي تَغْصُ بِالرِّيَاضِ وَالْأَزْهَارِ وَالْمَظَاهِرِ
 الْحَضَارِيَّةِ الْمُتَنَوِّعَةِ.

وَفِي هَذَا الْمَقَامِ، تَجَدُّرُ الْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ لَيْسَتْ خَاصَّةً بِالْوَأَوَاءِ، وَإِنَّمَا كَانَتْ
 مَوْجُودَةً عِنْدَ عَدَدٍ لَا بَأْسَ بِهِ مِنْ شُعْرَاءِ عَصْرِهِ وَزَمَانِهِ، فَقَدْ سَهَّلْتَ أَلْفَاطَهُمْ، "وَلَمْ تَعُدْ نَابِيَّةً لِأَنَّهَا

(1) الوأواء: ديوانه، ص 255.

(2) المصدر السابق، ص 277.

أصبحت تعبر عن صور الحياة المترفة الناعمة المطعمة بألوان الحضارة وبأسلوب رائق سليم. ولم تعد صور الصحراء وقسوتها المتمثلة بألفاظها لم يعد لهما وجود في مجتمع المدينة وأجوائها المفعمة بالازدهار الاجتماعي، والتقدم العلمي والثقافي، والتغيير الذي طرأ على هذا المجتمع، وصار الشعر يهتم بوصف القصور والرياح والمجالس والزهور وتدفق المياه وتصوير العواطف...⁽¹⁾، وبذلك استطاع كثير من الشعراء أن يذيعوا أسلوباً متميزاً يبتعدون فيه عن خشونة البدو وكزازة ألفاظهم، واتجهوا إلى تلك الألفاظ التي تتميز بالعدوابة والرشاقة حيناً والجزالة والرصانة حيناً آخر، بل والشعبية المبتذلة أحياناً، ولهم في كل ذلك ذوق متحضر محبب ينفر من الغرابة والوحشية⁽²⁾.

ولقد حث كثير من النقاد الشعراء على التزام الألفاظ السهلة، فها هو ذا ابن طباطبا يوصي الشعراء بضرورة الالتزام باللغة السهلة اللطيفة العذبة النقية التي تجري مجرى النثر، وأن يبتعدوا عن استعمال الألفاظ المستكرهة الصعبة الوحشية⁽³⁾، وهذا قدأمة بن جعفر يدعو إلى أن يكون اللفظ "سهلاً، سهل مخارج الحروف من مواضعها، عليه رونق الفصاحة، مع الخلو من البشاعة"⁽⁴⁾.

وأبو هلال العسكري في حديثه عن الشعر يصفه بأنه "كلام منسوج، ولفظ منظوم، وأحسنه ما تلائم نسخه ولم يسخف، وحسن لفظه ولم يهجن ولم يستعمل فيه الغليظ من الكلام فيكون جلفاً بغيضاً، ولا السوقي من الألفاظ فيكون مهلهلاً دوناً"⁽⁵⁾.

وعلى الرغم من ذلك كله، فإنه يوجد في شعر الوأواء تياراً لغويّاً آخر يمكن أن يطلق عليه التيار التقليدي، وفيه يفرغ إلى المعجم اللغوي القديم، ويميل إلى الإغراب، وتوظيف الألفاظ

(1) الزبيدي، صلاح مهدي: دراسات في الشعر العباسي، ط1، عمان: الأكاديميون للنشر والتوزيع، 2004، ص74.

(2) أبو الأنوار، محمد: الشعر العباسي تطوره وقيمه الفنية (دراسة تاريخية تحليلية للاتجاهات الكبرى في الشعر وزعمائها من الشعراء من بشار بن برد إلى أبي الطيب المتنبي)، ط2، القاهرة: دار المعارف، 1987، ص93-94.

(3) ينظر: ابن طباطبا: عيار الشعر، ص4-5.

(4) ابن جعفر، قدأمة: نقد الشعر، ص74.

(5) العسكري، أبو هلال: الصناعتين، ص74.

المُتَوَارِثَةِ، لَكِنَّ هَذَا الْإِتِّجَاهَ قَلِيلٌ مَحْدُودٌ مُنْحَسِرٌ فِي مَدَائِحِهِ وَغَزَلِيَّاتِهِ التَّقْلِيدِيَّةِ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ تَقْلِيدٌ عَائِدٌ إِلَى رَغْبَتِهِ فِي إِبْرَازِ مَقْدَرَتِهِ اللَّغَوِيَّةِ وَإِثْبَاتِهَا أَمَامَ الْمَمْدُوحِ، وَيَتَجَلَّى هَذَا التَّيَّارُ أَكْثَرَ مَا يَتَجَلَّى فِي قَصِيدَتِهِ الْبَائِيَّةِ فِي مَدْحِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْحَمْدَانِيِّ، وَمَطْلَعُهَا: (1)

[الطويل]

أَمَغْنَى الْهَوَى غَالَتْكَ أَيْدِي النَّوَائِبِ فَأَصْبَحْتَ مَغْنَى لِلصَّبَا وَالْجَنَائِبِ
وَكَذَلِكَ، فِي مِدْحَتِهِ لِلشَّرِيفِ الْعَقِيبِيِّ الَّتِي مَطْلَعُهَا: (2)

[الكامل]

لَمَنِ الرُّسُومُ بِ (رَامَتَيْنِ) بَلِينَا كَسَيْتَ مَعَالِمَهَا الْهَوَى وَعَرِينَا
وَمِنَ الْأَمْثَلَةِ عَلَى تِلْكَ الْأَلْفَاظِ وَالتَّرَاكِيِبِ التَّقْلِيدِيَّةِ: الْأَثَافِي (3)، وَالنُّوَي (4)، وَمُنْعَرَجِ
اللُّوَى (5)، وَالْعَيْسِ (6)، وَعَقَائِلِ (7)، وَسِنَةِ الْكَرَى (8)، وَسَقَى اللَّهِ (9)...

وَمِمَّا سَبَقَ، يُبَالِغُ أَنْ أَلْفَاظَ الْوَأْوَاءِ وَعِبَارَاتِهِ مُتَجَانِسَةٌ وَمُتَلَاثِمَةٌ مَعَ الْمَوْضُوعَاتِ الَّتِي طَرَقَهَا، وَهَذِهِ قَضِيَّةٌ أَمِنَ فِيهَا النُّقَادُ الْقُدَامَى وَدَعَا إِلَيْهَا، وَمِنَ ذَلِكَ قَوْلُ قُدَامَةَ بْنِ جَعْفَرٍ فِي قَصِيدَةِ الْغَزْلِ: "وَلَمَا كَانَ الْمَذْهَبُ فِي الْغَزْلِ إِنَّمَا هُوَ الرِّقَّةُ وَاللِّطَافَةُ وَالشُّكْلُ وَالْذِمَاثَةُ كَانَ مِمَّا يَحْتَاجُ فِيهِ أَنْ تَكُونَ الْأَلْفَاظُ لَطِيفَةً مُسْتَعْدِبَةً مَقْبُولَةً غَيْرَ مُسْتَكْرَهَةٍ، فَإِذَا كَانَتْ جَاسِيَةً كَانَ ذَلِكَ عَيْبًا إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا لَمْ يَكُنْ عَيْبًا عَلَى الْإِطْلَاقِ أَمَكْنَ أَنْ يَكُونَ حَسَنًا إِذْ كَانَ قَدْ يَحْتَاجُ إِلَى الْخَشُونَةِ فِي

(1) الوأواء: ديوانه، ص16.

(2) المصدر السابق، ص214.

(3) المصدر السابق، ص17.

(4) المصدر السابق، ص17.

(5) المصدر السابق، ص24.

(6) المصدر السابق، ص19.

(7) المصدر السابق، ص25.

(8) المصدر السابق، ص216.

(9) المصدر السابق، ص17.

مواضع مثل ذكر البسالة والنجدة والبأس والرهبنة، وكان أحق المواضع التي يكون فيها عيباً الغزل لمنافرتة تلك الأحوال وتباعده منها⁽¹⁾.

وَقَدْ تَنَبَّهَ إِلَيْهَا -أَيْضاً- ابْنُ رَشِيْقِ الْقَيْرَوَانِيِّ، فَقَالَ: إِنَّ مِنْ "حَقِّ النَّسِيبِ أَنْ يَكُونَ حَلْوِ الْأَلْفَاظِ رَسَلَهَا، قَرِيبِ الْمَعَانِي سَهَّلَهَا، غَيْرِ كَزٍّ وَلَا غَامِضٍ، وَأَنْ يُخْتَارَ لَهُ مِنَ الْكَلَامِ مَا كَانَ ظَاهِرَ الْمَعْنَى، لَيْنِ الْإِيثَارِ، رَطْبِ الْمَكْسَرِ، شَفَافِ الْجَوْهَرِ، يُطْرِبُ الْحَزِينَ، وَيَسْتَخْفُ الرِّصِينَ"⁽²⁾، وَكَذَلِكَ أَشَارَ إِلَى أَنَّهُ يَنْبَغِي عَلَى الشَّاعِرِ إِذَا مَدَحَ "أَنْ يَسْلِكَ طَرِيقَةَ الْإِيضَاحِ وَالْإِشَادَةِ بِذِكْرِهِ لِلْمَدْحِ، وَأَنْ يَجْعَلَ مَعَانِيهِ جَزَلَةً، وَأَلْفَاظَهُ نَقِيَّةً، غَيْرَ مَبْتَذَلَةٍ سَوْفِيَّةً"⁽³⁾.

وَكَذَلِكَ، فَصَّلَ حَازِمُ الْقَرِطَاجَنِيُّ الْقَوْلَ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ حَيْثُ قَالَ: إِنَّ "طَرِيقَةَ الْمَدْحِ يَجِبُ فِيهَا السَّمُو بِكُلِّ طَبَقَةٍ مِنَ الْمَمْدُوحِينَ إِلَى مَا يَجِبُ لَهَا مِنَ الْأَوْصَافِ، وَإِعْطَاءِ كُلِّ حَقِّهِ مِنْ ذَلِكَ، وَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ الْأَفْظُ الْمَدِيحِ وَمَعَانِيهِ جَزَلَةً فَخْمَةً، وَأَنْ يَكُونَ نَظْمُهُ مَتِينًا، وَأَنْ تَكُونَ فِيهِ مَعَ ذَلِكَ عَذُوبَةً. وَأَمَّا الْغَزْلُ، فَيَحْتَاجُ أَنْ يَكُونَ عَذْبُ الْأَلْفَاظِ حَسَنَ السَّبْكِ، حَلْوِ الْمَعَانِي..."⁽⁴⁾.

وَيَلَاحِظُ تَسْرُبُ كَثِيرٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُعْرَبَةِ⁽⁵⁾ إِلَى شِعْرِ الْوَأْوَاءِ حَتَّى صَارَ يَغْصُ بِهَا، وَلَا سِيَّمَا الْأَلْفَاظُ الَّتِي تَخْتَصُّ بِالْمَلَابِسِ وَالْأَزْهَارِ وَالزَّيْنَةِ وَالْعُطُورِ...، وَمِنْهَا مُفْرَدَةٌ (الزَّبْرَجْدُ)⁽⁶⁾، فَفَدَّ وَرَدَّتْ فِي قَوْلِهِ مُتَغَزَّلًا⁽⁷⁾:

(1) ابن جعفر، قدامة: نقد الشعر، ص 191.

(2) القيرواني، ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، 116/2.

(3) المصدر السابق، 128/2.

(4) القرطاجني، حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، تونس: دار الكتب الشرفية، 1966، ص 35-351.

(5) المُعْرَبُ هُوَ مَا اسْتَعْمَلْتَهُ الْعَرَبُ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمَوْضُوعَةِ لِمَعَانٍ فِي غَيْرِ لُغَتِهَا، وَلَهُ مُصْطَلَحٌ آخَرٌ يُرَادُفُهُ، هُوَ الدَّخِيلُ، فَكَثِيرٌ مَا يُشِيرُ عُلَمَاءُ اللُّغَةِ إِلَى الْكَلِمَةِ الْأَعْجَمِيَّةِ بِاسْتِعْمَالِ كَلِمَاتِ الْمُصْطَلَحِينَ. يُنْظَرُ: السِّيُوطِيُّ، عَبْدِ الرَّحْمَنِ جَلَالِ السِّدِّينِ: الْمَزْهَرُ فِي عُلُومِ اللُّغَةِ وَأَنْوَاعِهَا، شَرْحٌ وَضَبْطٌ وَتَصْحِيحٌ وَتَعْلِيقٌ مُحَمَّدٌ أَحْمَدُ جَادُ الْمَوْلَى، وَآخَرِينَ، دَارُ إِحْيَاءِ الْكُتُبِ الْعَرَبِيَّةِ وَعَيْسَى الْبَابِي الْحَلِيبِيُّ وَشُرْكَاهُ، (د.ت)، 268/1-269.

(6) يُنْظَرُ: الْجَوَالِيقِيُّ، أَبُو مَنْصُورٍ مُوَهَّوبُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنَ الْخَضِرِ: الْمَعْرَبُ مِنَ الْكَلَامِ الْأَعْجَمِيِّ عَلَى حُرُوفِ الْمَعْجَمِ، تح: ف. عبد الرحيم، ط1، دمشق: دار القلم، 1990، ص 357.

(7) الوأواء: ديوانه، ص 159.

[الخفيف]

وَلَهُ مِنْ زَبْرَجِدِ الشَّعْرِ رَاءً فَوْقَ ثَغْرِ كَالنُّونِ فِي التَّفْرِيقِ
وَمِنْهَا (الطَّيْلَسَانُ)، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْأَكْسِيَّةِ⁽¹⁾، وَقَدْ وَرَدَ فِي قَوْلِهِ فِي وَصْفِهِ لِلَّيْلِ: (2)

[الطويل]

وَلَيْلٌ كَلَيْلِ النَّائِلَاتِ لِبَسْتَتُهُ مَشَارِقُهُ لَا تَهْتَدِي لِلْمَعَارِبِ
صَبَحْتُ بِهِ وَالصُّبْحُ قَدْ خَلَعَ الدُّجَى عَلَى مَنْكِبِيهِ (طَيْلَسَانُ) الْغِيَاهِبِ
وَمَفْرَدَةٌ (النَّكَّةُ)، وَتَعْنِي رِبَاطَ السَّرْوَالِ⁽³⁾، يَقُولُ فِي الْمَحْبُوبَةِ: (4)

[الخفيف]

مَنْعَتِي مِنْ (تَكَّةٍ) ثُمَّ قَالَتْ تَهْ عَلَى الْفَدَمِ مَا ظَنَنْتُكَ فَدَمًا
وَأَفْظَةٌ (النَّرْجِسُ)⁽⁵⁾، وَوَرَدَتْ فِي قَوْلِهِ مُتَغَزِّلًا: (6)

[المنسرح]

(نَرْجِسُ) عَيْنِيكَ عَطَّلَ (النَّرْجِسُ) لَمَّا تَوَطَّى وَذَلَّ فِي الْمَجْلِسِ
وَ(الْيَاسْمِينِ)⁽⁷⁾، فِي قَوْلِهِ: (8)

[الوافر]

تَبَارَكَ مَنْ كَسَا خَدْيِكَ وَرَدًا تَطَّلَعَ مِنْ فُرُوعِ (الْيَاسْمِينِ)

(1) يُنْظَرُ: الْجَوَالِيقِي: الْمُعَرَّبُ، ص 446. السِّيُوطِي: الْمُزْهَر، 281/1.

(2) الْوَأَوَاءُ: دِيْوَانُهُ، ص 18-19.

(3) يُنْظَرُ: الْجَوَالِيقِي: الْمُعَرَّبُ، ص 222.

(4) الْوَأَوَاءُ: دِيْوَانُهُ، ص 208.

(5) يُنْظَرُ: الْجَوَالِيقِي: الْمُعَرَّبُ، ص 606.

(6) الْوَأَوَاءُ: دِيْوَانُهُ، ص 130.

(7) يُنْظَرُ: السِّيُوطِي: الْمُزْهَر، 276/1.

(8) الْوَأَوَاءُ: دِيْوَانُهُ، ص 228.

وَ(الْجُنَّارِ)⁽¹⁾، فِي قَوْلِهِ:⁽²⁾

[الخفيف]

أَقْبَلْتُ فِي غِلَالَةِ كَدَمِ الْخِشِّ فِ تَتَّئِي، وَدَمَعِ عَيْنِ جَارِ
فَتَأَمَّتْهَا وَقَدْ لَبَسَتْهَا (جُنَّارًا) أَوْفَى عَلَى (الْجُنَّارِ)
وَمِنْهَا -كَذَلِكَ- لَفْظَةُ (الْبِنْفَسَجِ)⁽³⁾، وَوَرَدَتْ فِي قَوْلِهِ فِي وَصْفِ الرِّيَاضِ:⁽⁴⁾

[الكامل]

وَبَدَأَ (الْبِنْفَسَجُ) لِي فَقُلْتُ لِخَاطِرِي فِي وَصْفِهِ كَالنَّارِ فِي إِقَادِهَا
وَمُفْرَدَةً (النَّسْرِينَ)⁽⁵⁾، فِي قَوْلِهِ:⁽⁶⁾

[البسيط]

كَأَنَّ دَمْعِي عَلَى خَدِّي وَصُفْرَتُهُ حَبَابُ دَمْعِ النَّدَى مِنْ حَوْلِ (نَسْرِينَ)
وَ(الْمِسْكِ)⁽⁷⁾، فِي قَوْلِهِ:⁽⁸⁾

[الكامل]

لَطَمْتُ بِغُنَابِ الْبَنَانِ شَقَائِقَ آلِ وَجَنَاتِ لِي فِي مَاتِمِ الصَّدِّ
فَكَأَنَّه لَمَّا تَكَاثَفَ لَطْمُهَا فِي خَدِّهَا (مِسْكُ) عَلَى وَرْدِ
وَ(السَّبَجِ)⁽⁹⁾، حَيْثُ وَرَدَتْ فِي قَوْلِهِ:⁽¹⁰⁾

(1) يُنْظَرُ: السِّيَوطِيُّ: الْمُزْهَرُ، 276/1.

(2) الْوَأْوَاءُ: دِيْوَانُهُ، ص 123.

(3) يُنْظَرُ: الْجَوَالِيْقِيُّ: الْمُعْرَبُّ، ص 204.

(4) الْوَأْوَاءُ: دِيْوَانُهُ، ص 91.

(5) يُنْظَرُ: السِّيَوطِيُّ: الْمُزْهَرُ، 276/1.

(6) الْوَأْوَاءُ: دِيْوَانُهُ، ص 226.

(7) يُنْظَرُ: الْجَوَالِيْقِيُّ: الْمُعْرَبُّ، ص 598.

(8) الْوَأْوَاءُ: دِيْوَانُهُ، ص 77.

(9) يُنْظَرُ: الْجَوَالِيْقِيُّ: الْمُعْرَبُّ، ص 369.

(10) الْوَأْوَاءُ: دِيْوَانُهُ، ص 67.

[البسيط]

لَهُ مِنَ الدُّرِّ عِقْدٌ تَحْتَ شَارِبِهِ وَفَوْقَ أَصْدَاغِهِ لَامَانَ مِنْ (سَبَجِ)
وَ(الْقُرْطَقِ)، وَهُوَ لِبَاسٌ شَبِيهُ بِالْقَبَاءِ⁽¹⁾، وَ(العنبر)⁽²⁾، حَيْثُ جَمَعَ بَيْنَهُمَا فِي قَوْلِهِ:⁽³⁾

[السريع]

مَرَّ بِنَا فِي (قُرْطَقِ) أَخْضَرَ مُزْرَفَنَ الْأَصْدَاغِ بِ (العنبرِ)
وَلَفْظَةَ (الدرياقِ)⁽⁴⁾، فِي قَوْلِهِ فِي صِفَةِ الْمَعْشُوقِ:⁽⁵⁾

[البسيط]

فِي صُدْغِهِ عَقْرَبٌ لِلصَّدْغِ لَادِغَةٌ (درياقِ) لَادِغَتَهَا يَا قَوْمٍ مِنْ فِيهِ
وَمِنْهَا مُفْرَدَةٌ (الفيروزِجِ)⁽⁶⁾، فَقَدْ وَرَدَتْ فِي قَوْلِهِ:⁽⁷⁾

[الكامل]

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالنُّجُومُ كَانَتْهَا دُرٌّ عَلَى أَرْضِ مِنَ الْفِيْرُوزِجِ
وَيُلَاحِظُ عَلَى شَعْرِ الْوَأْوَاءِ - كَذَلِكَ - أَنَّهُ يَشْتَمِلُ عَلَى قَدْرِ كَبِيرٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تَخْتَصُّ
بِعِلْمِ الْكِتَابَةِ وَالْإِمْلَاءِ وَالتَّدْوِينِ، وَتَتَعَلَّقُ فِيهِ بِسَبَبٍ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ عَائِدٌ إِلَى إِتْقَانِهِ لِهَذَا الْعِلْمِ وَإِجَادَتِهِ
فِيهِ، وَقَدْ عَارَضَ بَعْضُ النُّقَادِ اسْتِعْمَالَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تَخْتَصُّ بِالْعُلُومِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي الشُّعْرِ، وَمِنْ
بَيْنِهِمْ ابْنُ سِنَانَ الْخَفَاجِيِّ، حَيْثُ يَرَى أَنَّ مِنْ وَضْعِ الْأَلْفَاظِ فِي مَوَاضِعِهَا عَدَمَ اسْتِعْمَالِ الْأَلْفَاظِ
الْمُتَكَلِّمِينَ وَالنَّحْوِيِّينَ وَمَعَانِيهِمْ، وَالْأَلْفَاظِ الَّتِي تَخْتَصُّ بِأَهْلِ الْمِهْنِ وَالْعُلُومِ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا خَاضَ

(1) يُنْظَرُ: الْجَوَالِيْقِي: الْمُعْرَبِ، ص 507.

(2) يُنْظَرُ: السِّيُوطِي: الْمُزْهَر، 276/1.

(3) الْوَأْوَاءُ: دِيْوَانُهُ، ص 112.

(4) يُنْظَرُ: الْجَوَالِيْقِي: الْمُعْرَبِ، ص 294.

(5) الْوَأْوَاءُ: دِيْوَانُهُ، ص 253.

(6) يُنْظَرُ: السِّيُوطِي: الْمُزْهَر، 275/1.

(7) الْوَأْوَاءُ: دِيْوَانُهُ، ص 263.

فِي عِلْمٍ وَتَكَلَّمَ فِي صِنَاعَةٍ وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَعْمَلَ أَلْفَاظَ أَهْلِ ذَلِكَ الْعِلْمِ⁽¹⁾، غَيْرَ أَنَّ يَوْسُفَ بَكَارَ - وَهَذَا مَا يَرَاهُ الْبَحْثُ وَيَنْجُو إِلَيْهِ - خَالَفَ هَذَا الْإِتِّجَاهَ وَرَفَضَهُ بِقَوْلِهِ: "أَحْسَبُ أَنَّ هَذَا قَيْدٌ ثَقِيلٌ عَلَى الشَّاعِرِ حِينَ لَا يُسْمَحُ لَهُ بِاسْتِعْمَالِ أَلْفَاظِ أُخْرَى إِذَا مَا أَحْتَاجَ إِلَيْهَا وَتَطَلَّبَهَا مَوْضِعَ قَصِيدَتِهِ"⁽²⁾، وَفِيمَا يَخُصُّ الْوَأْوَاءَ فَإِنَّهُ لَمْ يَسْتَعْمِلْ مُصْطَلَحَاتِ عِلْمِ الْكِتَابَةِ وَالتَّدْوِينِ اسْتِعْمَالًا عَبَثِيًّا، وَإِنَّمَا أَدَّى تَوْظِيْفُهَا فِي النَّصِّ دَوْرًا مَهْمًا وَكَبِيرًا فِي إِيْصَالِ الْفِكْرَةِ، وَتَقْرِيْبِهَا مِنْ ذَهْنِ السَّامِعِ، وَتَقْدِيمِهَا تَقْدِيمًا جَمِيلًا، وَفِي بِنَاءِ الصُّورَةِ بِنَاءً قَوِيًّا مُبْدِعًا جَمِيلًا قَرِيبًا مِنَ الْوَاقِعِ، وَمِنْ تِلْكَ الْأَلْفَاظِ وَالْعِبَارَاتِ: (نَقَطُ النَّاءِ)، وَ(طِرْسُ)، وَعِبَارَةُ (دَوْرُ النُّونِ)، وَ(خَطُّ كَاتِبِ)، يَقُولُ:⁽³⁾

[الطويل]

أَثَافٍ (كَنَقَطِ النَّاءِ) فِي (طِرْسِ) دِمْنَةٍ وَنُؤْيٍ (كَدَوْرِ النُّونِ) مِنْ (خَطِّ كَاتِبِ)
حَيْثُ صَوَّرَ الْأَثَافِي بِنَقَطِ حَرْفِ النَّاءِ الثَّلَاثَةِ، وَصَوَّرَ هَيْئَةَ النُّؤْيِ بِحَرْفِ النُّونِ بِجَامِعِ
الاسْتِدَارَةِ، وَبِذَلِكَ مَكَّنَ الْقَارِئَ مِنْ تَصَوُّرِ هَيْئَةِ النُّؤْيِ وَالْأَثَافِي.

وَمِنْهَا (الْقِرْطَاسُ) وَ(الْقَلَمُ)، حَيْثُ وَرَدَا فِي قَوْلِهِ:⁽⁴⁾

[البيسط]

يَا رَبِّ يَوْمَ حَجَرْنَا فِي مَحَاجِرِنَا مَاءَ الْعُيُونِ وَأَمْطَرْنَا الْخُدُودَ دَمًا
فِي مَوْقِفٍ يَسْتَعِيدُ الْبَيْنُ مِنْهُ بِهِ فَمَا يُقْبَلُ (قِرْطَاسُ) بِهِ (قَلَمًا)
وَمِنْهَا (الْكِتَابُ)، وَ(الْمِدَادُ)⁽⁵⁾، وَ(التَّحْبِيرُ)، وَ(الطَّرْسُ)، وَ(أَبْرِي) مِنْ بَرَايَةِ الْقَلَمِ، أَيْ
إِزَالَةَ طَرَفِهِ، وَتَحْتَهُ بِطَرِيقَةٍ مَخْصُوصَةٍ حَتَّى يُكْتَبَ بِهِ، وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْمُصْطَلَحَاتُ فِي قَوْلِهِ:⁽⁶⁾

(1) يُنْظَرُ: الْخَفَاجِي، ابْنُ سَنَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ: سِرَّ الْفَصَاحَةِ، قَدَّمَ لَهُ وَاعْتَنَى بِهِ وَوَضَعَ حَوَاشِيَهُ
إِبْرَاهِيمَ شَمْسِ الدِّينِ، ط1، بِيْرُوت-لَبْنَانُ: كِتَابُ-نَاشِرُونَ، 2010، ص176.

(2) بَكَارُ، يَوْسُفُ حَسِينُ: بِنَاءُ الْقَصِيدَةِ الْعَرَبِيَّةِ، الْقَاهِرَةُ: دَارُ التَّقَاةِ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ، 1979، ص189-190.

(3) الْوَأْوَاءُ: دِيْوَانُهُ، ص17.

(4) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، ص192.

(5) الْمِدَادُ: سَائِلُ يُكْتَبُ بِهِ. مَصْطَفَى، إِبْرَاهِيمُ وَآخَرُونَ: الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ، مَادَةٌ (مَدَد).

(6) الْوَأْوَاءُ: دِيْوَانُهُ، ص210.

[البسيط]

هَذَا (كِتَابِي) إِلَيْكُمْ فِيهِ مَعذِرَتِي
أَجَلَلْتُ ذِكْرَكُمْ عَنْ أَنْ يُدْنِسَهُ
وَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى جَفْنِي لِأَجْعَلَهُ
لَكَانَ ذَلِكَ قَلِيلًا فِي مَحَبَّتِكُمْ
يُنْبِيكُمُ الْيَوْمَ عَنْ شَوْقِي وَعَنْ سَقَمِي
لَوْنُ (الْمِدَادِ) فَقَدْ (حَبَّرْتُهُ) بِدَمِي
(طُرْسِي) وَ(أَبْرِي) عِظَامِي مَوْضِعَ (الْقَلَمِ)
وَمَا وَجَدْتُ لَهُ، وَاللَّهُ، مِنْ أَلَمٍ
وَيُكْرَرُ الْوَأَوَاءُ شَيْئًا مِمَّا سَبَقَ (الْأَقْلَامِ)، وَ(الطُّرُوسِ)، وَ(كَتَبْتُهَا)، وَيَذَكُرُ -كَذَلِكَ- بَعْضُ
الْمُصْطَلِحَاتِ الْخَاصَّةِ بِتَسْمِيَاتِ بَعْضِ حُرُوفِ الْهَجَاءِ (أَلْفَاتِ) جَمْعُ (أَلْفِ)، وَ(لَامَاتِ) جَمْعُ (لَامِ)،
وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ مُخَاطَبًا أَحَدَ النَّدَاءِ: (1)

[الخفيف]

لَا تُدْغِدِغِ صَدْرَ الْمُدَامِ بِأَيْدِي أَل
فِي رِيَاضِ تَرْيِكِ فِي اللَّيْلِ مِنْهَا
(كَتَبْتُهَا) أَيْدِي السَّحَابِ بِ(أَقْلَامِ)
(أَلْفَاتِ) مُؤَلَّفَاتٍ وَ(لَامَاتِ) وَمِنْهَا (الْقَافِ)، وَ(الْفَاءِ)، فِي قَوْلِهِ فِي وَصْفِ الْمَحْبُوبَةِ: (2)

مَزَجَ مَا دُغِدِغَتْ صُدُورُ الْمَثَانِي
سُرْجًا مِنْ شَقَائِقِ النُّعْمَانِ
(مِ) دُمُوعِ عَلَى (طُرُوسِ) الْمَغَانِي
(تِ) تَكُونَنَّ مِنْ ضَمِيرِ الْمَعَانِي

[الكامل]

وَكَأَنَّ عَقْرَبَ صُدْغِهِ لَمَّا انْتَهَتْ
فَهُنَا اسْتَعْمَلَ حَرْفِي الْقَافِ وَالْفَاءِ لِتَصْوِيرِ هَيْئَةِ تَصْفِيهِ شَعْرِ الْمَحْبُوبَةِ، مِمَّا كَانَ لَهُ دَوْرٌ
فِي تَقْرِيْبِ الصُّورَةِ إِلَى الذَّهْنِ.

وَمِنْهَا (الْوَاوِ)، حَيْثُ وَرَدَتْ فِي قَوْلِهِ: (3)

(1) الواوَاء: ديوانه، ص245.

(2) المصدر السابق، ص4.

(3) المصدر السابق، ص169.

[الخفيف]

كَتَبَتْ فِي نَهَارِ خَدِّ أَنْيَقِ (وَإِو) لَيْلِ مَلِيحَةِ التَّفْرِيقِ
فَقَدْ اضْطَلَعَ حَرْفُ الْوَإِ بِدَوْرٍ مُهِمٍّ فِي بِنَاءِ الصُّورَةِ السَّابِقَةِ، حَيْثُ صَوَّرَ الشَّاعِرُ خَصْلَةَ
الشَّعْرِ الْمُتَدَلِّيَةِ عَلَى خَدِّ الْمَحْبُوبَةِ، بِحَرْفِ الْوَإِ فِي انْتِثَائِهِ وَاسْتِدَارَتِهِ.

وَمِنْهَا -أَيْضاً- حَرْفَا (الرَّاءِ)، وَ(النُّونِ)، وَقَدْ وَرَدَا فِي قَوْلِهِ فِي صِفَةِ الْمَعْشُوقِ: (1)

[الخفيف]

وَلَهُ مِنْ زَبْرَجِدِ الشَّعْرِ (رَاءِ) فَوْقَ تَغْرِيكِ (النُّونِ) فِي التَّفْرِيقِ
يُسْتَخْلَصُ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ الطَّابِعَ الْعَامَّ الَّذِي تَنْتَسِمُ بِهِ لُغَةُ الْوَأَوَاءِ هُوَ طَابِعُ السُّهُولَةِ وَالْبَسَاطَةِ
وَالْوُضُوحِ، مَعَ الْجُنُوحِ إِلَى الشَّعْبِيَّةِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَلْجَأُ فِي مَدَائِحِهِ وَبَعْضِ
غَزَلِيَّاتِهِ التَّقْلِيدِيَّةِ إِلَى تَوْظِيْفِ الْأَلْفَازِ التَّقْلِيدِيَّةِ الْمُعَقَّدَةِ الْوَحْشِيَّةِ وَالْعِبَارَاتِ الْقَدِيمَةِ، مِمَّا يَشِي بِأَنَّهُ
كَانَ يَمِيلُ إِلَى تَحْقِيقِ الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ الْأَفَاطِهِ وَالْأَغْرَاضِ الَّتِي طَرَقَهَا، وَيَلْحَظُ أَنَّهُ وَظَّفَ فِي شِعْرِهِ
كَثِيرًا مِنَ الْأَلْفَازِ الْمُعْرَبَةِ الدَّخِيلَةِ، وَمُصْطَلَحَاتِ عِلْمِ الْكِتَابَةِ وَالتَّدْوِينِ، الْأَمْرُ الَّذِي أَدَّى دَوْرًا مُهِمًّا
فِي تَقْرِيْبِ الْفِكْرَةِ مِنَ السَّامِعِ، وَبِنَاءِ الصُّورَةِ بِنَاءً جَمِيلًا قَرِيبًا مِنَ الْوَاقِعِ.

(1) الواوَاء: ديوانه، ص 159.

المبحث الثالث

ظواهر أسلوبية

أولاً: الطباق والمقابلة

أ- الطباق:

الطباق من أبرز المحسنات البديعية وأكثرها شيوعاً في شعر الوأواء، ويُطلق عليه التطبيق، والمطابقة، والتضاد⁽¹⁾، وهو: الجمع بين الشيء وضده في كلام أو بيت شعر أو حكمة أو خطبة، مثل الجمع بين الليل والنهار، والبياض والسواد، والشجاعة والجبن، والحر والبرد، ويسعد ويشقى...⁽²⁾

ومن الطباق ما لا يختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً، وهو ما يُسمى طباق الإيجاب⁽³⁾، وقد يقع بين اسمين، نحو (طويل وقصير)، أو بين فعلين، مثل (يعزّ ويذل)، أو بين حرفين، نحو (لك وعليك)، وقد يكون بلفظين من نوعين مختلفين⁽⁴⁾، من مثل (ميتاً، فأحييناه) في قوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾⁽⁵⁾. وهناك ما يُسمى طباق السلب، وهو ما اختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً، ويكون بالجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي، نحو (تعلمون، ولا تعلمون)، أو أمر ونهي، نحو (ادرس، ولا تدرس)⁽⁶⁾.

إنَّ الطباق يُضفي على القول رونقاً وبهجة ويقوّي الصلة بين الألفاظ والمعاني، ويجلو الأفكار ويوضحها⁽⁷⁾، وذلك شريطة أن يكون مطبوعاً غير متكلف مصنوع.

(1) يُنظر: عتيق، عبد العزيز: علم البديع، القاهرة: دار الأفاق العربية، 2004، ص59.

(2) يُنظر: العسكري، أبو هلال: الصناعتين، ص339. السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي: مفتاح العلوم، ضبط وتعليق نعيم زرزور، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1983، ص423.

(3) يُنظر: ساسه، صالح: المنجد في الإعراب والقواعد والبلاغة والعروض، دمشق: المطبعة العلمية، (د.ت)، ص358.

(4) يُنظر: الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد: الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2003، ص255-256.

(5) سورة الأنعام، الآية (122).

(6) يُنظر: الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص257.

(7) عتيق، عبد العزيز: علم البديع، ص70.

وَيَلْجَأُ الشَّاعِرُ -أَيُّ شَاعِرٍ- إِلَى تَوْظِيفِ الطَّبَاقِ لِلْكَشْفِ عَنِ حَالَتِهِ النَّفْسِيَّةِ الْمُضْطَّرِبَةِ،
وَلِإِبْرَازِ وَاقِعِهِ الْمَلِيءِ بِالثَّنَائِيَّاتِ وَالْمُتَنَاقِضَاتِ، فَ "أفكار الشخص تختلف تبعاً لحالته الوجدانية.
والصورة تولد مع الفكر وترتبط به، فتعبر عن فكر صاحبها في سعادته وشقائه، في سروره
وَألمه"⁽¹⁾، غَيْرَ أَنَّ هَذَا التَّنَاقُضَ وَالتَّعَاكُسَ الَّذِي نَجِدُهُ لَدَى بَعْضِ الشُّعْرَاءِ فِي مُعْظَمِ الْأَحْيَانِ -
لَيْسَ دَلِيلَ ضَعْفٍ أَوْ رِكَآكَةٍ، وَإِنَّمَا قَدْ يَكُونُ مَظْهَرًا مِنْ مَظَاهِرِ الْعَبَقَرِيَّةِ وَرَوْعَةِ الْفَنِّ وَصَاحِبِهِ⁽²⁾.
وَيَضْطَلِعُ الطَّبَاقُ فِي شِعْرِ الْوَأْوَاءِ بِدَوْرٍ كَبِيرٍ فِي لَفْتِ انْتِبَاهِ السَّامِعِ وَجَذْبِهِ، وَفِي إِبْرَازِ
الْمَعْنَى وَتَوْكِيدِهِ، وَمِنْ الْأَمْتَلَةِ عَلَيْهِ مَا وَرَدَ فِي قَوْلِهِ:⁽³⁾

[البسيط]

وَلَيْسَ مَوْتِي عَجِيبًا بَعْدَ بَيْنِكُمْ وَإِنَّمَا فِي حَيَاتِي بَعْدَكُمْ عَجَبٌ
حَيْثُ (موتي) ضِدُّ (حياتي)، وَقَدْ وَظَّفَ الشَّاعِرُ الطَّبَاقَ هُنَا لِيُذَلِّلَ عَلَى أَثَرِ الْهَجْرَانِ
وَالْبَيْنِ وَالْفِرَاقِ فِي نَفْسِهِ، فَهُوَ يُسَبِّبُ لَهُ الْمَوْتَ وَالْهَلَكَ وَالذَّمَّارَ وَالضَّعْفَ وَالسَّقَمَ.
وَمِنْهَا مُطَابَقَتُهُ بَيْنَ (التَّلَاقِي)، وَ(الفراق)، فِي قَوْلِهِ:⁽⁴⁾

[الخفيف]

حَسَدْنَا أَيَّامَنَا بِالتَّلَاقِي فَرَمَتْنَا تَعَسُّفًا بِالفِرَاقِ
وَدَلَّكَ لِيُبَيِّنَ تَغْيِيرَ أَحْوَالِهِ مَعَ مَحْبُوبَتِهِ إِلَى ضِدِّهَا، وَلِيُذَلِّلَ عَلَى الْوَأْوَاءِ الْمَرِيرِ الَّذِي يَعِيشُهُ
مَعَهَا، فَأَوْقَاتُ الْوِصَالِ لَا تَسْتَمِرُّ طَوِيلًا، وَهِيَ دَائِمًا تَكُونُ مَتَّبُوعَةً بِأَوْقَاتِ فِرَاقٍ وَبَيْنٍ وَهَجْرَانِ.
وَمِنْهَا مُطَابَقَتُهُ بَيْنَ (حلوة)، وَ(مرارات)، فِي قَوْلِهِ:⁽⁵⁾

(1) نافع، عبد الفتاح: الشعر العباسي قضايا وظواهر، ط1، عمان: دار جرير للنشر والتوزيع، 2008، ص204.

(2) المرجع السابق، ص204.

(3) الوأواء: ديوانه، ص34.

(4) المصدر السابق، ص167.

(5) المصدر السابق، ص61.

[البسيط]

دُونَ الْمُنَى فِي الْهَوَى يَأْ نَفْسَ آفَاتُ كَأْسُ الْهَوَى حُلُوهٌ فِيهَا مَرَارَاتُ
وَفِي هَذَا دِلَالَةٌ عَلَى أَنَّ عِلَاقَتَهُ مَعَ الْمَحْبُوبَةِ تَتَرَاوَحُ بَيْنَ حَالَتَيْنِ، هُمَا: الْوِصَالُ مِنْ جِهَةٍ،
وَالْفِرَاقُ وَالْقَطِيعَةُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، وَقَدْ اسْتَعْمَلَ (حُلُوهٌ) فِي حَالَةِ الْإِفْرَادِ، وَجَعَلَ ضِدَّهَا
(مَرَارَاتُ) فِي حَالَةِ الْجَمْعِ، وَذَلِكَ لِيُؤَكِّدَ عَلَى أَنَّ أَوْقَاتَ الْفَرَحِ وَالسَّعَادَةِ وَالسُّرُورِ وَالْوِصَالِ مَعَ
الْمَحْبُوبَةِ قَلِيلَةٌ مَحْدُودَةٌ، وَفِي الْمُقَابِلِ أَوْقَاتُ الْهَجْرِ وَالْفِرَاقِ طَوِيلَةٌ مُمْتَدَّةٌ.

وَطَابِقَ بَيْنَ (طَوِيلٍ)، وَ(قَصِيرٍ) فِي قَوْلِهِ: (1)

[الطويل]

وَلَيْلٍ طَوِيلٍ كَانَ لَمَّا قَرْتُهُ بِرُؤْيَا مَنْ أَهْوَى قَصِيرَ الْجَوَانِبِ
وَفِي هَذَا دِلَالَةٌ عَلَى أَثَرِ زِيَارَةِ الْمَحْبُوبَةِ فِي تَقْصِيرِ لَيْلِهِ الطَّوِيلِ، وَتَقْلِيصِهِ وَجَعَلَ سَاعَاتِهِ
قَلِيلَةً مَحْدُودَةً.

وَمِنْ نَمَازِجِ الطَّبَاقِ -كَذَلِكَ- مَا وَرَدَ فِي قَوْلِهِ فِي إِحْدَى رَوْضِيَّاتِهِ: (2)

[الخفيف]

لَوْ تَصَدَّى نَسِيمُهَا لِمَشِيبٍ عَادَ مِنْهُ إِلَى أَوَانِ الشَّبَابِ
حَيْثُ طَابَقَ بَيْنَ (الْمَشِيبِ)، وَ(الشَّبَابِ)؛ لِيُذَلَّلَ عَلَى أَثَرِ النَّسِيمِ الَّذِي يَهْبُ فِي تِلْكَ الرَّوْضَةِ
عَلَى نَفْسِ الْإِنْسَانِ، فَهُوَ نَسِيمٌ عَلِيلٌ رَطِيبٌ مُنْعَشٌ، يُرِيحُ النَّفْسَ وَيَبْعَثُ فِيهَا النَّشَاطَ وَالْحَيَوِيَّةَ،
فَيُعِيدُ الشَّيْخَ الْمَشِيبَ إِلَى شَبَابِهِ.

وَطَابِقَ بَيْنَ (اسْتَدَّ)، وَ(مُقْتَتَحَا)، فِي قَوْلِهِ: (3)

(1) الوأواء: ديوانه، ص26.

(2) المصدر السابق، ص13.

(3) المصدر السابق، ص70.

[المنسرح]

مَا اسْتَدَّ بَابُ السُّرُورِ عَنْ أَحَدٍ إِلاَّ غَدَا بِالْمُؤَدِّمِ مَفْتَتِحًا
لِيُظْهِرَ أَثَرَ الْخَمْرِ فِي نُفُوسِ شَارِبِيهَا، فَهِيَ مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِهِ - تَزِيلُ الْهُمُومَ وَالْأَحْزَانَ
عَنْ شَارِبِيهَا، وَتَفْتَحُ لَهُ آفَاقَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ وَالسَّعَادَةِ وَالْإِنْشِرَاحِ.

وَيَقُولُ فِي مَدْحِ الشَّرِيفِ الْعَقِيقِيِّ بَعْدَ أَنْ عَدَّدَ صِفَاتِهِ الْحَسَنَةَ وَعَادَاتِهِ الْكَرِيمَةَ: (1)

[الخفيف]

حَسَنَاتٌ لَمْ تَتَّصِلْ بِمَسَاوٍ تَتَّقَضَّى تَقَضَّى الْأَوْطَارِ
فَطَابَقَ بَيْنَ (حَسَنَاتٍ)، وَ(مَسَاوِيٍّ)، وَهُوَ بِذَلِكَ يُقَوِّي الْمَعْنَى وَيَبَيِّنُهَا فِي ذَهْنِ السَّمَاعِ،
وَيُؤَكِّدُ أَنَّ تِلْكَ الصِّفَاتِ الْحَسَنَةَ صِفَاتٌ خَالِصَةٌ لَا تَشُوبُهَا أَيَّةُ شَائِبَةٍ.

وَمِنْ طِبَاقِ السَّلْبِ فِي شِعْرِهِ، مَا وَرَدَ فِي قَوْلِهِ: (2)

[البسيط]

لَا أَرْقَ اللَّهُ عَيْيَ مَنْ يُورِّقُنِي وَلَا مَلَا مِثْلَ قَلْبِي قَلْبَهُ بِرَحَا
فَهُوَ يُطَابِقُ بَيْنَ (لَا أَرْقَ)، وَ(يُورِّقُ)، لِلتَّلْدِيلِ عَلَى وَفَائِهِ لِلْمَحْبُوبَةِ وَخَوْفِهِ عَلَيْهَا، فَهُوَ
يَدْعُو لَهَا بِالْفَرَحِ وَالسَّعَادَةِ وَالرَّاحَةِ وَالطَّمَأْنِينَةِ، عَلَى الرَّغْمِ مِمَّا تَرَكَتُهُ هَذِهِ الْمَحْبُوبَةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ
حُزْنٍ وَأَلَمٍ وَكَمَدٍ وَنَصَبٍ وَأَرْقٍ.

وَلِيُؤَكِّدَ مَرَّةً أُخْرَى - عَلَى وَفَائِهِ وَإِخْلَاصِهِ لِلْمَحْبُوبَةِ، فَإِنَّهُ يُطَابِقُ بَيْنَ (خَانَ، وَلَا
يَخُونُ)، فَهُوَ مُلتَزِمٌ بِعَهْدِهِ وَبِحُبِّهِ لَهَا، حَتَّى إِذَا مَا نَقَضَتْ هَذَا الْعَهْدَ، وَتَخَلَّتْ عَنْ هَذَا الْحُبِّ،
يَقُولُ: (3)

(1) الواواء: ديوانه، ص 97.

(2) المصدر السابق، ص 69.

(3) المصدر السابق، ص 227.

[مجزوء الرمل]

يَا حَبِيبًا خَانَ عَهْدِي أَنَا مَمَّنْ لَا يَخُونُ
وَتَحَدَّثَ الْوَأُوَاءُ عَنِ انْتِهَاءِ حَالَةِ الْهَجْرَانِ وَالْبَيْنِ وَالْقَطِيعَةِ الَّتِي كَانَ يَلْقَاهَا مِنَ الْمَحْبُوبَةِ،
وَأَبْتَدَاءِ زَمَنِ الْوِصَالِ، وَذَلِكَ بِزِيَارَتِهَا لَهُ، وَلِيُؤَكِّدَ ذَلِكَ طَابِقَ بَيْنَ (زار)، وَ(غَيْرَ زَوَّارٍ)، فِي
قَوْلِهِ: (1)

[السريع]

زَارَ الْمُنَى وَالسُّؤْلُ إِذْ زَارِنِي وَكَانَ قِدْمًا غَيْرَ زَوَّارٍ
وَيُوظَّفُ الطَّبَاقَ فِي قَوْلِهِ: (2)

[مجزوء السريع]

مَنْ سَرَّهُ الْعِيدُ فَلَا سَرَّنِي بَلْ زَادَ فِي شَوْقِي وَأَحْزَانِي
لَأَنَّهُ ذَكَرَنِي مَا مَضَى مِنْ عَهْدِ أَحِبَّائِي وَإِخْوَانِي
حَيْثُ يُطَابِقُ بَيْنَ (سرّه، ولا سرّني)؛ لِيُذَلَّلَ عَلَى حَالَةِ الْحُزْنِ وَالْأَلَمِ وَالْمُكَابَدَةِ الَّتِي كَانَ
يَعِيشُهَا خِلَالَ أَيَّامِ الْعِيدِ، بَعِيدًا عَنِ أَحِبَّائِهِ وَخِلَانِهِ وَأَصْدِقَائِهِ.

ب- الْمُقَابَلَةُ:

إِنَّ الْمُقَابَلَةَ شَبِيهَةٌ بِالطَّبَاقِ، غَيْرَ أَنَّهُ يَنْمُ فِيهَا الْجَمْعُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ مُتَوَافِقَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، وَبَيْنَ
ضِدِّيهِمَا، فَإِذَا مَا شَرَطْتَ شَرْطًا شَرَطْتَ هُنَاكَ ضِدَّهُ (3)، وَقَدْ تَكُونُ الْمُقَابَلَةُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ وَضِدِّيهِمَا،
أَوْ بَيْنَ ثَلَاثَةٍ وَمَا يُقَابَلُهَا، وَقَدْ تَكُونُ مُقَابَلَةً أَرْبَعَةً بِأَرْبَعَةٍ، أَوْ خَمْسَةً بِخَمْسَةٍ، وَقَدْ تَصِلُ إِلَى مُقَابَلَةٍ
سِتَّةً بِسِتَّةٍ (4).

(1) الوأواء: ديوانه، ص 116.

(2) المصدر السابق، ص 277.

(3) يُنظر: السكّائي: مفتاح العلوم، ص 424. الصرصري، الطوفي سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم البغدادي:

الأكسير في علم التفسير، تح: عبد القادر حسين، المطبعة النموذجية، 1977، ص 259.

(4) يُنظر: عتيق، عبد العزيز: علم البديع، ص 67-69.

إنَّ "صحة المقابلات تتمثل في توخي المتكلم بين الكلام على ما ينبغي، فإذا أتى بأشياء في صدر كلامه أتى بأضدادها في عجزه على الترتيب، بحيث يقابل الأول بالأول، والثاني بالثاني، لا يخرم من ذلك شيئاً في المخالف والموافق ومتى أخل بالترتيب كانت المقابلة فاسدة"⁽¹⁾.

وَمِنْ مُقَابَلَاتِ الْوَأْوَاءِ، مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ فِي رَحِيلِ الْمَحْبُوبَةِ:⁽²⁾

[البسيط]

مَا سَوَدَّ الْحُزْنَ مُبْيَضَّ السُّرُورِ بِهَا إِلَّا وَأَيَّامُ عُمْرِي بَعْدَهَا سُودٌ
حَيْثُ لَوَّنَ الْحُزْنَ بِالْأَسْوَدِ، وَالسُّرُورَ بِالْأَبْيَضِ، وَقَابَلَ بَيْنَهُمَا؛ لِيُشِيرَ إِلَى انْقِلَابِ حَيَاتِهِ
رَأْسًا عَلَى عَقَبٍ نَتِيجَةَ فِرَاقِ الْمَحْبُوبَةِ وَصُدُودِهَا، حَيْثُ امْتَلَأَتْ بِالْحُزَنِ وَالْأَلَمِ وَالْأَسَى، بَعْدَ أَنْ
كَانَتْ مَلِيئَةً بِالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ وَالْإِشْرَاقِ.

وَفِي قَوْلِهِ:⁽³⁾

[الطويل]

أَحِبُّ بِأَنْ أَحْيَا بِوَصْلِكَ سَاعَةً وَلَوْ كَانَ فِيهَا مَيِّتَةٌ بِجَفَاكَ
يُقَابِلُ بَيْنَ حَالَتَيْنِ، الْأُولَى: وَصَالُ الْمَحْبُوبَةِ، وَمَا يَنْتُجُ عَنْهُ مِنْ فَرَحٍ وَسَعَادَةٍ وَبَهْجَةٍ (أحيا بوصلك)، أَمَّا الثَّانِيَّةُ، فَهِيَ جَفَاؤُهَا وَإِعْرَاضُهَا وَبَيْنُهَا، وَمَا يَنْتُجُ عَنْهُ مِنْ حُزْنٍ وَكَمَدٍ وَضَعْفٍ
وَهَزَالٍ (ميتة بجفاك)، فَعِنْدَهُ أَنَّ الْحَيَاةَ تَقْتَرِنُ بِالْوِصَالِ، وَالْمَوْتَ يَقْتَرِنُ بِالْجَفَاءِ.

وَفِي قَوْلِهِ فِي الْمَحْبُوبَةِ:⁽⁴⁾

(1) عتيق، عبد العزيز: علم البديع، ص 66-67.

(2) الواوَاء: ديوانه، ص 71.

(3) المصدر السابق، ص 171.

(4) المصدر السابق، ص 228.

[الوافر]

وَصَالِكُ جَنَّتِي وَجَفَاكَ نَارِي وَوَجْهُكَ قِبَلَّتِي وَهَوَاكَ دِينِي
مُقَابَلَةٌ بَيْنَ (وَصَالِكُ جَنَّتِي)، وَ(جَفَاكَ نَارِي)، وَفِيهَا دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى أَثَرِ وَصَالِ
الْمَحْبُوبَةِ وَهَجْرَانِهَا فِي نَفْسِهِ.

وَمِنْهَا -كَذَلِكَ- مُقَابَلَةٌ بَيْنَ (أَحْلَى رِضَاكَ)، وَ(أَمْرٌ سَخَطُكَ)، فِي قَوْلِهِ: (1)

[البيسط]

لِلَّهِ لِي مَا أَحْلَى رِضَاكَ وَمَا
فَسَعَادَتُهُ وَحَلَاوَةُ حَيَاتِهِ مُقْتَرِنَتَانِ بَرِضَى الْمَحْبُوبَةِ وَوَصَالِهَا وَلِقَائِهَا، وَكَابَتْهُ وَمَرَارَةٌ
عَيْشِهِ مُقْتَرِنَتَانِ بِسُخْطِهَا وَهَجْرَانِهَا.
وَفِي قَوْلِهِ: (2)

[الطويل]

فَتَى أَلْبَسَ الْأَيَّامَ ثُوبَ شَبِيبَةٍ وَكَانَتْ قَدِيمًا فِي جَلَابِيبِ شَائِبِ
يُقَابِلُ بَيْنَ حَالَةِ الْعِزَّةِ وَالْمَجْدِ وَالشَّرَفِ وَالْكَرَامَةِ الَّتِي أَصْبَحَ النَّاسُ يَعِيشُونَهَا تَحْتَ حُكْمِ
مَمْدُوحِهِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ، وَيُسْتَشْفَى ذَلِكَ مِنْ (ثُوبِ شَبِيبَةٍ)، وَبَيْنَ حَالَةِ الذُّلِّ وَالْهَوَانِ الَّتِي كَانُوا
يَعِيشُونَهَا قَبْلَ حُكْمِهِ لَهُمْ، وَيُسْتَشْفَى ذَلِكَ مِنْ (جَلَابِيبِ شَائِبِ)، وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى تَمَيُّزِ الْمَمْدُوحِ
وَالْإِعْجَابِ بِهِ، وَعَلَى أَنَّهُ مُخْلِصٌ يَسْهَرُ عَلَى خِدْمَةِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَعَلَى مَا فِيهِ خَيْرٌ لَهَا.

يُلاحِظُ مِمَّا سَبَقَ كَثْرَةَ الطَّبَاقِ وَالْمُقَابَلَةِ فِي شِعْرِ الْوَأْوَاءِ، لَا سِيَّمَا فِي غَزَلِيَّاتِهِ، فَهَمَّا
يَدُورَانِ فِي مُعْظَمِ الْأَحْيَانِ - حَوْلَ قَضِيَّةِ الْوِصَالِ وَالْهَجْرَانِ، وَالتَّلَاقِ وَالْفِرَاقِ، فَهُوَ يُحَاوِلُ
الْوِصَالَ، وَمَحْبُوبَتُهُ تَهْجُرُهُ وَتَبْتَعِدُ عَنْهُ، وَهُوَ يَقْتَرِبُ مِنْهَا غَيْرَ أَنَّهَا تَبْتَعِدُ، وَهُوَ يُحَافِظُ عَلَى الْعَهْدِ

(1) الوأواء: ديوانه، ص255.

(2) المصدر السابق، ص21.

مَعَهَا، وَهِيَ تَحُون ...، إِنَّ هَذِهِ الْمُتَضَادَّاتِ تَكْشِفُ شَيْئاً عَنِ الْوَاقِعِ الَّذِي عَاشَهُ الْوَأَوَاءُ، فَهُوَ وَاقِعٌ مَلِيءٌ بِالْمُتَنَاقِضَاتِ وَالْمُتَضَادَّاتِ، مِمَّا جَعَلَهُ يَنْظُمُ شِعْراً يَغْصُ بِالْمُتَطَابِقَاتِ وَالْمُتَعَاكِسَاتِ بِحَيْثُ يَنْتَاسِبُ مَعَ ذَلِكَ الْوَاقِعِ.

ثَانِيًا: التَّنَاصُ:

إِنَّ التَّنَاصَ مُصْطَلَحٌ نَقْدِيٌّ حَدِيثٌ وَافِدٌ مِنَ الْغَرْبِ، فَهُنَاكَ إِجْمَاعٌ بَيْنَ النُّقَادِ عَلَى أَنَّ الْبُلْغَارِيَّةَ (جوليا كريستيفا) هِيَ أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ هَذَا الْمُصْطَلَحَ عَامَ 1966م، مُعْتَمِدَةً فِي ذَلِكَ عَلَى مَفْهُومِ الْحَوَارِيَّةِ عِنْدَ (باختين) الرُّوسِيِّ وَمُنْطَلَقَةً مِنْهُ⁽¹⁾.

وَيَقُومُ التَّنَاصُ عَلَى التَّفَاعُلِ وَالتَّشَارُكِ بَيْنَ النُّصُوصِ الْمُتَعَدِّدَةِ، وَبِنَاءٍ عَلَيْهِ فَقَدْ عَرَّفَهُ مُحَمَّدٌ مِفْتَاحٌ بِأَنَّهُ "تَعَالُقُ نِصُوصٍ مَعَ نِصٍّ، حَدَّثَ بِكَيْفِيَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ"⁽²⁾، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَإِنَّهُ يَسْتَوْجِبُ الْحِفْظَ وَالْمَعْرِفَةَ بِالنُّصُوصِ السَّابِقَةِ وَالْإِطْلَاعَ عَلَيْهَا "لأنَّ النِّصَّ يَعْتَمِدُ عَلَى تَحْوِيلِ النُّصُوصِ السَّابِقَةِ وَتَمَثِيلِهَا بِنِصِّ مَوْحِدٍ يَجْمَعُ بَيْنَ الْحَاضِرِ وَالْغَائِبِ وَيَنْسِجُ بِطَرِيقَةٍ تَنْتَاسِبُ وَكُلِّ قَارِئٍ مُبْدِعٍ"⁽³⁾.

وَفِي هَذَا الْمَجَالِ، وَاعْتِمَادًا عَلَى مَا سَبَقَ يَرَى مُحَمَّدٌ عَبْدَ الْمَطْلَبِ أَنَّ الْإِنْتِاجِيَّةَ الشُّعْرِيَّةَ تُمَثِّلُ عَمَلِيَّةَ اسْتِعَادَةِ لِلنُّصُوصِ الْقَدِيمَةِ، فِي شَكْلِ خَفِيِّ أَحْيَانًا وَجَلِيٍّ أَحْيَانًا أُخْرَى، بَلْ إِنَّ قِطَاعًا كَبِيرًا مِنْ هَذَا النَّتَاجِ الشُّعْرِيِّ، يُعَدُّ تَحْوِيلًا لِمَا سَبَقَ، ذَلِكَ أَنَّ الْمُبْدِعَ أَسَاسًا لَا يَتِمُّ لَهُ النُّضْجُ الْحَقِيقِيُّ إِلَّا بِاسْتِيعَابِ الْجُهْدِ السَّابِقِ عَلَيْهِ فِي مَجَالَاتِ الْإِبْدَاعِ الْمُخْتَلِفَةِ⁽⁴⁾.

(1) يُنْظَرُ: الْمُنَاصِرَةُ، عَزَّ الدِّينُ: عِلْمُ التَّنَاصِ الْمُقَارَنِ (نَحْوُ مِنْهَجِ عَنُكْبُوتِي تَفَاعُلِي)، ط1، عَمَّانُ: دَارُ مَجْدَلَاوِي لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ، 2006، ص138.

(2) مِفْتَاحُ، مُحَمَّدٌ: تَحْلِيلُ الْخُطَابِ الشُّعْرِيِّ (اسْتِرَاطِيَّةُ التَّنَاصِ)، ط3، الدَّارُ الْبَيْضَاءُ: الْمَرْكَزُ الثَّقَافِيُّ الْعَرَبِيِّ، 1992، ص121.

(3) السَّعْدَنِيُّ، مُصْطَفَى: التَّنَاصُ الشُّعْرِيُّ (قِرَاءَةُ أُخْرَى لِقَضِيَّةِ السَّرْقَاتِ)، مَنَشَأَةُ الْمَعَارِفِ الْمِصْرِيَّةِ: مِصْرُ، 1991، ص8.

(4) يُنْظَرُ: عَبْدُ الْمَطْلَبِ، مُحَمَّدٌ: قَضَايَا الْحَدَاثَةِ عِنْدَ عَبْدِ الْقَاهِرِ الْجَرْجَانِيِّ، ط1، الشَّرْكَةُ الْمِصْرِيَّةُ الْعَالَمِيَّةُ لِلنَّشْرِ (لُونْجَمَانُ): مِصْرُ، 1995، ص141-142.

والتَّناصُّ في شعرِ الوأواءِ صِنْفانِ، صِنْفٌ يَتَنَاصُّ مَعَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَهُوَ مَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ التَّناصُّ الدِّينِيّ، وَآخَرُ يَتَنَاصُّ مَعَ أَشْعَارِ الشُّعْرَاءِ السَّابِقِينَ، وَهُوَ مَا يُعْرَفُ بِالتَّناصُّ الأَدْبِيّ، وَفِيمَا يَأْتِي بَيَانٌ لِكِلَا هَذَيْنِ الصَّنِفَيْنِ، وَشَوَاهِدٌ عَلَيْهِمَا:

أَوَّلًا: التَّناصُّ الدِّينِيّ:

يُلاحَظُ عَلَى الوأواءِ أَنَّهُ مُتَأَثِّرٌ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي بَعْضِ أَشْعَارِهِ، فَقَدْ وَظَّفَ بَعْضَ النُّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ وَاسْتَوْحَاها فِي شِعْرِهِ، وَهَذَا التَّوْظِيفُ مُتَنَوِّعٌ، فَمِنْهُ اللَّفْظِيّ، وَمِنْهُ المَعْنَوِيّ، وَمِنْهُ مَا يَتَعَلَّقُ بِشَخْصِيَّاتٍ دِينِيَّةٍ تَارِيخِيَّةٍ وَاسْتِحْضَارِها فِي النِّصِّ الشُّعْرِيّ، أَمَّا مَوْضُوعَاتُ تَنَاصُّه الدِّينِيّ، فَتَقْتَصِرُ عَلَى غَرَضِ الغَزْلِ وَمَا فِيهِ مِنْ وَصْفٍ لِلْمَحْبُوبَةِ وَحُسْنِها وَجَمَالِها، وَبَيَانٍ لِلْمَعَانَاةِ النَّاجِمَةِ عَنِ صُدُودِها وَإِعْرَاضِها.

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ قِلَّةِ تَأَثُّرِ الوأواءِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَاسْتِحْضَائِهِ لِنُصُوصِهِ، فَإِنَّ هَذَا التَّأَثُّرَ يُثِيرُ فِي النَّفْسِ نَسْأُولًا مُهِمًّا، فَقَدْ يَقُولُ أَحَدُهُمْ: أَلَمْ يَكُنِ الوأواءُ شَاعِرًا مَاجِنًا لاهِيًا خَلِيعًا عَابِثًا جَارِيًا وَرَاءَ الْقِيَانِ وَالْجَوَارِي وَالْخُمُورِ وَمَجَالِسِ العَبَثِ وَالتَّهْتِكِ؟ فَكَيْفَ يُعْثَرُ فِي شِعْرِهِ عَلَى مِثْلِ تِلْكَ الإِشَارَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ؟ يُقالُ فِي تَوْضِيحِ هَذِهِ المَسْأَلَةِ: إِنَّ وُجُودَ مِثْلِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ فِي شِعْرِهِ لا يَعْنِي أَنَّهُ كانَ مُتَدِينًا وَرِعًا تَقِيًّا، وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كانَ مُتَّقَفًا تَقافَةً دِينِيَّةً عَالِيَةً، اِكْتَسَبَها وَحَصَلَ عَلَيْها -كغَيْرِهِ مِنْ شُعْرَاءِ عَصْرِهِ- فِي مَرَحَلَةِ الدَّرْسِ وَالتَّحْصِيلِ، وَهَذِهِ قَضِيَّةٌ أَشارَ إِلَيْها عَزَّ الدِّينِ إِسْماعِيلُ فِي قَوْلِهِ: إِنَّ شُيُوعَ قَدَرِ كَبِيرٍ مِنَ المَعْجَمِ الْقُرْآنِيِّ فِي أَشْعَارِ العَبَّاسِيِّينَ، لا يَدُلُّ "بِحالٍ مِنَ الأَحْوالِ عَلَى نَزْعَةِ إِلى التَّدِينِ لَدَى شُعْرَاءِ ذَلِكَ العَصْرِ؛ لِأَنَّ الظَّاهِرَةَ مُشْتَرَكَةً لَدَى شُعْرَاءِ مِثْلِ أَبِي العَتاهِيَّةِ مِنْ جِهَةٍ، وَأَبِي نِوَّاسٍ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى. وَالأَمْرُ فِي تَصَوُّرِنا لا يَعْدُو أَنَّ يَكُونُ دَلِيلًا عَلَى جَانِبٍ مِنَ جِوانِبِ تَقافَةِ الشُّعْرَاءِ فِي ذَلِكَ العَصْرِ. وَقَدْ كانَ حَفْظُ الْقُرْآنِ لَدَى الأَكْثَرِيَّةِ مِنْهُمُ أَوَّلَ مَرَحَلَةٍ مِنَ مَراحِلِ التَّحْصِيلِ"⁽¹⁾.

(1) إِسْماعِيلُ، عَزَّ الدِّينِ: فِي الأَدْبِ العَبَّاسِيِّ الرُّويَّةِ وَالفنِّ، ص 432.

وَمِنَ الْأَمْثَلَةِ عَلَى تَأْتُرِ الْوَأْوَاءِ بِالْأَفَاطِظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، مَا وَرَدَ فِي قَوْلِهِ: (1)

[المتقارب]

تَكَبَّرَ لَمَّا رَأَى نَفْسَهُ عَلَى هَيْئَةِ الشَّمْسِ إِذْ صُوِّرَتْ
سَيِّدُمْ أَلْفًا عَلَى فِعْلِهِ إِذَا الشَّمْسُ فِي خَدِّهِ كُوِّرَتْ

فَالْمَحْبُوبَةُ الظَّالِمَةُ لِلشَّاعِرِ بِصُدُودِهَا وَإِعْرَاضِهَا وَتَكَبَّرَهَا عَلَيْهِ إِعْجَابًا بِجَمَالِهَا وَحُسْنِهَا، سَوْفَ تَنْدَمُ عَلَى فِعْلِهَا هَذَا إِذَا مَا زَالَ جَمَالُهَا لِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ، وَهَذَا النَّدَمُ كَبِيرٌ عَظِيمٌ يَنْشَابُهُ مَعَ نَدَمِ الْكُفَّارِ الظَّالِمِينَ الْجَاحِدِينَ بِنِعْمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَعْمَالِهِمُ الذَّنْبِيَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ تَكْوِيرِ الشَّمْسِ وَزَوَالِهَا. وَقَدْ كَانَ التَّنَاصُ هُنَا مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (2).

وَفِي قَوْلِهِ: (3)

[الوافر]

أَمُوتُ مِنَ الصَّبَابَةِ ثُمَّ أَحْيَا كَذَلِكَ الْحُبُّ أَضْحَكُنِي وَأَبْكِي

فَالْحُبُّ تَارَةً يُضْحِكُ الشَّاعِرَ وَيُدْخِلُ الْفَرَحَ وَالسُّرُورَ إِلَى قَلْبِهِ، وَذَلِكَ عِنْدَ وِصَالِ الْمَحْبُوبَةِ، وَتَارَةً أُخْرَى يُبْكِيهِ وَيُدْخِلُ الْحُزْنَ وَالْأَسَى إِلَى نَفْسِهِ، وَذَلِكَ عِنْدَ صُدُودِهَا وَإِعْرَاضِهَا، وَفِي هَذَا الْبَيْتِ يَسْتَلْهِمُ الْوَأْوَاءُ قَوْلَهُ تَعَالَى فِي النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكُ وَأَبْكِي﴾ (4)، فَهُمْ صِنْفَانِ وَعَلَى حَالَتَيْنِ، فَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ فَرِحَ ضَاحِكٌ مَسْرُورٌ بِجَزَائِهِ (الْجَنَّةِ)، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ بَاكٍ حَزِينٌ بِجَزَائِهِ (النَّارِ)، فَوِصَالُ الْمَحْبُوبَةِ جَنَّةُ الْعَاشِقِ، وَهَجْرَانُهَا وَبَيْنُهَا نَارُهُ.

وَفِي قَوْلِهِ: (5)

(1) الوأواء: ديوانه، ص 262.

(2) سورة التكوير، الآية (1).

(3) الوأواء: ديوانه، ص 174.

(4) سورة النجم، الآية (43).

(5) الوأواء: ديوانه، ص 269.

[المتقارب]

وَشَاهَدَتْ مِنْهُ كَثِيبًا مَهِيلًا وَغُصْنَا رَطِيبًا وَيَدْرًا أَنْارًا
حَيْثُ يَصِفُ فِي الشَّطْرِ الْأَوَّلِ عِظَمَ رِدْفِ الْمَحْبُوبَةِ وَضَخَامَتَهُ، فَقَدْ شَبَّهَهُ بِكَوْمَةٍ عَظِيمَةٍ
مِنَ الرَّمْلِ الْمُتَجَمِّعِ، وَلِلتَّوَدُّعِ عَلَى ضَخَامَةِ رِدْفِ الْمَحْبُوبَةِ اسْتَعْدَمَ التَّنَاصُ مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾⁽¹⁾، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ وَصَفَ لِلْجِبَالِ بِالْعِظَمِ وَالضَّخَامَةِ، وَذَلِكَ بِتَشْبِيهِهَا
بِالْكَثِيبِ الْمَهِيلِ.

وَمِنَ تَنَاصُّهِ الْمَعْنَوِيِّ مَعَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ:⁽²⁾

[البيسط]

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي هَائِمٌ قَلِقٌ عَلَيَّ ثَوْبَانِ مِنْ ضُرٍّ وَمِنْ سَقَمٍ
وَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ زَلَلِي وَأَنْتَ أَعْظَمُ مَنْ يُرْجَى مِنَ الْأُمَمِ
فَاغْفِرْ لِعَبْدِكَ يَا مَوْلَايَ زَلَّتْهُ أَوْ لَا فَحُكْمُكَ فِينَا غَيْرُ مُحْتَمٍ
فَفِي الشَّطْرِ الْأَوَّلِ مِنَ الْبَيْتِ الثَّلَاثِ يَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ عِزًّا وَجَلَّ الرَّحْمَةَ وَالْمَغْفِرَةَ عَلَى
الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ وَالزَّلَّاتِ الَّتِي ارْتَكَبَهَا فِي حَيَاتِهِ، وَهُوَ بِهَذَا يَسْتَلْهُمُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا
ذُنُوبَنَا...﴾⁽³⁾، وَفِي الشَّطْرِ الثَّانِي مِنْهُ يُسَلِّمُ بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِرَادَتِهِ وَحُكْمِهِ، فَهُوَ إِنْ شَاءَ غَفَرَ
لِعِبَادِهِ، وَإِنْ شَاءَ لَمْ يَغْفِرْ، وَالشَّاعِرُ بِهَذَا الْمَعْنَى مُنَاطِرٌ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي تَقَرَّرُ بِأَنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ
وَحْدَهُ، فَهُوَ صَاحِبُ الْإِرَادَةِ وَالْمَشِيئَةِ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾⁽⁴⁾.

وَيَشْتَمِلُ شِعْرُ الْوَأْوَاءِ عَلَى بَعْضِ الشَّخْصِيَّاتِ التَّارِيخِيَّةِ الدِّيْنِيَّةِ، وَيَتَّضِحُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ:⁽⁵⁾

(1) سورة المزمل، الآية (14).

(2) الواوَاء: ديوانه، ص206.

(3) سورة آل عمران، الآية (147).

(4) سورة المائدة، الآية (50).

(5) الواوَاء: ديوانه، ص276.

[الطويل]

لَهَا حُكْمٌ (لُقْمَانِ) وَصُورَةٌ (يُوسُفِ) وَنَعْمَةٌ (دَاوُدَ) وَعَفَّةٌ (مَرْيَمَ)
وَلِي سُقْمٌ (أَيُّوبَ) وَغُرْبَةٌ (يُونُسَ) وَأَحْزَانٌ (يَعْقُوبَ) وَوَحْشَةٌ (آدَمَ)

لَقَدْ اسْتَحْضَرَ الْوَأْوَاءُ فِي الْمَقْطُوعَةِ السَّابِقَةِ الْعَدِيدَ مِنَ الشَّخْصِيَّاتِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَوَضَّفَهَا فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ لِبَيَانِ صِفَاتِ الْمَحْبُوبَةِ وَسِمَاتِهَا، وَفِي الْبَيْتِ الثَّانِي لِبَيَانِ الْأَلَمِ وَالْمُعَانَاةِ الَّتِي يَشْعُرُ بِهَا مِنْ صُدُودِ تِلْكَ الْمَحْبُوبَةِ وَهَجْرَانِهَا، وَكُلُّ ذَلِكَ رَغْبَةٌ مِنْهُ فِي تَضَخِيمِ الْفِكْرَةِ وَتَأْكِيدِهَا وَجَعْلِهَا أَكْثَرَ تَأْثِيرًا فِي النُّفُوسِ، وَأَوَّلُ شَخْصِيَّةٍ اسْتَحْضَرَهَا هِيَ شَخْصِيَّةُ النَّبِيِّ (لُقْمَانَ) -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَمَا يَتَّصِفُ بِهِ مِنَ الْحِكْمَةِ، وَهُوَ بِهَذَا يَتِمَّتْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ...﴾⁽¹⁾، وَلِلتَّنَاصُ هُنَا أَهْمِيَّتُهُ، فَهُوَ يُشِيرُ إِلَى اتِّصَافِ الْمَحْبُوبَةِ بِالذِّكَاةِ وَالْحِكْمَةِ.

وَلِلتَّنَادِيلِ عَلَى جَمَالِ الْمَحْبُوبَةِ وَحُسْنِهَا وَسِحْرِهَا، اسْتَحْضَرَ شَخْصِيَّةَ (يُوسُفَ) -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَجَمَالَ صُورَتِهِ وَحُسْنَ هَيْئَتِهِ، وَلَعَلَّهُ فِي ذَلِكَ اسْتِفَادَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى عَنْهُ عَلَى لِسَانِ بَعْضِ النِّسَاءِ فِي قِصَّتِهِ الشَّهِيرَةِ مَعَ (زَلِيخَةَ) زَوْجَةِ فِرْعَوْنَ، حِينَمَا رَاوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿... فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرَنَّهُ وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾⁽²⁾.

وَوَضَّفَ شَخْصِيَّةَ السَّيِّدَةِ (مَرْيَمَ) الْعَذْرَاءِ؛ لِلتَّأْكِيدِ عَلَى عِفَّةِ مَحْبُوبَتِهِ وَطَهَارَتِهَا وَنَقَائِهَا، وَهُوَ بِهَذَا يَتِمَّتْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾⁽³⁾.

وَكَيْ يَدُلَّ عَلَى حَالِ السَّقْمِ وَالضَّنَى وَطُولِ الْمَرَضِ الَّتِي أَصَابَتْهُ وَسَيَّطَرَتْ عَلَيْهِ بِسَبَبِ غِيَابِ الْمَحْبُوبَةِ وَبَيْنِهَا، فَإِنَّهُ اسْتَحْضَرَ شَخْصِيَّةَ (أَيُّوبَ) -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وَمَا عَانَاهُ مِنْ سَقْمِ

(1) سورة لقمان، الآية (12).

(2) سورة يوسف، الآية (31).

(3) سورة آل عمران، الآية (42).

وَمَرَضَ، وَلَعَلَّهُ اسْتَفَادَ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾⁽¹⁾.

وَاسْتَحْضَرَ -كَذَلِكَ- النَّبِيُّ (يُونُسَ) -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَغَرَبَتْهُ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ حِينَمَا ابْتَلَعَهُ، فَقَدْ قَصَّ اللَّهُ تَعَالَى مَا حَدَّثَ آنَذَاكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾⁽²⁾، وَيَعُودُ هَذَا الْاسْتِحْضَارُ هُنَا إِلَى رَغْبَةِ الْوَأْوَاءِ فِي إِظْهَارِ غُرْبَتِهِ بَيْنَ النَّاسِ، وَانْعِزَالِهِ عَنْهُمْ، وَانْطَوَائِهِ عَلَى نَفْسِهِ بِسَبَبِ هَجْرَانِ الْمَحْبُوبَةِ.

وَحَتَّى يَكشِفَ الْوَأْوَاءَ عَنِ الْحُزَنِ الْعَمِيقِ الَّذِي يَمَلَأُ نَفْسَهُ نَتِيجَةَ الْهَجْرَانِ، فَإِنَّهُ يُوظَّفُ شَخْصِيَّةَ (يَعْقُوبَ) -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَحُزْنَهُ عَلَى مَا فَعَلَهُ أَبْنَاؤُهُ بِأَخِيهِمْ يُوسُفَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فِي قِصَّتِهِمُ الشَّهِيرَةِ، وَيَتَّضِحُ ذَلِكَ الْحُزْنَ وَالْأَلَمَ وَالْأَسَى مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى فِيهِ: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ * قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذَكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ * قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽³⁾.

وَلِيُظْهِرَ الْوَحْشَةَ الَّتِي أَصَابَتْهُ، وَالْخَوْفَ الَّذِي مَلَأَ نَفْسَهُ، فَإِنَّهُ اسْتَحْضَرَ شَخْصِيَّةَ (آدَمَ) -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وَمَا أَصَابَهُ مِنْ وَحْشَةٍ وَخَوْفٍ حِينَمَا أُخْرِجَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأُنزِلَ إِلَى الْأَرْضِ، وَلَعَلَّ الشَّاعِرَ اسْتَفَادَ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي (آدَمَ)، وَ(حَوَاءَ): ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَدَلَاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفَقَا يَخِصْفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ * قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا

(1) سورة ص، الآية (41).

(2) سورة الصافات، الآية (139-144).

(3) سورة يوسف، الآية (84-86).

وَتَرَحَّمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ
وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ...﴿(1)

وَعَاوَدَ الْوَأْوَاءُ اسْتِحْضَارَ شَخْصِيَّتِي (أيوب)، و(يعقوب) -عليهما السلام-؛ للتأكيد على
الدلالات السابقة ذاتها، وذلك في قوله: (2)

[الكامل]

يَا مَنْ أَقَامَ قِيَامَتِي بِصُدُودِهِ الْجِسْمُ يَنْحَلُّ وَالْفُؤَادُ يَذُوبُ
أَسْقَمْتَنِي فَلَقِيتُ مِنْ طُولِ الضَّنَا مَا لَا يُقَاسِي بَعْضَهُ (أَيُوبُ)
وَبَكِيتُ مِنْ جَزَعِ عَلَيْكَ بِحُرْقَةٍ أَسْفًا عَلَيْكَ كَمَا بَكَى (يَعْقُوبُ)

ثَانِيًا: التَّنَاصُ الْأَدَبِيُّ:

هُوَ تَدَاخُلُ نُصُوصٍ أَدَبِيَّةٍ مُخْتَارَةٍ قَدِيمَةٍ أَوْ حَدِيثَةٍ مَعَ نَصِّ الْقَصِيدَةِ الْأَصْلِيِّ، بِحَيْثُ تَكُونُ
مُنْسَجِمَةً مَعَهَا، وَدَالَّةً -قَدْرَ الْإِمْكَانِ- عَلَى الْفِكْرَةِ الَّتِي يَطْرَحُهَا الشَّاعِرُ (3).

وَلَقَدْ تَأَثَّرَ الْوَأْوَاءُ بِغَيْرِهِ مِنَ الشُّعْرَاءِ تَأَثُّرًا كَبِيرًا، فَضَمَّنَ شِعْرَهُ قَدْرًا كَبِيرًا مِنَ الْفَاطِمِ
وَمَعَانِيهِمْ وَصُورِهِمْ (4)، وَهَذَا إِنْ دَلَّ عَلَى شَيْءٍ، فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى سِعَةِ تَقَاتِنِهِ وَعِلْمِهِ، وَأَطْلَاعِهِ عَلَى
التُّرَاثِ الشُّعْرِيِّ، وَإِعْجَابِهِ بِهِ، وَاسْتِظْهَارِ كَثِيرٍ مِنْهُ عَنِ ظَهْرِ قَلْبٍ، وَمِنْ الْأَمْثَلَةِ عَلَى ذَلِكَ
تَصْوِيرُهُ لِلَّيْلِ بِأَنَّهُ يُشْبِهُ نَفْسَ الْعَاشِقِ فِي طَوْلِهِ، بَلْ هُوَ أَطْوَلُ مِنْهُ، يَقُولُ: (5)

[الخفيف]

رُبَّ لَيْلٍ أَمَدٌ مِنْ نَفْسِ الْعَا شِقِّ طُؤُلًا قَطَعْتُهُ بِانْتِحَابِ

(1) سورة الأعراف، الآية (20-24).

(2) الوأواء: ديوانه، ص49.

(3) يُنظَرُ: الزرعبي، أحمد: التناص نظرياً وتطبيقياً، ط2، الأردن: مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، 2000، ص50.

(4) للاستزادة والتمثيل على هذه القضية، يُنظَرُ: النكدبي، عارف: الوأواء الدمشقي وديوانه، ص340-341. السدّهان،

سامي: ديوان الوأواء الدمشقي، المقدمة، ص35-36.

(5) الوأواء: ديوانه، ص262.

وَفِي هَذَا الْبَيْتِ تَأَثَّرَ بِالشَّاعِرِ الْعَبَّاسِيِّ ابْنِ الزِّيَّاتِ⁽¹⁾، حَيْثُ إِنَّهُ وَرَدَ فِي شِعْرِ هَذَا الْأَخِيرِ دُونَ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ⁽²⁾، وَلِهَذَا لَا دَاعِيَ إِلَى ذِكْرِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ؛ خَوْفًا مِنَ الْوُقُوعِ فِي التَّكْرَارِ الْمَقْبُوتِ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ عَائِدٌ إِلَى إِعْجَابِ الْوَأْوَاءِ بِهَذَا الْبَيْتِ إِعْجَابًا شَدِيدًا، أَوْ عَائِدٌ إِلَى وَقُوعِ الرُّوَاةِ فِي لَبْسٍ فِيمَا يَخْصُ نَسْبَتَهُ إِلَى الْوَأْوَاءِ أُمَّ إِلَى ابْنِ الزِّيَّاتِ، وَلِذَلِكَ نَسَبُوهُ إِلَى الْإِثْنَيْنِ.

وَلَعَلَّ الْوَأْوَاءَ فِي وَصْفِهِ لِلَّيْلِ بِالطُّوْلِ وَالْإِمْتِدَادِ مُتَأَثِّرٌ بِالْعَدِيدِ مِنَ الشُّعْرَاءِ، وَفِي مُقَدِّمَتِهِمْ امْرُؤُ الْقَيْسِ حَيْثُ يَقُولُ:⁽³⁾

[الطويل]

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِي
وَمِنْهُمْ الْمُتَنَبِّيُّ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:⁽⁴⁾

عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي
وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكَكَلٍ
بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْتَلٍ

[الطويل]

لِيَالِيَّ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُولُ طِوَالٌ وَلَيْلُ الْعَاشِقِينَ طَوِيلُ⁽⁵⁾

وَمِنْهُمْ -كَذَلِكَ- أَبُو فِرَاسِ الْحَمْدَانِيُّ، الَّذِي كَانَ يَرَى أَنَّ اللَّيْلَ يَظْهَرُ طَوِيلًا جِدًّا عِنْدَ صُدُودِ مَنْ يَعِشِقُ وَهَجْرِهِ وَإِعْرَاضِهِ، وَيَظْهَرُ قَصِيرًا جِدًّا إِذَا زَارَهُ وَاتَّصَلَ بِهِ، وَقَدْ كَشَفَ عَن ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ مُنْغَزَلًا:⁽⁶⁾

(1) هو محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة، أبو جعفر، المعروف بابن الزِّيَّاتِ، وزير المعتمد والوائق العبَّاسيين، كان عالماً باللغة والأدب، ومن بُلْغَاءِ الْكُتَّابِ وَالشُّعْرَاءِ، وَكَانَ مِنَ الْعُقَلَاءِ الدَّهَاءِ، وَلَهُ دِيْوَانٌ شِعْرٍ مَطْبُوعٌ. يُنظَرُ: الزركلي، خير الدين: الأعلام، 6/248.

(2) يُنظَرُ: الزيات، محمد بن عبد الملك: ديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات، تح: جميل سعيد، أبو ظبي: المجمع الثقافي، 1990، ص136.

(3) الشنقيطي، أحمد الأمين: شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، تح: محمد عبد القادر الفاضلي، صيدا- لبنان: المكتبة العصرية، 2003، ص33.

(4) البرقوق، عبد الرحمن: شرح ديوان المتنبي، بيروت-لبنان: دار الكتاب العربي، 1979، 3/217.

(5) شُكُولٌ وَأَشْكَالٌ: مُفْرَدُهَا شَكْلٌ، وَهُوَ الشَّبْهُ وَالْمِثْلُ. ابْنُ مَنْظُورٍ: لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (شَكَلٌ).

(6) أَبُو فِرَاسِ الْحَمْدَانِيُّ: دِيْوَانُهُ، جَمْعٌ وَنَشْرٌ وَتَعْلِيقٌ وَفَهْرَسَةٌ سَامِي الدَّهَّانِ، بِيْرُوتَ، 1944، 2/228.

[البسيط]

وَشَادِنٍ مِنْ بَنِي كِسْرَى شُغِفْتُ بِهِ
إِنْ زَارَ قَصْرَ لَيْلَى فِي زِيَارَتِهِ،
وَفِي قَوْلِهِ: (1)

[البسيط]

لَا تَطْمَعَنَّ بِغَيْرِ الْوَعْدِ مِنْ صِلَاتِي
أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا
اسْتَعَارَ الْوَأَاءُ شَطْرَهُ الثَّانِي مِنْ قَوْلِ مَجْنُونٍ لَيْلَى: (2)

[البسيط]

وَزَادَنِي كَلْفًا فِي الْحُبِّ أَنْ مُنِعْتَ
أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا
وَتَأَثَّرَ فِي قَوْلِهِ: (3)

[الكامل]

وَيَظُلُّ صَبَاغُ الْحَيَاءِ بِخَدِّهِ
أَبْدًا يُعْصَفِرُ مِنْ غَلَائِلِ وَرْدِهِ
بَابِنِ الْمُعْتَرِّ، فَقَدْ ضَمَّنَ فِي بَيْتِهِ السَّابِقِ قَدْرًا كَبِيرًا مِنْ قَوْلِهِ: (4)

[الكامل]

وَيَظُلُّ صَبَاغُ الْحَيَاءِ بِخَدِّهِ،
تَعْبِيًّا، يُعْصَفِرُ تَارَةً وَيُورِدُ
وَفِي قَوْلِهِ: (5)

(1) الوأواء: ديوانه، ص 140.

(2) مجنون ليلي: ديوان مجنون ليلي، جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار مصر للطباعة، (د.ت)، ص 201.

(3) الوأواء: ديوانه، ص 82.

(4) ابن المعتز: ديوانه، ص 167.

(5) الوأواء: ديوانه، ص 189.

[الوافر]

وَمَا أَبْقَى الْهَوَى وَالشَّوْقُ مِنِّي سِوَى رُوحٍ تَرَدَّدُ فِي خِيَالِ
خَفِيتُ عَنِ النَّوَائِبِ أَنْ تَرَانِي كَأَنَّ الرُّوحَ مِنِّي فِي مُحَالِ
استعارَ مِنَ الْمُتَنَبِّي فِكْرَةَ نُحُولِ الْجِسْمِ وَسَقَمِهِ وَضَعْفِهِ وَهَزَالِهِ، وَبَقَاءِ الرُّوحِ خَفِيَّةً غَيْرَ
ظَاهِرَةً لِلنَّاسِ، وَهَذَا مَا هُوَ ظَاهِرٌ فِي قَوْلِهِ: (1)

[البسيط]

رُوحٌ تَرَدَّدُ فِي مِثْلِ الْخِلَالِ إِذَا أَطَارَتِ الرِّيحُ عَنْهُ الثُّوبَ لَمْ يَبْنِ
كَفَى بِجِسْمِي نُحُولًا أَنَّنِي رَجُلٌ لَوْلَا مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرَانِي
وَفِي وَصْفِهِ لِأَطْلَالِ الْمَحْبُوبَةِ يَسْتَحْضِرُ قَوْلَ أَبِي تَمَّامَ لَفْظًا وَمَعْنَى: (2)

[الطويل]

أَمِيدَانِ لَهْوِي مَنْ أَتَاكَ لَكَ الْبَلَى فَأَصْبَحْتَ مِيدَانَ الصَّبَا وَالْجَنَائِبِ!
حَيْثُ يَقُولُ: (3)

[الطويل]

أَمَغْنَى الْهَوَى غَالَتْكَ أَيَدِي النَّوَائِبِ فَأَصْبَحْتَ مَغْنَى لِالصَّبَا وَالْجَنَائِبِ
وَصَوَّرَ الْوَأْوَاءَ الْبَدْرَ بِخُوذَةٍ لَامِعَةٍ مِنَ الْفِضَّةِ، قَدْ وُضِعَتْ فِي هَامَةِ مِنَ الْعَنْبَرِ الْأَسْوَدِ
اللُّونَ، يَقُولُ: (4)

[الكامل]

فَكَأَنَّما هُوَ خُوذَةٌ مِنْ فِضَّةٍ قَدْ رُكِّبَتْ فِي هَامَةٍ مِنْ عَنْبَرٍ

(1) البرقوقى، عبد الرحمن: شرح ديوان المتنبي، 318/4-319.

(2) التبريزي، الخطيب: شرح ديوان أبي تمام، تح: محمد عبده عزام، ط4، مصر: دار المعارف، مج1، ص201.

(3) الوأواء: ديوانه، ص16.

(4) المصدر السابق، ص108.

وَقَدْ تَأَثَّرَ عِنْدَ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ بِصُورَةِ الشَّاعِرِ العَبَّاسِيِّ ابْنِ المَعْتَزِّ الوَارِدَةِ فِي تَصْوِيرِهِ
للْبَدْرِ: (1)

[الكامل]

وَانظُرْ إِلَيْهِ كزورقٍ من فضّةٍ، قد أثقلتُهُ حموْلَةٌ من عَبْرٍ
حيثُ صَوَّرَ البَدْرَ بزورقٍ فضيٍّ لامعٍ مُتَلألئٍ مُحمَلٍ بِمَادَّةِ العَنْبَرِ الأسودِ اللّون، فَالْجَامِعُ
بَيْنَ الصُّورَتَيْنِ هُوَ صُورَةُ شَيْءٍ أبيضٍ لامعٍ يُعْطِي جُزْأً مِنْهُ شَيْءٌ أَسودُ اللّون.
وَفِي وَصْفِهِ لِذُمُوعِهِ، جَعَلَهَا الوَأوَاءَ بَحْرًا وَاسِعًا مُمْتَلئًا بِالماءِ، وَجَعَلَ جَفْنَ عَيْنَيْهِ إِنْسَانًا
حَادِقًا لِلسَّبَّاحَةِ الَّتِي لَوَلاهَا لَمَاتَ غَرِيقًا فِي ذَلِكَ البَحْرِ، يَقُولُ: (2)

[المنسرح]

إِنْسَانُ عَيْنٍ لَوَلا سَبَّاحَتُهُ ماتَ غَرِيقًا بِبَحْرِ دَمْعَتِهِ
وَهُوَ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ مُتَأَثِّرٌ بِابْنِ المَعْتَزِّ فِي قَوْلِهِ: (3)

[الكامل]

وَجفونُ عَيْنِكَ قد نثرنَ مِنَ البِكا فوقَ المَدَامِعِ لُؤلُؤًا وَعَقِيقًا
لو لم يكنْ إِنْسَانُ عَيْنِكَ سَابِحًا فِي بَحْرِ دَمْعَتِهِ، لَمَاتَ غَرِيقًا
وَالوَأوَاءُ يَدْعُو إِلَى الاستِمْتاعِ بِلذَائِدِ الحَيَاةِ، وَارتِكابِ الكَبَائِرِ وَالآثامِ لِأَنَّ مَصِيرَها
الْغُفْرانُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: (4)

[مجزوء الرمل]

نَلُّ مِنَ اللَّذاتِ ما تَبُّ غِيهِ وَاللَّهُ غُفُورٌ

(1) ابن المعتز: ديوانه، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر، 1961، ص 247.

(2) الوأواء: ديوانه، ص 64.

(3) ابن المعتز: ديوانه، ص 333.

(4) الوأواء: ديوانه، ص 109.

وَيَبْدُو أَنَّهُ أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ فِي إِبَاحَتِهِ لِلْخَمْرِ: (1)

[البسيط]

غَادِ الْمَدَامَ، وَإِنْ كَانَتْ مُحَرَّمَةً، فَلِكَبَائِرٍ عِنْدَ اللَّهِ عُقْرَانُ

(1) أبو نواس: ديوانه، شرح وضبط وتقديم: علي فاعور، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1987، ص518.

المبحث الرابع الموسيقى الشعرية

أولاً: الموسيقى الخارجية

أ- الوزن الشعري

يُعدُّ الوزنُ أعظمَ أركانِ حدِّ الشعرِ وأهمِّ عناصرِهِ⁽¹⁾، فهوَ يَضْطَلَعُ بِدَوْرِ أَسَاسِيٍّ فِي التَّمْيِيزِ بَيْنَ الشَّعْرِ وَالنَّثْرِ، وَقَدْ عَرَّفَ الْعَدِيدُ مِنَ الْبَلَاغِيِّينَ الْقُدَامَى الشَّعْرَ بِأَنَّهُ كَلَامٌ مَوْزُونٌ مُقَفَّى دَالٌّ عَلَى مَعْنَى⁽²⁾، وَيُمْكِنُ تَعْرِيفُ الْوِزْنِ الشَّعْرِيِّ بِأَنَّهُ "مَجْمُوعَةُ الْأَنْمَاطِ الْإِيقَاعِيَّةِ لِلْكَلامِ الْمَنْظُومِ الَّتِي تَتَأَلَّفُ مِنْ تَتَابِعٍ مَعَيَّنٍ لِمَقَاطِعِ الْكَلِمَاتِ أَوْ الَّتِي تُشْتَمِلُ عَلَى عِدَدٍ مَا مِنْ تِلْكَ الْمَقَاطِعِ اللَّغْوِيَّةِ، فِي الْعَرَبِيَّةِ يَتَأَلَّفُ مِنَ الْمَقَاطِعِ تَفْعِيَلَاتٍ، وَمِنْ هَذِهِ التَّفْعِيَلَاتِ تُتَكَوَّنُ الْبُحُورُ الشَّعْرِيَّةُ"⁽³⁾، وَالْوِزْنُ نَمَطٌ مِنَ أَنْمَاطِ الْمَوْسِيقَى الدَّاخِلِيَّةِ الَّتِي تُتَوَلَّدُ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكِّنَاتِ فِي النَّصِّ الْأَدْبِيِّ⁽⁴⁾.

وَالْوِزْنُ الشَّعْرِيُّ أَهْمِيَّةٌ كَبِيرَةٌ، فَهُوَ يُثِيرُ انْتِبَاهَ السَّامِعِ وَيَجْذِبُهُ، بِفِعْلِ إِثَارَتِهِ لِنَوْعِهِ لِمَقَاطِعِ خَاصَّةٍ تَنْسَجِمُ مَعَ مَا يُسْمَعُ، فَمِنْ تِلْكَ الْمَقَاطِعِ الْمُكَرَّرَةِ الْمُتتَالِيَّةِ الْمُتجانِسَةِ يَتَأَلَّفُ إِيقَاعُ الْبَيْتِ وَوِزْنُهُ⁽⁵⁾، فَضلاً عَنْ أَنَّهُ "يَزِيدُ الصُّورَ حِدَةً، وَيَعْمِقُ الْمَشَاعِرَ وَيَلْهَبُ الْأَخِيْلَةَ. لَا بَلْ إِنَّهُ يَعْطِي الشَّاعِرَ نَفْسَهُ، خِلَالَ عَمَلِيَّةِ النِّظْمِ نَشْوَةَ تَجْعَلُهُ يَتَدَفَّقُ بِالصُّورِ الْحَارَةِ وَالتَّعَابِيرِ الْمَبْتَكِرَةِ الْمُلْهِمَةِ. إِنَّ الْوِزْنَ هِزَةَ كَالسَّحْرِ تَسْرِي فِي مَقَاطِعِ الْعِبَارَاتِ وَتَكْهَرِبُهَا بِتِيَارِ خَفِيِّ مِنَ الْمَوْسِيقَى الْمُلْهِمَةِ. وَهُوَ لَا يَعْطِي الشَّعْرَ الْإِيقَاعَ حَسَبًا، وَإِنَّمَا يَجْعَلُ كُلَّ نَبْرَةٍ فِيهِ أَعْمَقَ وَأَكْثَرَ إِثَارَةً وَفَتْنَةً"⁽⁶⁾.

(1) يُنظَرُ: الْقَيْرَوَانِي، ابْنُ رَشِيْقٍ: الْعَمْدَةُ فِي مَحَاسِنِ الشَّعْرِ وَآدَابِهِ وَنَقْدِهِ، 1/134.

(2) يُنظَرُ: ابْنُ جَعْفَرٍ، قَدَامَةُ: نَقْدُ الشَّعْرِ، ص 64. الْخَفَاجِي، ابْنُ سَنَانَ: سِرُّ الْفِصَاحَةِ، ص 276.

(3) وَهَبِي، مَجْدِي، وَكَامِلُ الْمَهْنَدِسِ: مَعْجَمُ الْمِصْطَلَحَاتِ الْعَرَبِيَّةِ فِي اللُّغَةِ وَالْأَدْبِ، ط 2، بِيْرُوت: مَكْتَبَةُ لِبْنَانَ، 1984، بَابُ الْوَاوِ، ص 433.

(4) يُنظَرُ: يَعْقُوبُ، إِمِيلُ بَدِيْعٍ: الْمَعْجَمُ الْمَفْصَلُ فِي عِلْمِ الْعُرُوضِ وَالْقَافِيَةِ وَفُنُونِ الشَّعْرِ، ط 1، بِيْرُوت-لِبْنَانَ: دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، 1991، ص 458.

(5) يُنظَرُ: أُنَيْسُ، إِبْرَاهِيْمُ: مَوْسِيقَى الشَّعْرِ، ط 5، مَكْتَبَةُ الْأَنْجَلُو الْمِصْرِيَّةِ، 1978، ص 13.

(6) الْمَلَانِكَةُ، نَازِكُ: قِضَايَا الشَّعْرِ الْمَعَاوِرِ، مَنشُورَاتُ مَكْتَبَةِ النِّهْضَةِ، (د.ت)، ص 194.

وَذَهَبَ حَازِمُ الْقِرطَاجِنِيِّ إِلَى أَنَّ هُنَاكَ تَعَالُقًا كَبِيرًا وَارْتِبَاطًا وَثِيقًا بَيْنَ مَوْضُوعِ الْقَصِيدَةِ وَوَزْنِهَا، فَلَيْسَتْ الْأَوْزَانُ جَمِيعُهَا صَالِحَةً لِكُلِّ الْأَغْرَاضِ وَالْمَوْضُوعَاتِ وَالْمَعَانِي، فَإِذَا مَا أَرَادَ الشَّاعِرُ الْفَخْرَ تَخَيَّرَ الْأَوْزَانَ الْفَخْمَةَ الْبَاهِيَةَ الرَّصِينَةَ، وَإِنْ أَرَادَ الْهَزْلَ وَالْعَبَثَ وَالتَّحْقِيرَ اخْتَارَ مَا يُنَاسِبُهُ مِنَ الْأَوْزَانِ الطَّائِثَةِ الْقَلِيلَةِ الْبِهَاءِ⁽¹⁾، وَقَدْ أَشَارَ إِلَى هَذِهِ الْقَضِيَّةِ ابْنُ طَبَّاطَبَا الْعَلَوِيِّ فِي قَوْلِهِ: "إِذَا أَرَادَ الشَّاعِرُ بِنَاءَ قَصِيدَةٍ مَخْضُ الْمَعْنَى الَّتِي يَرِيدُ بِنَاءَ الشَّعْرِ عَلَيْهِ فِي فِكْرِهِ نَشْرًا، وَأَعَدَ لَهُ مَا يَلْبَسُهُ إِيَّاهُ مِنَ الْأَلْفَافِ الَّتِي تَطَابَقَتْ، وَالْقَوَافِي الَّتِي تَوَافَقَتْ، وَالْوِزْنَ الَّتِي يَسْلُسُ لَهُ الْقَوْلَ عَلَيْهِ"⁽²⁾، وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَبِي هِلَالٍ الْعَسْكَرِيِّ يُوصِي الشُّعْرَاءَ: "إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْمَلَ شِعْرًا فَأَحْضِرِ الْمَعَانِي الَّتِي تَرِيدُ نَظْمَهَا فِكْرًا، وَأَخْطِرْهَا عَلَى قَلْبِكَ، وَاطْلُبْ لَهَا وَزْنَ يَتَأْتِي فِيهِ إِيْرَادُهَا وَقَافِيَةٌ يَحْتَمِلُهَا..."⁽³⁾.

وَقَدْ ذَهَبَ إِبرَاهِيمُ أَنَيْسٌ إِلَى أْبْعَدَ مِنْ ذَلِكَ، حَيْثُ يَرَى أَنَّ هُنَاكَ عِلَاقَةً قَوِيَّةً بَيْنَ عَوَاطِفِ الشَّاعِرِ وَأَحَاسِيْسِهِ، وَبَيْنَ الْأَوْزَانِ الَّتِي يَبْنِي عَلَيْهَا أَشْعَارَهُ، فَلِكُلِّ وَزْنٍ مِنَ الْأَوْزَانِ نَعْمٌ خَاصٌّ يَتَلَاَمُ مَعَ نَوْعٍ مِنَ أَنْوَاعِ الْعَوَاطِفِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْمَشَاعِرِ الْبَشَرِيَّةِ⁽⁴⁾.

وَمَجَالُ الْإِهْتِمَامِ فِي هَذَا الْمَقَامِ هُوَ الْأَوْزَانُ الَّتِي بَنَى عَلَيْهَا الْوَأَاءُ مَجْمُوعَاتِهِ الشُّعْرِيَّةِ، فَبَعْدَ اسْتِعْرَاضِ أَشْعَارِهِ يُلَاحِظُ أَنَّهُ بَنَاهَا عَلَى تِسْعَةِ عَشَرَ وَزْنَ مِنْ أَوْزَانِ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ، مُوزَّعَةً مَا بَيْنَ قَصِيرَةٍ وَطَوِيلَةٍ، وَتَامَّةٍ وَمَجْزُوءَةٍ، وَيُلَاحِظُ أَنَّهُ رَاحَ بَيْنَ الْأَوْزَانِ الطَّوِيلَةِ وَالْقَصِيرَةِ، غَيْرَ أَنَّ الطَّوِيلَةَ غَلَبَتْ عَلَى نَظِيرَتِهَا، حَيْثُ بَلَغَتْ نِسْبَتُهَا (73,6%) مِنْ إِجْمَالِيٍّ مَجْمُوعَاتِهِ الشُّعْرِيَّةِ، وَكَانَ تَوَازِينُهَا -عَلَى التَّرْتِيبِ- عَلَى النَّحْوِ الْآتِي: (18,2%) مِنْهَا عَلَى الْبَحْرِ الْبَسِيطِ، وَ(12,2%) عَلَى الْبَحْرِ الطَّوِيلِ، وَ(11,3%) عَلَى الْخَفِيفِ، وَ(11%) عَلَى الْبَحْرِ الْكَامِلِ، وَ(7,1%) عَلَى الْمُنْسَرِحِ، وَ(6,5%) عَلَى الْمُتْقَارِبِ، وَ(4,4%) عَلَى الْبَحْرِ الْوَافِرِ، وَ(1,7%) عَلَى الرَّجَزِ، وَ(0,59%) عَلَى الْمَدِيدِ.

(1) يُنظَر: الْقِرطَاجِنِيُّ، حَازِمٌ: مِنْهَاجُ الْبَلْغَاءِ وَسِرَاجُ الْأَدْبَاءِ، ص 266.

(2) ابْنُ طَبَّاطَبَا: عِيَارُ الشُّعْرِ، ص 5.

(3) الْعَسْكَرِيُّ، أَبُو هِلَالٍ: الصَّنَاعَتَيْنِ، ص 157.

(4) يُنظَر: أَنَيْسٌ، إِبرَاهِيمٌ: مُوسِيقَى الشُّعْرِ، ص 175-178.

وَقِيمًا يَخُصُّ الْأَوْزَانَ الْقَصِيرَةَ وَالْمَجْزُوءَةَ، فَقَدْ بَلَغَتْ نِسْبَتُهَا (26,34%) مِنْ إِجْمَالِيٍّ مَجْمُوعَاتِهِ الشَّعْرِيَّةِ، وَكَانَ تَوَزِيْعُهَا -عَلَى التَّرْتِيبِ- كَمَا يَأْتِي: (7,18%) عَلَى مَجْزُوءِ الْكَامِلِ، وَ(6,58%) عَلَى الْبَحْرِ السَّرِيْعِ، وَ(3,59%) عَلَى مُخْلَعِ الْبَسِيْطِ، وَ(2,99%) عَلَى مَجْزُوءِ الرَّمْلِ، وَجَاءَ لِكُلِّ مِّنَ الْبَحْرِ الْمُجْتَثِّ وَمَجْزُوءِ الرَّجْزِ، وَمَجْزُوءِ الْوَاوِرِ، وَأَحْذُ الْكَامِلِ مَا نِسْبَتُهُ (1,19%) مِنْ مَجْمُوعَاتِهِ، وَجَاءَ (0,898%) مِنْهَا عَلَى مَجْزُوءِ الْخَفِيْفِ، وَ(0,299%) عَلَى مَجْزُوءِ السَّرِيْعِ.

وَقِيمًا يَتَعَلَّقُ بِالْأَوْزَانِ الَّتِي صَاغَ عَلَيْهَا الْوَأْوَاءُ مَوْضُوعَاتِهِ الشَّعْرِيَّةِ، فَيَتَبَيَّنُ أَنَّهُ فِي غَزَلِيَّاتِهِ رَاوِحَ بَيْنِ الْأَوْزَانِ الطَّوِيلَةِ وَالْقَصِيرَةِ، إِلَّا أَنَّ الْأُولَى كَانَتْ أَكْثَرَ اسْتِخْدَامًا مِنْ قَسِيْمَتِهَا، حَيْثُ بَلَغَتْ نِسْبَةُ غَزَلِيَّاتِهِ الَّتِي صِيغَتْ عَلَى الْأَوْزَانِ الطَّوِيلَةِ (72,5%) مِنْ مَجْمُوعِهَا، وَكَانَ مُعْظَمُهَا عَلَى الْبَحْرِ الْبَسِيْطِ وَالطَّوِيلِ وَالْمُنْتَقَابِ ...، وَلَعَلَّ تَرْكِيْزَهُ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْأَوْزَانِ الطَّوِيلَةِ الْكَثِيْرَةِ الْمَقَاطِعِ يَعُوْدُ إِلَى أَنَّهُ كَانَ يَجْدُ فِيهَا -هُوَ الْعَاشِقُ الْمُتِيْمُ الْمَهْجُورُ الَّذِي يُعَانِي الْبَيْنَ وَالْمَقَاطِعَةَ وَالْإِعْرَاضَ فِي مُعْظَمِ الْأَحْيَانِ- مُتَسَعًا وَمَسَاحَةً كَافِيَةً لِلْبَيْتِ وَالشُّكُورِ، وَلِلتَّنْفِيْسِ عَنِ آلَمِهِ وَأَحْزَانِهِ وَانْفِعَالَاتِهِ وَعَوَاطِفِهِ وَمَشَاعِرِهِ، وَمَجَالًا لِلتَّعْبِيرِ عَنِ آمَالِهِ وَأَحْلَامِهِ فِي الْعُوْدَةِ وَاللِّقَاءِ وَالْوِصَالِ.

وَجَاءَ مَا نِسْبَتُهُ (27,5%) مِنْ غَزَلِيَّاتِهِ عَلَى الْأَوْزَانِ الْقَصِيرَةِ، وَلَعَلَّ عَاطِفَتَهُ الْوَقَّادَةَ، وَتَفْسِيْئَتَهُ الْمُنْفَعَلَةَ دَفَعَتْهُ إِلَى تَوْظِيْفِ هَذِهِ الْأَوْزَانِ، وَهُنَاكَ سَبَبٌ آخَرُ دَفَعَهُ إِلَى تَوْظِيْفِهَا، أَلَا وَهُوَ الطَّرْبُ وَالْغِنَاءُ، فَقَدْ شَاعَتْ مَجَالِسُ اللَّهْوِ وَالْغِنَاءِ وَالْمُوسِيْقَى فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ شُبُوعًا كَبِيْرًا، وَأَصْبَحَ الشَّعْرُ مَادَّةً مَطْلُوبَةً وَبِضَاعَةً رَاجِيَةً فِي هَذِهِ الْمَجَالِسِ، لِذَا أَخَذَ الشُّعْرَاءُ يَنْفِرُونَ مِنْ الْأَوْزَانِ الطَّوِيلَةِ كَثِيْرَةَ الْمَقَاطِعِ، وَيَقْبَلُونَ عَلَى الْأَوْزَانِ الْقَصِيرَةِ الرَّسِيْقَةِ وَيَمِيلُونَ إِلَيْهَا؛ لِأَنَّهَا أَطْوَعُ وَأَكْثَرُ مِلَاطَمَةً لِلْغِنَاءِ وَالنَّحْنِ (1)، وَلَعَلَّ الْوَأْوَاءَ -هُوَ ابْنُ عَصْرِهِ وَزَمَانِهِ، كَثِيْرَ التَّرَدُّدِ عَلَى مِثْلِ تِلْكَ الْمَجَالِسِ- كَانَ يَنْظِمُ الْأَشْعَارَ الْغَزَلِيَّةَ، وَيَدْفَعُهَا إِلَى مُغْنٍ أَوْ جَارِيَةٍ تَصْنَعُ لَهَا

(1) يُنظَر: هُدَّارَةَ، مُحَمَّدُ مِصْطَفَى: اتِّجَاهَاتُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ فِي الْقَرْنِ الثَّانِي الْهَجْرِيِّ، ص 536. أُنَيْسُ، إِبْرَاهِيْمُ: مُوسِيْقَى الشَّعْرِ، ص 106-107.

الأنغام والأوزان، وتلحنها وترددها في تلك المجالس؛ لذا كان يتخير لها الأوزان القصيرة الخفيفة؛ كي تكون أطوع للتلحين والتنغيم، وللاعادة والتكرير.

وفيما يخص مدائحه، فقد بناها جميعها على الأوزان الطويلة كثيرة المقاطع، وهي البحر الطويل، والخفيف، والكامل، والمنسرح، وذلك لأنها تتيح له المجال لوصف الممدوح وتفصيل القول فيه، وتعداد سماته وفضائله، وبيان مظاهر قوته وتميزه، وبطولته وقامته.

ولقد كان معظم شعراء العصر العباسي مثل الواواء، يتوجهون في الغالب - إلى توظيف الأوزان الطويلة في مدائحهم، وقد علل عز الدين إسماعيل هذه الظاهرة بأن شعر المدح شعر خطابي ينشده الشاعر بين يدي الممدوح والناس حضوراً، لذا استخدم الأوزان الطويلة؛ كي يحدث التأثير الأخاذ بالجمهور، ويجدد من أونة إلى أخرى نشاطه إلى الاستماع والمتابعة، فالإلقاء الأول للقصيدة يحدد مقدار قبول السامعين لها أو رفضها، ويحدد - أيضاً - مقدار المنحة التي سوف يكافأ بها عليها⁽¹⁾.

ومما يلاحظ على شعر الواواء، سيطرة الأوزان الطويلة، وكثرة شيوخها في خمرياتة، وروضيّاته وأشعاره الوصفية، وذلك راجع إلى أن هذه الأوزان تتيح له فرصة أكبر ومجالاً أوسع للتعبير عما يجول في نفسه تعبيراً شافياً شاملاً، ولمعالجة القضية المطروحة معالجة كاملة من جميع جوانبها، فضلاً عن أن هذه الموضوعات - في معظمها - لم تنظم بتأثير الغناء الذي يتطلب أوزاناً قصيرة رشيقة قابلة للتلحين والغناء.

وفي خاتمة استعراض أوزان الواواء، تجدر الإشارة إلى أنه كما وظف الأوزان التقليدية الأصيلة كالطويل الذي نظم عليه ما يقرب من ثلث الشعر العربي القديم⁽²⁾، والبسيط، والكامل... فإنه وظف وزناً جديداً محدثاً من نتاج العصر العباسي واختراع المؤلدين، هو مزلج

(1) يُنظر: إسماعيل، عز الدين: في الأدب العباسي الروية والفن، ص 439-441.

(2) يُنظر: أنيس، إبراهيم: موسيقى الشعر، ص 59.

البسيط⁽¹⁾، حيثُ نَظَمَ عَلَيْهِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَقْطُوعَةً وَنُتْفَةً، أَي مَا نَسِبَتْهُ (3,59%) مِنْ إِجْمَالِيٍّ مَجْمُوعَاتِهِ الشُّعْرِيَّةِ، وَمِمَّا جَاءَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ:⁽²⁾

[مُخَلَعٌ البسيط]

يَا غَائِبًا لَمْ يَغِيبْ هَوَاهُ عَنْ قَلْبٍ صَبَّ بِهِ عَمِيدِ
قَد صَارَ يَوْمَ الْفِرَاقِ عِنْدِي أَظْلَمَ مِنْ ظُلْمَةِ الصُّدُودِ

ب: القافية:⁽³⁾

تُعَدُّ الْقَافِيَةُ رُكْنًا مُهِمًّا مِنْ أَرْكَانِ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ، وَدِعَامَةً أَسَاسِيَّةً مِنَ الدَّعَائِمِ الَّتِي يَرْتَكِزُ عَلَيْهَا، فَهِيَ "شْرِيكَةُ الْوِزْنِ فِي الْإِخْتِصَاصِ بِالشُّعْرِ، وَلَا يُسَمَّى شِعْرًا حَتَّى يَكُونَ لَهُ وَزْنٌ وَقَافِيَةٌ"⁽⁴⁾، وَتُعَرَّفُ بِأَنَّهَا "مَجْمُوعُ الْحُرُوفِ الَّتِي يَلْزَمُ تَكَرُّرُهَا بَعَيْنِهَا أَوْ تَكَرُّارُ نَوْعِهَا (حَرَكَتِهَا) فِي أَوَاخِرِ الْأَبْيَاتِ"⁽⁵⁾.

إِنَّ الْقَافِيَةَ عُنْصُرٌ رَئِيسِيٌّ مِنْ عَنَاصِرِ الْمَوْسِيقَى الْخَارِجِيَّةِ لِلشُّعْرِ، فَهِيَ بِمَنْزِلَةِ فَوَاصِلِ إِيقَاعِيَّةٍ تَتَرَدَّدُ وَتَتَكَرَّرُ تَكَرُّارًا مُتَوَاصِلًا فِي نِهَائِيَّاتِ أَبْيَاتِ الْقَصِيدَةِ جَمِيعِهَا، الْأَمْرُ الَّذِي لَهُ دَوْرٌ كَبِيرٌ فِي إِطْرَابِ السَّمْعِ وَجَذْبِ انْتِبَاهِهِ⁽⁶⁾، وَ"الشَّاعِرُ الْعَرَبِيُّ إِنَّمَا عَمِدَ إِلَى الْقَافِيَةِ فَقَرَنَهَا بِالْوِزْنِ لِيُضْفِيَ عَلَيْهِ صَبْغًا نَغْمِيًّا، مَتَى اصْطَبَغَ الْوِزْنَ بِهِ صَارَ أَكْثَرَ تَهْيِؤًا لِأَدَاءِ مَا يَخْتَلِجُ فِي صَدْرِهِ مِنْ مَعَانٍ"⁽⁷⁾.

(1) يُنظَرُ: أَنَيْس، إِيرَاهِيم: مَوْسِيقَى الشُّعْرِ، ص 118.

(2) الْوَأَوَاء: دِيْوَانُهُ، ص 88.

(3) الْقَافِيَةُ عَلَى رَأْيِ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ: هِيَ آخِرُ سَاكِنِينَ فِي الْبَيْتِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَالْمَتَحْرِكُ قَبْلَ أَوَّلِهِمَا، وَعَلَى رَأْيِ الْأَخْفَشِ الْأَوْسَطِ، هِيَ آخِرُ كَلِمَةٍ فِي الْبَيْتِ. يُنظَرُ: وَهْبِي، مَجْدِي، وَكَامِلُ الْمَهْنَدِسِ: مَعْجَمُ الْمِصْطَلَحَاتِ الْعَرَبِيَّةِ فِي اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ، بَابُ الْقَافِ، ص 282.

(4) الْقَيْرَوَانِي، ابْنُ رَشِيْقٍ: الْعَمْدَةُ فِي مَحَاسِنِ الشُّعْرِ وَآدَابِهِ وَنَقْدِهِ، 1/151.

(5) أَبُو عَمِشَةَ، عَادِلٌ: الْعُرُوضُ وَالْقَافِيَةُ، ص 176.

(6) يُنظَرُ: أَنَيْس، إِيرَاهِيم: مَوْسِيقَى الشُّعْرِ، ص 246.

(7) الطَّيْبِ، عَبْدِ اللَّهِ: الْمَرْشَدُ إِلَى فَهْمِ أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَصِنَاعَتِهَا، ط 2، بِيْرُوت-لَبْنَانُ: دَارُ الْفِكْرِ، 1970، 3/825.

وَتَشْتَمِلُ الْقَافِيَةُ عَلَى سِتَّةِ أَحْرَفٍ، هِيَ: الرَّوِّيُّ، وَالْوَصْلُ، وَالْخُرُوجُ، وَالرَّدْفُ،
وَالتَّاسِيسُ، وَالدَّخِيلُ⁽¹⁾، غَيْرَ أَنَّ الْأَسَاسَ الَّذِي تَقُومُ عَلَيْهِ وَتَرْتَكِزُ هُوَ حَرْفُ الرَّوِّيِّ، وَيُمْكِنُ أَنْ
تَقَعَ حُرُوفُ الْعَرَبِيَّةِ جَمِيعُهَا رَوِيًّا، وَيُمْكِنُ تَقْسِيمُهَا اعْتِمَادًا عَلَى نِسْبَةِ شُيُوعِهَا رَوِيًّا فِي الشُّعْرِ
الْعَرَبِيِّ إِلَى أَرْبَعِ مَجْمُوعَاتٍ، عَلَى النُّحُوِّ الْآتِي:

أ- حُرُوفٌ تَجِيءُ رَوِيًّا بِكَثْرَةٍ، وَإِنْ اِخْتَلَفَتْ نِسْبَةُ شُيُوعِهَا فِي أَشْعَارِ الشُّعْرَاءِ، وَهِيَ: الرَّاءُ،
وَاللَّامُ، وَالْمِيمُ، وَالنُّونُ، وَالْبَاءُ، وَالذَّالُ، وَالسِّينُ، وَالْعَيْنُ

ب- حُرُوفٌ مُتَوَسِّطَةٌ الشُّيُوعِ، وَتِلْكَ هِيَ: الْقَافُ، وَالْكَافُ، وَالْهَمْزَةُ، وَالْحَاءُ، وَالْفَاءُ، وَالْيَاءُ،
وَالْجِيمُ

ج- حُرُوفٌ قَلِيلَةٌ الشُّيُوعِ، وَهِيَ: الضَّادُ، وَالطَّاءُ، وَالْهَاءُ، وَالتَّاءُ، وَالصَّادُ، وَالتَّاءُ

د- حُرُوفٌ نَادِرَةٌ فِي مَجِيئِهَا رَوِيًّا، وَهِيَ: الذَّالُ، وَالغَيْنُ، وَالخَاءُ، وَالشَّيْنُ، وَالزَّيُّ، وَالظَّاءُ،
وَالْوَاوُ⁽²⁾.

وَفِي بَحْثِ أَحْرَفِ الرَّوِّيِّ فِي قَوَافِي الشُّعْرِ الْوَأْوَاءِ، يُلَاحِظُ أَنَّهُ اسْتَخْدَمَ جَمِيعَ الْحُرُوفِ
الْعَرَبِيَّةِ -بِاسْتِثْنَاءِ الْخَاءِ، وَالذَّالِ، وَالزَّيِّ، وَالطَّاءِ، وَالظَّاءِ، وَالغَيْنِ- رَوِيًّا، وَذَلِكَ بِنِسْبِ مُتَفَاوِتَةٍ،
فَكَانَ أَكْثَرُهَا الْبَاءُ، وَالرَّاءُ، وَالذَّالُ، وَالنُّونُ، وَالْمِيمُ... وَأَقْلَاهَا الْوَاوُ، وَالشَّيْنُ، وَالتَّاءُ، وَالصَّادُ...
وَمِنْ ذَلِكَ نَسْتَتِجُ أَنَّهُ كَانَ لِلْحُرُوفِ الَّتِي قَرَّرَ الْبَاحِثُونَ أَنَّهَا تَصْلُحُ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا لِأَنَّ تَكُونَ
رَوِيًّا يُؤَسِّسُ الشُّعْرُ عَلَيْهَا قَافِيَتَهُ، كَانَ لَهَا حُضُورٌ كَبِيرٌ كَرَوِيٍّ فِي شَعْرِ الْوَأْوَاءِ، أَمَّا الْحُرُوفُ

(1) الرَّوِّيُّ: هُوَ الْحَرْفُ الَّذِي تُبْنَى عَلَيْهِ الْقَصِيدَةُ، وَيَتَكَرَّرُ فِي قَوَافِي الْأَبْيَاتِ جَمِيعِهَا، وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ الْقَصِيدَةُ، فَيُقَالُ قَصِيدَةٌ
مِيمِيَّةٌ، وَلامِيَّةٌ، وَسِينِيَّةٌ... الْوَصْلُ: هُوَ حَرْفٌ مَدٌّ نَاشِئٌ عَنِ إِشْبَاعِ حَرَكَةِ الرَّوِّيِّ، أَوْ هَاءٌ سَاكِنَةٌ أَوْ مَتَحْرِكَةٌ تَلِي حَرْفَ
الرَّوِّيِّ. الْخُرُوجُ: هُوَ حَرْفٌ لَيْنٌ نَاشِئٌ عَنِ حَرَكَةِ هَاءِ الْوَصْلِ إِذَا كَانَتْ مَتَحْرِكَةً. الرَّدْفُ: هُوَ حَرْفٌ مَدٌّ يَقَعُ قَبْلَ الرَّوِّيِّ
مُبَاشَرَةً، دُونَ فَاصِلٍ بَيْنَهُمَا. التَّاسِيسُ: هُوَ أَلْفٌ يَفْصَلُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الرَّوِّيِّ حَرْفٌ مَتَحْرِكٌ. الدَّخِيلُ: هُوَ الْحَرْفُ الْوَاقِعُ بَيْنَ
التَّاسِيسِ وَالرَّوِّيِّ. يُنْظَرُ: عَبْدِ الْجَوَادِ، إِبْرَاهِيمُ عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ: الْعُرُوضُ بَيْنَ الْأَصَالَةِ وَالْحَدَاثَةِ، ط1، دَارُ الشُّرُوقِ، 2002،
ص177-179.

(2) يُنْظَرُ: أُنَيْسُ، إِبْرَاهِيمُ: مُوسِيقَى الشُّعْرِ، ص248.

التي قرروا أنها لا تصلح لأن تكون رويًا، فإن منها ما لم يستعمله الوأء، ومنها ما استعمله بقلة بالغة، كالنساء والصناد...

وفي إطار الحديث عن حرف الروي، تجدر الإشارة إلى أنه يأتي في الشعر العربي متحركًا وساكنًا، وتبعًا لذلك، فإن القافية تقسم إلى قسمين اثنين، هما:

أولاً: القافية المطلقة: وهي التي يكون فيها حرف الروي متحركًا

ثانياً: القافية المقيدة: وهي التي يكون فيها حرف الروي ساكنًا⁽¹⁾.

والقافية المطلقة أكثر استعمالاً في الشعر العربي من نظيرتها، وذلك عائد إلى أنها أوضح في السمع وأشد أسراً للأذن، لأن الروي فيها يعتمد على حركة بعده قد تستطيل في الإنشاد وتشبه حينئذ حرف مد. ومن المقرر في علم الأصوات أن حروف المد أوضح في السمع من الحروف الأخرى كالعين والفاء مثلاً⁽²⁾.

ولقد سيطرت القوافي المطلقة على شعر الوأء، حيث بلغت نسبة ورودها (94,01%) من إجمالي مجموعاته الشعرية، أمّا القوافي المقيدة، فقد وردت في عشرين مجموعة، أي ما نسبته (5,99%) من إجمالي مجموعاته.

ويلاحظ على الوأء أنه التزم بنظام القافية التقليدية القديمة التي تتكرر في جميع أبيات القصيدة، فلم يفعل مثل كثير من شعراء عصره الذين أخذوا يُنوعون في قوافيهم ويدخلون عليها التجديد، وبهذا فإنه لا يوجد في شعره نماذج على ما يُسمى بالمزدوج، والمشطر، والمسمط...⁽³⁾.

(1) يُنظر: أنيس، إبراهيم: موسيقى الشعر، ص 260.

(2) أنيس، إبراهيم: موسيقى الشعر، ص 281.

(3) المزدوج: أحد الأنماط الشعرية التي تشتمل على تجديد في القوافي، وفيه تتميز القافية مع كل بيت، ويراعي الشاعر أن تكون الأبيات مصرّعة، فقافية الشطر الأول هي قافية الشطر الثاني نفسها، وهكذا دواليك. المشطر: هو نوع من الشعر يُنظر فيه إلى الأشرطة لا إلى الأبيات، ويتخذ فيه الشاعر من كل شطر وحدة مستقلة عن الأخرى. المسمط: هو نمط شعري، يضع الشاعر لأوزانه وقوافيه نظاماً خاصاً يراعيه في كل أقسام المقطوعة، وأبرز ما يتميز به هذا النمط في نظام قوافيه هو أن تتكرر قافيتان أو أكثر، بعد كل عدد معين من الأشرطة. يُنظر: المرجع السابق، ص 300-309.

وَيَبْنِي التَّنْبِيهُ إِلَى أَنَّهُ كَثِيرًا مَا كَانَ يُلْزَمُ نَفْسَهُ بِمَا لَا يُلْزَمُ، وَهُوَ "أَنْ يَجِيءَ قَبْلَ حَرْفِ الرَّوِيِّ وَمَا فِي مَعْنَاهُ مِنَ الْفَاصِلَةِ مَا لَيْسَ بِالْأَلْزَمِ فِي مَذْهَبِ السَّجْعِ"⁽¹⁾، وَتَفْسِيرُ ذَلِكَ "أَنْ يَلْتَزِمَ بِحَرْفِ قَبْلِ حَرْفِ الرَّوِيِّ أَوْ بِأَكْثَرِ مِنْ حَرْفٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَتِهِ مَعَ عَدَمِ التَّكْلِيفِ"⁽²⁾، وَمِنْ الْأَمْثَلَةِ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ:⁽³⁾

[البسيط]

شَقَّتْ قَلْبِي وَسَمَعِي فِي مَوَدَّتِكُمْ لَا خَلَّصَ اللَّهُ قَلْبِي مِنْ مَحَبَّتِكُمْ
وَلَا رُزِقْتُ حَيَاةً بَعْدَ بَيْنِكُمْ إِنَّ لَمْ أَمُتْ نَدَمًا مِنْ بَعْدِ فُرْقَتِكُمْ
هَا قَدْ غَضِبْتُ عَلَى رُوحِي لِأَجْلِكُمْ حَتَّى جَفَوْتُ حَيَاتِي عِنْدَ جَفَوَتِكُمْ
إِذَا تَلَّهَبَ جَمْرُ الشَّوْقِ فِي كَبْدِي أَطْفَاهُ مَاءُ التَّلَاقِي عِنْدَ رُؤْيَتِكُمْ

فَقَدْ التَّرَمَّ فِي الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ، فَضْلًا عَنِ حَرْفِ الرَّوِيِّ (الميم)، بِحَرْفَيْنِ اثْنَيْنِ، هُمَا: الكافُ، والتاءُ.

وَمِنْهَا قَوْلُهُ فِي الْخَمْرِ:⁽⁴⁾

[المنسرح]

عَذَّبْتُهَا بِالْمِزَاجِ فَابْتَسَمَتْ عَنْ بَرْدِ نَابِتٍ عَلَى لَهَبِ
كَأَنَّ أَيْدِي الْمِزَاجِ قَدْ سَكَبَتْ فِي كَأْسِهَا فَضَّةً عَلَى ذَهَبِ

حَيْثُ التَّرَمَّ فِي قَافِيَّتِهَا فَضْلًا عَنِ حَرْفِ الرَّوِيِّ الْبَاءِ الْمَكْسُورَةِ، بِحَرْفِ الْهَاءِ.

وَيُوجَدُ فِي شِعْرِهِ أَحَدُ عِيُوبِ الْقَافِيَةِ أَلَا وَهُوَ الْإِيطَاءُ، وَهُوَ إِعَادَةُ لَفْظِ الْقَافِيَةِ وَتَكَرُّرُهُ مَرَّتَيْنِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ فِي الْقَصِيدَةِ، مَا لَمْ يَكُنْ الْفَاصِلُ بَيْنَ الْقَافِيَةِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ سَبْعَةَ أَبْيَاتٍ مِنْ

(1) الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص300.

(2) عتيق، عبد العزيز: علم البديع، ص181.

(3) الواوَاء: ديوانه، ص66.

(4) المصدر السابق، ص35.

الشعر، فإن كان الفاصل أكثر من ذلك جاز التكرار ولم يعد عيباً⁽¹⁾، ومن الأمثلة على الإيطاء، قوله في البيت الأول من قصيدة في الغزل:⁽²⁾

[الرجز]

وليلة في عدد الشباب
نجومها في صورة الأحباب
وقوله في البيت السابع من القصيدة ذاتها:⁽³⁾

[الرجز]

لا قلت إن الود باكتساب
ما لم يكن طبعاً من الأحباب
فالإيطاء في كلمة (الأحباب)، إذ إنها وردت في نهاية كلا البيتين السابقين، دون تغيير في المعنى.

ثانياً: الموسيقى الداخلية

أ- الجناس

يقوم الجناس على أساس التشابه بين لفظين في الشكل، مع اختلافهما في المعنى والمدلول، فإن اتفقا في نوع الحروف، وعددها، وهيئتها الحاصلة من الحركات والسكنات، وترتيبها كان الجناس تاماً، وإن اختلفا في أحد الأمور الأربعة المتقدمة كان التجانس ناقصاً (غير تام)⁽⁴⁾.

إن الجناس يحدث جرساً موسيقياً جميلاً لافتاً، وإيقاعاً ظاهراً في النص الأدبي، بفعل تكرار كلمات متشابهة، وطرقها أذن السامع أكثر من مرة، مما يؤدي إلى إطرابه، وجذب انتباهه، ودفعه إلى إعمال فكره؛ بحثاً عن معاني تلك المفردات ودلالاتها.

(1) يُنظر: عبد الجواد، إبراهيم: العروض بين الأصالة والحداثة، ص 182.

(2) الواواء: ديوانه، ص 28.

(3) المصدر السابق، ص 29.

(4) يُنظر: الجرجاني، محمد بن علي بن محمد: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تج: عبد القادر حسين، الفجالة-

القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، (د.ت)، ص 289-291.

وَمِمَّا وَرَدَ عَلَى شَكْلِ الْجِنَاسِ التَّامِّ فِي شِعْرِ الْوَأْوَاءِ، قَوْلُهُ: (1)

[الكامل]

إِفْرَارُ دَمْعِي بِ (الهُوَى) مِلْءِ (الهُوَى) فَضَحَ اسْتِتَارِي فِي الْهُوَى وَجُحُودِي
فَالشَّاعِرُ يَتَحَدَّثُ عَنِ الدُّمُوعِ الَّتِي تَحَدَّرَتْ مِنْ عَيْنَيْهِ بِغَزَارَةٍ وَمَلَّتِ الْجَوَّ بِسَبَبِ الحُبِّ
الَّذِي مَلَأَ نَفْسَهُ، وَحَرَّقَ أَحْشَاءَهُ، وَأَذَابَ قَلْبَهُ، وَقَدْ أَوْضَحَ هَذِهِ الصُّورَةَ بِالمُجَانَسَةِ بَيْنَ (الهُوَى)
بِمَعْنَى الحُبِّ وَالْعَشْقِ وَالْهِيَامِ، وَ(الهُوَى) بِمَعْنَى الْجَوِّ وَالْفَضَاءِ، وَيُلاحِظُ أَنَّ المُجَانَسَةَ بَيْنَ هَاتَيْنِ
الكَلِمَتَيْنِ أَدَّتْ دَوْرًا مُهِمًّا فِي إِحْدَاثِ جَرَسٍ مُوسِيقِيٍّ جَذَبَ انْتِبَاهَ السَّمْعِ وَلَفَّتَهُ.

وَمِمَّا سَبَقَ عَلَى الْجِنَاسِ غَيْرِ التَّامِّ، قَوْلُهُ: (2)

[الكامل]

لَيْسَ التَّعْجُبُ مِنْ (بِكَاءِ) نَفَقَدِهِمْ لَكِنْ (بِقَاكِ) مَعَ التَّفَرُّقِ أَعْجَبُ
وَفِي هَذَا النَّبَيْتِ يَصِفُ الشَّاعِرُ أُنْرَ فِرَاقِ المَحْبُوبَةِ وَرَحِيلِهَا فِي نَفْسِ العَاشِقِ، فَيَقُولُ: إِنَّهُ
لَيْسَ مِنَ الغَرِيبِ أَنْ يَبْكِيَ العَاشِقُ عِنْدَ رَحِيلِ مَحْبُوبَتِهِ، وَإِنَّمَا الغَرِيبُ أَنْ يَبْقَى عَلَى قَبْدِ الحَيَاةِ،
وَلِكِي يُبَيِّنُ هَذَا المَعْنَى وَيُؤَكِّدُهُ جَانَسَ بَيْنَ (بِكَاءِ)، وَ(بِقَاكِ)، الأَمْرُ الَّذِي زَادَ مِنْ جَمَالِ الصُّورَةِ
وَتَأَثِيرِهَا.

وَمِنْ مُجَانَسَاتِهِ غَيْرِ التَّامَّةِ مَا وَرَدَ فِي قَوْلِهِ: (3)

[مجزوء الكامل]

إِنِّي لِنَفْعَلُ بِبِي لَوَا
فِعْلُ (الْخَنَاجِرِ) ب (الْحَنَا
حِظُّ مَقْلَةِ الرَّشَاءِ الرَّبِيبِ
جِر) عِنْدَ مُعْتَرِكِ الحُرُوبِ

(1) الواوَاء: ديوانه، ص78.

(2) المصدر السابق، ص44.

(3) المصدر السابق، ص52.

يُصَوِّرُ الشَّاعِرُ هُنَا عَيْنِي الْمَحْبُوبَةِ وَنَظَرَاتِهَا الْحَادَّةَ الَّتِي تُؤَثِّرُ فِيهِ وَتُقَطِّعُ قَلْبَهُ، بِصُورَةِ الْخَنَاجِرِ وَالسُّيُوفِ الَّتِي تُقَطِّعُ رِقَابَ الْأَعْدَاءِ فِي الْحُرُوبِ، وَقَدْ اعْتَمَدَ فِي بَيَانِ هَذِهِ الصُّورَةِ وَتَوْضِيحِهَا عَلَى الْمُجَانَسَةِ بَيْنَ (الخناجر)، و(الحناجر)، جَمْعِ حَنْجَرَةٍ، وَهِيَ أَحَدُ أَعْضَاءِ جِهَازِ النُّطْقِ الْبَشَرِيِّ وَمُكَوِّنَاتِهِ.

وَيُوجَدُ فِي شِعْرِهِ نَوْعٌ آخَرُ مِنَ الْجِنَاسِ غَيْرِ التَّامِّ، وَفِيهِ يَخْتَلَفُ اللَّفْظَانِ الْمُتَجَانِسَانِ فِي عَدَدِ الْحُرُوفِ، وَمِنْ الْأَمْثَلَةِ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فِي أَحَدِ السُّقَاةِ: (1)

[الخفيف]

يَا (بَدْرُ) (بَادِرُ) إِلَيَّ بِالْكَاسِ فَرُبَّ خَيْرٍ أَتَى عَلَى يَاسِ
يَطْلُبُ الشَّاعِرُ مِنَ السَّاقِي الْجَمِيلِ الْبَهِيِّ الَّذِي يُشْبِهُ الْبَدْرَ فِي سِحْرِهِ وَحُسْنِهِ أَنْ يُبَادِرَ
بِتَقْدِيمِ كَأْسِ الشَّرَابِ لَهُ، وَقَدْ جَانَسَ بَيْنَ (بدر)، و(بادر) مِمَّا أَضْفَى عَلَى النَّصِّ جَمَالًا وَإِيقَاعًا
إِضَافِيًّا، وَفِي هَذَا الْمِثَالِ الْمُنْتَقَى وَقَعَ اخْتِلَافٌ آخَرُ بَيْنَ رُكْنِي التَّجَانُسِ، أَلَا وَهُوَ حَرَكَةُ حَرْفِ
(الدَّالِ) فِي كُلِّ مِنْهُمَا، وَهِيَ (السُّكُونُ، وَالْكَسْرَةُ) عَلَى التَّوَالِي، وَهَذَا يَقُودُ إِلَى نَوْعِ ثَالِثٍ مِنَ
الْجِنَاسِ غَيْرِ التَّامِّ فِي شِعْرِهِ، وَهُوَ الَّذِي يَخْتَلَفُ فِيهِ اللَّفْظَانِ الْمُتَجَانِسَانِ فِي الْحَرَكَاتِ وَالسُّكُونَاتِ،
وَيُطْلَقُ عَلَيْهِ الْجِنَاسُ الْمُحَرَّفُ (2)، وَهُوَ أَكْثَرُ أَنْوَاعِ الْجِنَاسِ وَرُودًا فِي شِعْرِهِ، وَمِنْ النَّمَازِجِ الَّتِي
تُسَاقُ أَمْثَلَةٌ عَلَيْهِ، قَوْلُهُ: (3)

[الطويل]

يَطُوفُ بِرَاحِ رِيحِهَا وَمَذَاقِهَا نَسِيمُ (الصَّبَا) وَالْعَيْشُ فِي زَمَنِ (الصَّبَا)
فَقَدْ انْعَقَدَتِ الْمُجَانَسَةُ بَيْنَ لَفْظَةِ (الصَّبَا)، وَتَعْنِي الرِّيحَ الْمَعْرُوفَةَ الَّتِي تَهْبُ مِنْ جِهَةِ
الشَّمَالِ، وَالْفِظَةُ (الصَّبَا)، وَتَعْنِي صِغَرَ عُمُرِ الْإِنْسَانِ، وَحَدَاثَةَ سِنِّهِ، وَبِهَذَا، يَتَبَيَّنُ لَنَا أَنَّ الْاِخْتِلَافَ

(1) الواوَاء: ديوانه، ص 125.

(2) يُنْظَرُ: الجرجاني، محمد بن علي بن محمد: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص 291.

(3) الواوَاء: ديوانه، ص 261.

بَيْنَ رُكْنَيْ النَّجَاسِ السَّابِقَيْنِ يَتَمَثَّلُ فِي حَرَكَةِ الصَّادِ، فَهِيَ فِي الْأُولَى مَفْتُوحَةٌ، وَفِي الثَّانِيَةِ مَكْسُورَةٌ.

وَمِنْهَا -أَيْضًا- قَوْلُهُ فِي مَدْحِ الشَّرِيفِ الْعَقِيقِيِّ: (1)

[البسيط]

صَبُّ إِلَى شُرْبِ مَاءِ الطَّعْنِ فِيهِ فَمَا نَرَاهُ إِلَّا بِصَيْدِ الصَّيْدِ مُتْرَمًا
حَيْثُ يُجَانِسُ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ بَيْنَ (صَيْدٍ) مِنَ الْأَصْطِيَادِ، وَ(الصَّيْدِ)، بِمَعْنَى كُلِّ ذِي
حَوْلٍ وَطَوَّلٍ وَتَكْبُرٍ مِنْ ذَوِي السُّلْطَانِ، وَقَدْ وَظَّفَ الْجِنَاسَ لِتَأْكِيدِ قُوَّةِ مَمْدُوحِهِ وَشَجَاعَتِهِ وَبَأْسِهِ
وَالْتَدَلِيلِ عَلَيْهَا، فَهُوَ لَا يُقَدِّمُ عَلَى قِتَالِ الضُّعَفَاءِ، وَإِنَّمَا يُقَدِّمُ عَلَى قِتَالِ الْأَقْوِيَاءِ الصَّنَادِيدِ الشُّجْعَانَ
مِنْهُمْ.

يُلاحَظُ مِنْ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ، أَنَّ الْوَأَاءَ الدَّمَشْقِيَّ اسْتَحْدَمَ الْجِنَاسَ بِنَوْعِيهِ النَّامِ، وَغَيْرَ النَّامِ،
وَقَدْ أَضْفَى اسْتِخْدَامُهُ لَهُ نَوْعًا مِنَ الْمَوْسِيقَى وَالْإِيْقَاعِ، وَالزُّخْرُفِ وَالزَّيْنَةِ عَلَى النَّصِّ الشُّعْرِيِّ،
مِمَّا كَانَ لَهُ دَوْرٌ عَظِيمٌ فِي الْمُسَاهَمَةِ فِي لَفْتِ انْتِبَاهِ السَّامِعِ وَجَذْبِهِ.

ب- التكرار

يُقْصَدُ بِالتَّكْرَارِ "ذِكْرَ الشَّيْءِ مَرَّتَيْنِ فَصَاعِدًا"⁽²⁾، وَهُوَ لَيْسَ عَمَلًا عَشْوَانِيًّا عَبَثِيًّا لَا فَائِدَةَ
مِنْهُ، وَلَيْسَ مِنْ قَبِيلِ الْغَثِّ أَوْ السَّمِينِ الَّذِي يُوظَّفُهُ الشَّاعِرُ لِمَلءِ فَرَاغٍ أَوْ إِتْمَامِ بَيْتٍ مِنْ أَيْبَاتِ
الْعَمَلِ الشُّعْرِيِّ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ زِينَةً تَهْدَفُ إِلَى تَجْمِيلِ النَّصِّ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ الْمُكْرَرُ
"وَتِيقَ الْإِرْتِبَاطِ بِالمَعْنَى الْعَامِ، وَإِلَّا كَانَ لَفْظَةً مُتَكَلِّفَةً لَا سَبِيلَ إِلَى قَبُولِهَا"⁽³⁾.

(1) الوأواء: ديوانه، ص 195.

(2) الصرصري، الطوفي: الأكسير في علم التفسير، ص 245.

(3) الملائكة، نازك: قضايا الشعر المعاصر، ص 231.

والتكرار يأتي على جهات كثيرة، ومعانٍ عديدة، فهو يأتي على سبيل التشويق والاستعداد إن كان في تغزل أو نسيب، وعلى سبيل التنويه والإشارة أو التعظيم والتفخيم إذا ما ورد في مدح... (1)

وكذلك، فإنه يأتي لأغراض كثيرة، منها إبراز المعنى وتقريره في النفس، ومنها استمالة المخاطب وترغيبه في قبول النصح والإرشاد، ومنها التذكير بنعم الله التي لا تعد ولا تحصى، ومنها المبالغة في التحذير والتنفير، ومنها الحث على التذكر والتدبر وأخذ العبر والعظات... (2).

ويلجأ الشاعر -أي شاعر- إلى التكرار للفت انتباه السامع إلى فكرة معينة، وتوكيدها وإبرازها، وبيان اهتمامه بها دون سواها، وبهذا فالتكرار -من بعض الوجوه- "إلحاح على جهة مهمة في العبارة يعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها... فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها، وهو، بهذا المعنى، ذو دلالة نفسية قيمة تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر ويحلل نفسية كاتبه" (3).

ويؤدي تكرار الكلمة بلفظها أو إحدى مشتقاتها إلى منح الشعر جرساً موسيقياً جميلاً، وإيقاعاً خلاباً، فهو "واحد من عناصر الإيقاع الداخلي للنص، فإذا كان الإيقاع الخارجي المتمثل بالوزن والقافية يلقي بظلاله الموسيقية على جميع أبيات القصيدة، فإن التكرار يخلق حالات إيقاعية متعددة على مستوى البيت أو الأبيات، فالتكرار اللفظي ينجم عنه تماثل إيقاعي، وهذا التماثل الإيقاعي الذي يخلقه التكرار ينجح في كسر رتابة الإيقاع الخارجي، مما يجعل القصيدة (سيمفونية) متعددة الألحان" (4)، وفي هذا السياق يمكن تعريف التكرار بأنه "تتأوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير، بحيث تشكل نغماً موسيقياً، يتقصده الناظم في شعره" (5).

(1) يُنظر: القيرواني، ابن رشيقي: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، 74/2-77.

(2) يُنظر: فيود، بسبوني عبد الفتاح: علم المعاني: دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، ط1، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، والأحساء- المملكة العربية السعودية: دار المعالم الثقافية للنشر والتوزيع، 1998، 204/2-205.

(3) الملائكة، نازك: قضايا الشعر المعاصر، ص242.

(4) عتيق، عمر عبد الهادي قاسم إبراهيم: دراسة أسلوبية في شعر الأخطل، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس- فلسطين، 2000-2001، ص103.

(5) هلال، ماهر مهدي: جرس الألفاظ ودلالته في البحث البلاغي، بغداد: مطبعة الحرية، 1980، ص239.

وتعدُّ ظاهرة التكرار إحدى العناصر الموسيقية المهمة في شعر الوأءِ الدمشقيِّ، فقد وظَّفها في مواضع كثيرة منه، ومن الأمثلة عليها تكراره لمفردة (البين) ومشتقاتها خمس مرات، وذلك في قوله في الرحيل والهجران: (1)

[البيسط]

بَانُوا فَلَمْ يَبْقَ لِي فِي يَوْمٍ بَيْنَهُمْ قَلْبٌ أَحْمَلُهُ مِنْ بَعْدِهِمْ أَلْمَا
فَالْبَيْنُ يَعْشَقُهُمْ وَالشُّوقُ يَعْشَقُنِي وَالْجِسْمُ مَذْفَارُ فُونِي يَعْشَقُ السَّقْمَا
يَا لَيْتَنِي كُنْتُ أَعْمَى يَوْمَ صَاحَ بِهِمْ حَادِي الرَّحِيلِ فَمَا لِلْبَيْنِ مَا رَحِمَا!

ويبدو أن تكرار هذه الكلمة يعود إلى تركيزه عليها، فهي المحور الذي تدور حوله هذه الأبيات، إذ يريد الشاعر من ذلك إظهار ما في قلبه من ألم وسقم وضنى ناتج عن بين المحبوبة وهجرها وفراقها له، ويلاحظ في الأبيات السابقة -كذلك- تكراره لكلمة (يعشق) ثلاث مرات، للدلالة على علاقة التلازم والتعلق التي تربط بين البين والفراق والأحباب من جهة، فهذه حالهم الطبيعية، وبين الشوق والحنين ونفس الشاعر من جهة ثانية، وبين جسده والسقم والضنى والتعب من جهة ثالثة؛ وذلك حزناً على فراق الأحباب وهجرانهم له.

ومنها ما ورد في قوله: (2)

[الخفيف]

حَسَدْتْنَا أَيَّامَنَا بِالتَّلَاقِي فَرَمْتْنَا تَعْسُفًا بِالفِرَاقِ
مَا أَرَدْنَا الفِرَاقَ لَأَكَانَ مِنَّا أَشْمَتَ اللهُ بِالفِرَاقِ التَّلَاقِي
حيث كرر مفردة (الفراق) ثلاث مرات، من باب التركيز على فكرة فراق المحبوبة وهجرانها غير المرغوب وقوعها، والتي يُعاني كثيراً منها، فهو يشكو منها، ومن الأيام التي تسببت في إحداثها.

(1) الوأء: ديوانه، ص 209-210.

(2) المصدر السابق، ص 167.

وَكَّرَرَ مُفْرَدَةً (الدَّمْع) أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فِي قَوْلِهِ: (1)

[الخفيف]

لَسْتُ أَنْسَى مَقَالَهَا لِي، وَدَمَعِي فَوْقَ خَدِّي كَاللُّوْلُوِّ الْمَثُورِ
كُلُّ دَمْعٍ فَبِالتَّكْلِيفِ يَجْرِي غَيْرَ دَمْعِ الْغَرِيبِ وَالْمَهْجُورِ
وَرَدَّ الْبَيْنُ دَمْعَ عَيْنِي فَأَضْحَى كَعَقِيْقِ أُذَيْبٍ فِي بُلُورِ
وَدَلَّكَ رَاجِعٌ إِلَى رَغْبَتِهِ فِي التَّرْكِيزِ عَلَى فِكْرَةِ الْبُكَاءِ وَذَرْفِ الدُّمُوعِ الْغِزَارِ، وَعَلَى
وَصْفِ مُعَانَاتِهِ وَأَلَمِهِ بِسَبَبِ فِرَاقِ الْمَحْبُوبَةِ وَبَيْنِهَا.

وَفِي قَوْلِهِ: (2)

[السريع]

ظَلَمَنِي وَالظُّلْمُ مِنْ عِنْدِهِ وَجَازَ فِي الظُّلْمِ مَدَى حَدِّهِ
ظَنِّي غَدًا طَرْفِي لَهُ نَاطِرًا لَمَّا رَأَى قَلْبِي مِنْ جُنْدِهِ
كَرَّرَ مُفْرَدَةً (ظلمني) وَمُسْتَقَاتِهَا، حَيْثُ وَرَدَتْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَدَلَّكَ يَعُودُ إِلَى مُحَاوَلَتِهِ
إِثْبَاتِ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ مِنْ ظُلْمٍ نَاتِجٍ عَنِ صُدُودِ الْمَعْشُوقَةِ وَإِعْرَاضِهَا.

وَكَّرَرَ كَلِمَةَ (الليل) وَمُسْتَقَاتِهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي قَوْلِهِ: (3)

[الطويل]

رَعَى اللَّهُ لَيْلًا ضَلَّ عَنْهُ صَبَاحُهُ وَطَيْفُكَ فِيهِ لَا يُفَارِقُ مَضْجَعِي
وَلَمْ أَرْ مِثْلِي غَارَ مِنْ طُولِ لَيْلِهِ عَلَيْهِ كَأَنَّ اللَّيْلَ يَعِشَقُهُ مَعِي
وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى طُولِ لَيْلِهِ، وَمُعَانَاتِهِ وَأَرْقَهُ فِيهِ.

(1) الواوَاء: ديوانه، ص 109.

(2) المصدر السابق، ص 81.

(3) المصدر السابق، ص 141-142.

وَفِي قَوْلِهِ فِي مَدْحِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الحَمْدَانِي: (1)

[الطويل]

((أَبَا حَسَنٍ)) هَذَا ابْنُ مَدْحِكَ قَدْ أَتَى
بِمَالِكَةٍ لِلسَّمْعِ مَمْلُوكَةٍ بِهِ
لِمَدْحِكَ وَالْأَيَّامُ خُضِرُ الشَّوَارِبِ
عَجَائِبُهَا مِنْ أُمَّهَاتِ الْعَجَائِبِ
كَرَّرَ كَلِمَةَ (مدحك) مَرَّتَيْنِ، وَكَرَّرَ (مالكة، ومملوكة)، وَهُمَا مِنَ الْأَصْلِ ذَاتِهِ (مَلَكٌ)، ثُمَّ
كَرَّرَ مُفْرَدَةً (العجائب)؛ وَذَلِكَ لِإِفْنَاعِ الْمَمْدُوحِ بِجُودَةِ شِعْرِهِ وَتَمَيُّزِهِ؛ كَيْ يَحْصُلَ عَلَى الْعَطَاءِ
وَالنَّوَالِ الَّذِي يَسْعَى إِلَيْهِ.

وَكَّرَّرَ فِي مِدْحَةٍ أُخْرَى لَهُ مُفْرَدَةً (الرأي) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، تَأَكِيدًا عَلَى اتِّصَافِ مَمْدُوحِهِ
بِالذِّكَاةِ وَالْحِكْمَةِ وَالرَّأْيِ السَّدِيدِ، يَقُولُ: (2)

[الطويل]

إِذَا مَا انْبَرَى فِي هَفْوَةِ الْفِكْرِ رَأْيُهُ
تَعَوُّدُهُ أَعْدَاؤُهُ مِنْ ذِكَائِهِ
رَأَى بَعِيَانِ الرَّأْيِ مَا فِي الْعَوَاقِبِ
إِذَا مَا اِكْتَفَى بِالرَّأْيِ دُونَ التَّجَارِبِ
هَذِهِ أُمَّثَلَةٌ قَلِيلَةٌ عَلَى ظَاهِرَةِ التَّكْرَارِ فِي شِعْرِ الْوَأَوَاءِ الدَّمَشَقِيِّ، وَتَجَدُّرُ الْإِشَارَةِ فِي هَذَا
المَقَامِ إِلَى أَنَّ التَّكْرَارَ فِي شِعْرِهِ لَمْ يَكُنْ مَقْصُورًا عَلَى تَكَرُّرِ الْأَلْفَافِ وَالْمُفْرَدَاتِ، وَإِنَّمَا اِمْتَدَّ
لِيَشْتَمِلَ عَلَى تَكَرُّرِ أَبْيَاتٍ بَعِينِهَا، لَا يَخْتَلِفُ أَحَدُهَا عَنِ الْآخِرِ سِوَى فِي كَلِمَاتٍ قَلِيلَةٍ جَدًّا، وَرُبَّمَا
لَا يَخْتَلِفُ عَنْهُ فِي شَيْءٍ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ عَائِدًا إِمَّا إِلَى مُحَاوَلَةِ الشَّاعِرِ التَّأَكِيدَ عَلَى مَعْنَى مُعَيَّنٍ، أَوْ
عَلَى فِكْرَةٍ مِنَ الْأَفْكَارِ الَّتِي يُرِيدُ إِبْرَازَهَا لِلْمُسْتَمْعِ وَلَفَتْ اِنْتِبَاهَهُ إِلَيْهَا، غَيْرَ أَنَّ هَذَا التَّلْعِيلَ لَا يَغْفِرُ
لَهُ تَكَرُّرَ هَذَا الْقَدْرِ مِنَ الْأَبْيَاتِ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، فَهُوَ يَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الضَّعْفِ الشُّعْرِيِّ عِنْدَهُ،
وَرُبَّمَا يَكُونُ هَذَا النَّوْغُ مِنَ التَّكْرَارِ عَائِدًا إِلَى وَفُوعِ رُؤَاةِ الشُّعْرِ بِشَيْءٍ مِنَ اللَّبْسِ، فَهَذَا يَرُوي

(1) الواوَاء: ديوانه، ص23.

(2) المصدر السابق، ص22.

بَيْنَا مَا فِي قَصِيدَةٍ، وَذَلِكَ يَرَوِيهِ فِي أُخْرَى غَيْرِهَا، وَمِنْ أَبْرَزِ الشَّوَاهِدِ عَلَى هَذَا الضَّرْبِ مِنَ التَّكْرَارِ قَوْلُهُ: (1)

[البسيط]

إِذَا تَلَّهَبَ جَمْرُ الشَّوْقِ فِي كَبِدِي أَطْفَأَهُ مَاءُ التَّلَاقِي عِنْدَ رُؤْيَتِكُمْ
حَيْثُ كَرَّرَهُ فِي قَصِيدَةٍ أُخْرَى، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: (2)

[البسيط]

إِذَا تَلَّهَبَ نَارُ الشَّوْقِ فِي كَبِدِي أَطْفَأَهُ مَاءُ التَّلَاقِي عِنْدَ رُؤْيَاهَا
وَمِنْهَا قَوْلُهُ: (3)

[البسيط]

إِنْسِيَّةٌ لَوْ رَأَتْهَا الشَّمْسُ مَا طَلَعَتْ مِنْ بَعْدِ رُؤْيَيْهَا يَوْمًا عَلَى أَحَدٍ
فَقَدْ كَرَّرَهُ فِي قَوْلِهِ: (4)

[البسيط]

إِنْسِيَّةٌ لَوْ بَدَتْ لِلشَّمْسِ مَا طَلَعَتْ مِنْ بَعْدِ رُؤْيَيْهَا يَوْمًا عَلَى أَحَدٍ
وَمِنْهَا -أَيْضًا- قَوْلُهُ فِي المَحْبُوبِ: (5)

[مجزوء الكامل]

لَوْ قَالَ لِي: مُتْ طَاعَةً مَا عَشْتُ بَعْدَ سَمَاعِ أَمْرِهِ
حَيْثُ كَرَّرَ مُعْظَمَهُ فِي قَوْلِهِ: (6)

(1) الواوَاء: ديوانه، ص 66.

(2) المصدر السابق، ص 255.

(3) المصدر السابق، ص 85.

(4) المصدر السابق، ص 266.

(5) المصدر السابق، ص 117.

(6) المصدر السابق، ص 118.

[مجزوء الكامل]

لَوْ قَالَ لِي: مُتْ طَاعَةً لَأَطَعْتُهُ وَقَبِلْتُ أَمْرَهُ

ج- التصريح:

هُوَ أَنْ يَجْعَلَ الشَّاعِرُ عَرُوضَ الْبَيْتِ تَابِعَةً لِضَرْبِهِ تَنْقُصُ بِنَقْصِهِ، وَتَزِيدُ بِزِيَادَتِهِ، عَلَى أَنْ يَكُونَ الْعَرُوضُ وَالضَّرْبُ فِي الْبَيْتِ الْمُصَرَّعِ مُتَشَابِهَيْنِ فِي الْوِزْنِ وَالرَّوِيِّ⁽¹⁾.

وَالْتَّصِرِيعُ ظَاهِرَةٌ مُوسِيقِيَّةٌ إِيقَاعِيَّةٌ قَدِيمَةٌ، عَرَفَهَا الشُّعْرَاءُ وَاسْتَخْدَمُوهَا مِنْذُ الْقِدَمِ، وَلَا سِيَّمًا فِي مَطَالِعِ قِصَائِدِهِمْ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَكْتَفِ بِتَّصْرِيعِ مَطَلَعِ قَصِيدَتِهِ، وَإِنَّمَا رَاحَ يُصَرِّعُ أَبْيَاتًا أُخْرَى دَاخِلَهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُصَرِّعِ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ، وَصَرَّعَ شَيْئًا مِمَّا بَعْدَهُ⁽²⁾.

إِنَّ التَّصْرِيعَ مُهِمٌّ فِي بِنَاءِ النَّصِّ الْأَدْبِيِّ، فَالشَّاعِرُ -أَيُّ شَاعِرٍ- يُوظِّفُهُ مِنْذُ مَطَلَعِ الْقَصِيدَةِ؛ كَيْ يُمَيِّزَ بَيْنَ الْإِبْتِدَاءِ وَغَيْرِهِ، وَيَفْهَمُ قَبْلَ تَمَامِ الْبَيْتِ رُوي الْقَصِيدَةَ وَقَافِيَتَهَا⁽³⁾، فَضِلَا عَنْ أَنَّهُ يَضْطَلِعُ بِدَوْرٍ كَبِيرٍ فِي شِدِّ انْتِبَاهِ السَّمْعِ وَجَذْبِهِ، وَإِدْخَالِ الطَّرْبِ إِلَى نَفْسِهِ، وَذَلِكَ نَاتِجٌ عَنِ التَّجَانُّسِ الصَّوْتِيِّ النَّاشِئِ عَنِ تَكَرُّرِ الصَّوْتِ ذَاتِهِ فِي نِهَائِهِ كُلِّ مِنَ الْمِصْرَاعَيْنِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مِنَ بَيْتِ الشُّعْرِ، وَمَا يَنْجُمُ عَنِ ذَلِكَ مِنْ نَعَمٍ وَمُوسِيقَى.

وَيَجْدُرُ بِالشَّاعِرِ أَلَّا يُكْثِرَ مِنَ الْأَبْيَاتِ الْمُصَرَّعَةِ فِي قَصِيدَتِهِ؛ لِأَنَّ كَثْرَتَهَا تُدَلُّ عَلَى التَّكْلِيفِ وَالتَّصْنَعِ⁽⁴⁾، لَذَا يَسْتَحْسِنُ بَعْضُ النُّقَادِ وَالبَلَاغِيِّينَ أَمْثَالَ ابْنِ سَنَانَ الْخَفَاجِيِّ عَدَمَ الْمِيلِ إِلَى تَكَرُّرِهِ فِي الْقَصِيدَةِ الْوَاحِدَةِ، فَالْأَجْدَرُ بِالشَّاعِرِ أَنْ يُجْرِيَهُ مَجْرَى اللَّمَعَةِ وَاللَّمْحَةِ⁽⁵⁾.

وَلَقَدْ تَنَبَّهَ الشَّاعِرُ الْوَأَوَاءُ إِلَى الْقِيَمَةِ الْفَنِّيَّةِ وَالدَّلَالِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ وَالْمُوسِيقِيَّةِ لِهَذَا النَّمَطِ الْإِيقَاعِيِّ، فَوَظَّفَهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَشْعَارِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ⁽⁶⁾

(1) يُنظر: القيرواني، ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، 1/173.

(2) يُنظر: المرجع السابق، 1/174-175.

(3) الخفاجي، ابن سنان: سرّ الفصاحة، ص195.

(4) يُنظر: القيرواني، ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، 1/174.

(5) يُنظر: الخفاجي، ابن سنان: سرّ الفصاحة، ص195.

(6) الوأواء: ديوانه، ص38.

[المنسرح]

الكأسُ فُطِبُ السُّرورِ والطَّرِبُ فاحظْ بها قبلَ حاجزِ النَّوْبِ
فَالكَلِمَتَانِ (الطَّرِبُ)، وَ(النَّوْبُ)، وَقَعَتَا فِي نِهَائَةِ المِصْرَاعَيْنِ الأوَّلِ وَالثَّانِي، عَلَى
التَّرْتِيبِ، وَهُمَا عَلَى وَزْنٍ وَاحِدٍ، وَيَحْمِلَانِ نَفْسَ الرَّوِيِّ، وَهُوَ حَرْفُ البَاءِ المَكْسُورِ.
وَفِي قَوْلِهِ: (1)

[الخفيف]

أَمَلُ نَازِحٍ وَوَجْدٌ قَرِيبٌ إِنَّ حَكْمَ الهَوَى لِحَكْمٍ عَجِيبٌ
يُلاحِظُ التَّصْرِيحُ بَيْنَ لَفْظَتَيْ (قَرِيبٌ)، وَ(عَجِيبٌ)، فَهُمَا مُتَّفَقَتَانِ فِي الوَزْنِ وَالقَافِيَةِ.
وَهَا هُوَ ذَا يَقُولُ مُصَرِّعًا بَيْنَ (الْحَنِينِ)، وَ(الْأُنَيْنِ): (2)

[مجزوء الكامل]

قَلْبٌ يُقَلِّبُهُ الحَنِينُ وَحَشَى يُقَطِّعُهَا الأُنَيْنُ
وَأحياناً يَستَخدِمُ الوَأواءُ التَّصْرِيحَ فِي البَيْتِ الأوَّلِ مِنَ القَصِيدَةِ، ثُمَّ يَعودُ إِلَى اسْتِخْدَامِهِ فِي
أَحَدِ أُبْيَاتِهَا الأُخْرَى، وَمِنَ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي مَطَلَعِ قَصِيدَتِهِ فِي مَدْحِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الحَمْدَانِيِّ: (3)

[الطويل]

أَمَغَى الهَوَى غَالَتِكَ أَيَدِي النَوَائِبِ فَأَصْبَحْتَ مَغْنَى لِلصَّبَا وَالجَنَائِبِ
وَقَوْلُهُ فِي مُنْتَصَفِ تِلْكَ القَصِيدَةِ: (4)

[الطويل]

وَمَنْ لَا تَرَاهُ طَالِباً غَيْرَ طَالِبِ وَلَا ذَاهِباً إِلَّا عَلَى غَيْرِ ذَاهِبِ

(1) الوأواء: ديوانه، ص48.

(2) المصدر السابق، ص239.

(3) المصدر السابق، ص16.

(4) المصدر السابق، ص21.

فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ صَرَخَ بَيْنَ (النَّوَائِبِ)، وَ(الْجَنَائِبِ)، وَفِي الْبَيْتِ الْآخِرِ صَرَخَ بَيْنَ (طَالِبِ)، وَ(ذَاهِبِ).

يُسْتَخْلَصُ مِمَّا سَبَقَ، أَنَّ الْوَأَاءَ الدَّمَشْقِيَّ اهْتَمَّ بِظَاهِرَةِ التَّصْرِيعِ، وَعَمِلَ عَلَى تَوْظِيْفِهَا فِي كَثِيرٍ مِنْ مَنْظُومَاتِهِ، مِنْ قَصَائِدِ وَمَقْطُوعَاتٍ، فَأَحْيَانًا يَكْتَفِي بِتَّصْرِيعِ الْمَطْلَعِ، وَأَحْيَانًا يُصَرِّعُ مَعَهُ آيَاتًا أُخْرَى دَاخِلَ الْقَصِيدَةِ ذَاتِهَا، وَأَحْيَانًا ثَالِثَةً لَا يَلْتَقِتُ إِلَى التَّصْرِيعِ طَوَالَ الْقَصِيدَةِ.

د - التَّدْوِيرُ

يُقْصَدُ بِالتَّدْوِيرِ أَنَّ تَمَامَ وَزْنَ كِلَا شَطْرِي بَيْتِ الشَّعْرِ يَكُونُ بَعْزُهُ مِنْ كَلِمَةٍ (1)، وَهَذَا يَقْتَضِي اشْتِرَاكَ الشَّطْرَيْنِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، بِحَيْثُ يَقَعُ جُزْؤُهَا الْأَوَّلُ فِي نِهَائَةِ صَدْرِ الْبَيْتِ، وَجُزْؤُهَا الثَّانِي فِي بَدَايَةِ عَجْزِهِ (2)، وَيُطْلَقُ عَلَى الْبَيْتِ الْمُدَوَّرِ الْعَدِيدُ مِنَ الْمُصْطَلَحَاتِ، مِنْهَا: الْبَيْتُ الْمَوْصُولُ، وَالْمُتَدَاخِلُ، وَالْمُدْمَجُ، وَالْمُدَاخِلُ (3)، وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ التَّدْوِيرُ فِي الْبَحْرِ "الْخَفِيفِ"، وَهُوَ حَيْثُ وَقَعَ مِنَ الْأَعَارِيضِ دَلِيلٌ عَلَى الْقُوَّةِ، إِلَّا أَنَّهُ فِي غَيْرِ الْخَفِيفِ مُسْتَنْقَلٌ عِنْدَ الْمَطْبُوعِينَ، وَقَدْ يَسْتَخْفُونَهُ فِي الْأَعَارِيضِ الْقَصَارِ: كَالهَزْجِ وَمَرْبُوعِ الرَّمْلِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ (4).

وَاللَّتْدْوِيرُ "فَائِدَةٌ شَعْرِيَّةٌ وَليْسَ مَجْرَدٌ اضْطِرَارٌ يَلْجَأُ إِلَيْهِ الشَّاعِرُ. ذَلِكَ أَنَّهُ يَسْبِغُ عَلَى الْبَيْتِ غِنَائِيَّةً وَليُونَةً لِأَنَّهُ يَمُدُّهُ وَيَطِيلُ نَعْمَاتِهِ" (5)، كَمَا أَنَّهُ يُحَقِّقُ تَوَاصُلًا فِي الْآيَاتِ يُؤَدِّي إِلَى سُرْعَةٍ فِي الْإِيقَاعِ، وَيَضْمَنُ وَحْدَةَ الْمَقَاطِعِ أَوْ الْأَجْزَاءِ الَّتِي يَرِدُ فِيهَا، كَمَا أَنَّهُ يُحَقِّقُ وَحْدَةَ نَعْمِيَّةٍ فِي الْقَصِيدَةِ كَكُلِّ، فَضْلًا عَنِ أَنَّهُ يَسْمَحُ بِتَعَدُّدِ النِّعْمَاتِ وَتَنَوُّعِهَا فِي الشَّطْرِ وَالْآخِرِ (6).

(1) يُنْظَرُ: الْمَلَانِكَةُ، نَازِكُ: قَضَايَا الشَّعْرِ الْمَعَاوِرِ، ص 91.

(2) يُنْظَرُ: أَحْمَدُ، مُحَمَّدُ، وَآخَرُونَ: الْبِنْيَةُ الْإِيقَاعِيَّةُ فِي شَعْرِ عَزِّ الدِّينِ الْمُنَاصِرَةِ، ط 1، الْقُدْسُ: مَنَشُورَاتُ اتِّحَادِ الْكِتَابِ الْفِلَسْطِينِيِّينَ، 1998، ص 93.

(3) يُنْظَرُ: يَعْقُوبُ، إِمِيلُ بَدِيْعُ: الْمَعْجَمُ الْمَفْصَلُ فِي عِلْمِ الْعُرُوضِ وَالْقَافِيَةِ وَفَنُونِ الشَّعْرِ، ص 173.

(4) الْقَيْرَوَانِيُّ، ابْنُ رَشِيْقٍ: الْعَمْدَةُ فِي مَحَاسِنِ الشَّعْرِ وَأَدَابِهِ وَنَقْدِهِ، 177/1-178.

(5) الْمَلَانِكَةُ، نَازِكُ: قَضَايَا الشَّعْرِ الْمَعَاوِرِ، ص 91.

(6) يُنْظَرُ: أَحْمَدُ، مُحَمَّدُ، وَآخَرُونَ: الْبِنْيَةُ الْإِيقَاعِيَّةُ فِي شَعْرِ عَزِّ الدِّينِ الْمُنَاصِرَةِ، ص 93.

وَيَلْحَظُ مِنْ دِرَاسَةِ شِعْرِ الوَأْوَاءِ وَاسْتِعْرَاضِهِ وَجُودَ ظَاهِرَةِ التَّدْوِيرِ فِيهِ بِكَثْرَةِ، وَمِنْ
الْأَمْتَلَةِ عَلَيْهَا، قَوْلُهُ فِي مَدْحِ الشَّرِيفِ الْعَقِيقِيِّ: (1)

[الخفيف]

يَا (أَبَا قَاسِمٍ) أَزَالَتْ عَطَايَا كَ صِعَابًا مِنْ الْخُطُوبِ الصَّعَابِ
فَقَدْ طَرَأَ التَّدْوِيرُ عَلَى كَلِمَةِ (عَطَايَاك)، حَيْثُ قُسِمَتْ إِلَى قِسْمَيْنِ، عَلَى هَذَا النَّحْوِ:
(عَطَايَا+ك)، وَوَقَعَ الْقِسْمُ الْأَوَّلُ فِي نِهَآيَةِ صَدْرِ الْبَيْتِ، وَالْقِسْمُ الثَّانِي فِي بَدَايَةِ عَجْزِهِ، وَذَلِكَ
تَحْقِيقًا لِلتَّنَاسُبِ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ تَفْعِيلَاتِ الْبَحْرِ الْخَفِيفِ الَّذِي يَنْضَوِي تَحْتَ لَوَائِهِ هَذَا الْبَيْتُ، وَيَتَّضِحُ
ذَلِكَ مِنَ الْآتِي:

يَا أَبَا قَاسِمٍ أَزَا / لَتْ عَطَايَا كَ صِعَابًا / مِنْ الْخُطُوبِ / بِ الصَّعَابِ
- ب - - / - ب - - / - - ب - - - ب - - / - ب - - / - - ب - -
فاعلاتن / مُتَفَعِّلُنَ / فاعلاتن فَعْلَاتُنَ / مُتَفَعِّلُنَ / فاعلاتن

إِنَّ كَلِمَةَ (عَطَايَاك) هِيَ الْكَلِمَةُ الْمَحْوَرِيَّةُ فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ، فَهِيَ تَرْتَبُطُ بَيْنَ الْمُعْطِي الْكَرِيمِ
الْجَوَادِ أَبِي الْقَاسِمِ، وَمَا يَنْتُجُ عَنْ عَطَايَاهُ مِنْ إِزَالَةِ صِعَابِ الْحَيَاةِ وَمَصَائِبِهَا، فَلَوْلَا عَطَايَاهُ لَعَاشَ
النَّاسُ فِي كَمَدٍ وَحُزْنٍ وَفَقْرٍ وَعَوْرٍ وَتَعَاسَةٍ دَائِمَةٍ.

وَمِنْهَا قَوْلُهُ: (2)

[مجزوء الرمل]

طَرَقْتَنِي نَائِبَاتُ الدُّ دَهْرٍ فِي إِعْلَالِ حُبِّي
فَوَزَنُ هَذَا الْبَيْتِ (مجزوء الرمل) اقْتَضَى أَنْ تُقْسَمَ لَفْظَةُ (الدَّهْرُ) إِلَى قِسْمَيْنِ، هُمَا:
(الدَّ+دَهْرُ)، حَيْثُ وَقَعَ الْقِسْمُ الْأَوَّلُ فِي نِهَآيَةِ الشَّطْرِ الْأَوَّلِ، وَالْقِسْمُ الثَّانِي فِي بَدَايَةِ الشَّطْرِ الثَّانِي،
وَلَوْ لَمْ يَحْصُلْ ذَلِكَ لَمَا اسْتَقَامَ الْوَزْنُ وَالْإِيْقَاعُ، وَيَتَّضِحُ ذَلِكَ مِنَ الْآتِي:

(1) الوأواء: ديوانه، ص 15.

(2) المصدر السابق، ص 57.

طَرَقْتَنِي / نَائِبَاتُ الدُّ دَهْرٍ فِي إِع / لَالِ حُبِّي
 ب - ب - / - - ب - - - ب - / - - ب -
 فَعَلَاتُنْ / فَاعَلَاتِن فَاعَلَاتِن / فَاعَلَاتِن

[المتقارب]

وَمِنْهَا - أَيْضًا - قَوْلُهُ: (1)

لَقَدْ فَتَحَ الشُّوقُ لِي مِنْ هَوَا كَ بَابًا مِنْ الشُّوقِ لَا يُغْلِقُ
 فَقَبَلَ انْتِهَاءَ كَلِمَةِ (هواك) اكْتَمَلَتْ تَفْعِيلَاتُ الْبَحْرِ الْمُتَقَارِبِ فِي صَدْرِ هَذَا الْبَيْتِ، فَتَطَلَّبَ
 ذَلِكَ أَنْ تُقَسَمَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ إِلَى قِسْمَيْنِ، كَالْآتِي: (هوا+ك)، وَأَنْ يَقَعَ الْجُزْءُ الْآخِرُ مِنْهَا فِي بَدَايَةِ
 الشَّطْرِ الثَّانِي، وَذَلِكَ عَلَى النَّحْوِ الْآتِي:

لَقَدْ فَ / تَحَ الشُّوقُ / قُ لِي مِنْ / هَوَا كَ بَابًا / مِنْ الشُّوقِ / قُ لَا يُغْلِقُ / لَقُ
 ب - ب / - - ب - / - - ب - ب - ب / - - ب - / - - ب -
 فَعُولُ / فَعُولِن / فَعُولِن / فَعُولِن فَعُولِن / فَعُولِن / فَعُولِن / فَعُولِن

وَبِذَلِكَ، فَقَدْ رَبَطَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ بَيْنَ الشُّوقِ إِلَى الْمَحْبُوبَةِ، وَبَيْنَ كَوْنِ هَذَا الشُّوقِ مُتَجَدِّدًا لَا
 يَنْضَبُ.

وَقَوْلُهُ: (2)

[مجزوء الرجز]

رَمَاهُ رِيْمٌ فَأَصَا بَ الْقَلْبَ مِنْهُ إِذْ رَمَى
 إِذْ وَقَعَتْ كَلِمَةُ (أصاب) مُشْتَرَكَةً بَيْنَ شَطْرِي الْبَيْتِ السَّابِقِ، إِقَامَةً لَوْزَنِ (مجزوء الرجز)
 وَتَحْقِيقًا لَهُ، وَيَتَّضِحُ ذَلِكَ مِنْ الْآتِي:

(1) الواوَاء: ديوانه، ص169.

(2) المصدر السابق، ص204.

رَمَاهُ رِي / م فَأَصَا بَ الْقَلْبَ مِنْ / هُ إِذِ رَمَى

ب - ب - / - ب - - ب - ب -

مُتَفَعِّلُنْ / مُسْتَفَعِّلُنْ مُسْتَعَلِنْ / مُتَفَعِّلُنْ

فَلَوْ لَمْ تَشْتَرِكْ هَذِهِ الْكَلِمَةَ بَيْنَ الشَّطْرَيْنِ، لَحَدَّثَ خَلَلٌ فِي وَزَنِ الْبَيْتِ، وَلَمَّا اسْتَقَامَ وَصَلَحَ.

وَالنَّمَاذِجُ الَّتِي تُرْصَدُ فِي شَعْرِ الْوَأْوَاءِ عَلَى ظَاهِرَةِ التَّدْوِيرِ كَثِيرَةٌ كَثْرَةً بَالِغَةً، لَا سَبِيلَ

إِلَى حَصْرِهَا وَاسْتِقْصَائِهَا، وَبَيَانِهَا وَالتَّعْلِيقِ عَلَيْهَا فِي هَذَا الْمَقَامِ.

المبحث الخامس

الصورة الفنية

تعدُّ الصورةُ الفنيَّةُ عنصراً أساسياً في الشعر العربيِّ، ورُكناً رئيسياً من أركانه، وهي ليستُ شيئاً جديداً محدثاً فيه، فـ "الشعر قائم على الصورة منذ أن وجد حتى اليوم"⁽¹⁾.

ويَلجأُ الشاعرُ إلى الصورةِ كي يُعبِّرَ فيها عن معانٍ وأفكارٍ معيَّنة تجُولُ في ذهنه، ويشرحها ويوضحها ويقرِّبها إلى ذهن السامع، ويسهل من فهمها واستيعابها⁽²⁾، والصورة تحافظُ على المعنى المراد تقديمه إلى المتلقِّي كما هو، دون إجراء أيِّ تغييرٍ عليه، إلا أنها تُغيِّرُ من طريقةِ تقديمه ووسيلةِ عرضه، وبهذا الفهم، فإنَّ الصورةَ الفنيَّةَ "طريقة خاصة من طرق التعبير، أو وجه من أوجه الدلالة، تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير. ولكن أيًّا كانت هذه الخصوصية، أو ذلك التأثير، فإن الصورة لن تغير من طبيعة المعنى في ذاته، إنها لا تغير إلا من طريقة عرضه وكيفية تقديمه"⁽³⁾.

وإذا كانتِ الصورةُ تشكيلاً لغويًّا، فإنَّ هذا لا يعني أنها مُنعرِّلةٌ عن الخيالِ ومُنفصِلةٌ عنه، "فالصورة تشكيل لغوي، يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة، يقف العالم المحسوس في مقدمتها. فأغلب الصور مستمدة من الحواس، إلى جانب ما لا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية وإن كانت لا تأتي بكثرة الصور الحسية"⁽⁴⁾، إذن فهناك علاقةٌ وثيقةٌ وارتباطٌ كبيرٌ بين الصورةِ والخيالِ، "فالصورة هي أداة الخيال، ووسيلته، ومادته المهمة التي يمارس بها، ومن خلالها، فاعليته ونشاطه"⁽⁵⁾.

(1) عباس، إحسان: فن الشعر، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، 1955، ص220.

(2) ينظر: الساريسي، عمر عبد الرحمن: الشعر في العصر العباسي (المؤثرات والظواهر)، ط1، العبدلي-الأردن: دار حنين للنشر والتوزيع، والكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، 2006، ص159.

(3) عصفور، جابر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط2، بيروت-لبنان: دار التنوير للطباعة والنشر، 1983، ص323.

(4) البطل، علي: الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري (دراسة في أصولها وتطورها)، ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1981، ص30.

(5) عصفور، جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص14.

وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ بِالْخَيَالِ السَّعْيِ وَرَاءَ الْأَوْهَامِ وَالْخُرَافَاتِ وَالْمُعَمَّيَاتِ، وَالْبُعْدَ عَنِ الْحَقِيقَةِ وَالْوَاقِعِ، وَإِنَّمَا يُقْصَدُ بِهِ نَشَاطُ خَلْقٍ، لَا يَسْتَهْدَفُ أَنْ يَكُونَ مَا يَشْكَلُهُ مِنْ صُورٍ نَسْخًا أَوْ نَقْلًا لِعَالَمِ الْوَاقِعِ وَمُعْطِيَاتِهِ، أَوْ انْعِكَاسًا حَرْفِيًّا لِأَنْسَقَةِ مَتَعَارِفِ عَلَيْهَا، أَوْ نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ الْفِرَارِ، أَوْ التَّظْهِيرِ السَّادِجِ لِلانْفِعَالَاتِ، بِقَدْرِ مَا يَسْتَهْدَفُ أَنْ يَدْفِعَ الْمُتَلَقِّيَ إِلَى إِعَادَةِ التَّأَمُّلِ فِي وَاقِعِهِ، مِنْ خِلَالِ رُؤْيَا شَعْرِيَّةٍ، لَا تَسْتَمِدُّ قِيَمَتَهَا مِنْ مَجْرَدِ الْجَدَّةِ أَوْ الطَّرَافَةِ، وَإِنَّمَا مِنْ قَدْرَتِهَا عَلَى إِثْرَاءِ الْحَسَّاسِيَّةِ وَتَعْمِيقِ الْوَعْيِ⁽¹⁾.

وَفِي إِطَارِ دِرَاسَةِ الصُّورَةِ الْفَنِّيَّةِ فِي شِعْرِ الْوَأْوَاءِ الدِّمَشْقِيِّ، يُقَدِّمُ الْبَاحِثُ فِيمَا يَأْتِي مِنْ صَفَحَاتِ دِرَاسَةِ لِمَصَادِرِ الصُّورَةِ وَمَنَابِعِهَا فِي شِعْرِ الْوَأْوَاءِ، وَتَحْلِيلًا لِمَحَاوِرِهَا وَأَشْكَالِهَا، وَذَلِكَ عَلَى النُّحُو الْآتِي:

أَوَّلًا: مَصَادِرُ الصُّورَةِ وَمَنَابِعُهَا

يُمْكِنُ تَصْنِيفُ الْمَصَادِرِ وَالْمَنَابِعِ الَّتِي اسْتَمَدَّ الْوَأْوَاءُ مِنْهَا صُورَةَ الْفَنِّيَّةِ، وَاسْتِفَادَ مِنْهَا فِي تَشْكِيلِهَا وَصِيَاغَتِهَا عَلَى النُّحُو الْآتِي:

أ- الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ

إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ مِنْ أَهَمِّ الْمَصَادِرِ الَّتِي اعْتَمَدَ عَلَيْهَا الشُّعْرَاءُ فِي تَشْكِيلِ صُورِهِمُ الْفَنِّيَّةِ، حَيْثُ إِنَّهُمْ اقْتَبَسُوا كَلِمَاتِهِ، وَاسْتَلْهَمُوا عِبَارَاتِهِ، وَتَمَثَّلُوا بِنَظْمِهِ، وَاسْتَحْضَرُوا قِصَصَهُ، وَكَانَ الْوَأْوَاءُ الدِّمَشْقِيُّ مِثْلَ غَيْرِهِ مِنَ الشُّعْرَاءِ، حَيْثُ جَعَلَ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَنَبِعًا اسْتَمَدَّ مِنْهُ بَعْضَ الْأَلْفَاظِ وَالْمُفْرَدَاتِ وَالْمَعَانِي، وَبَعْضَ الشَّخْصِيَّاتِ الدِّينِيَّةِ الْوَارِدَةِ فِيهِ وَقِصَصِهَا، وَوَضَّعَهَا فِي بِنَاءِ صُورِهِ الْفَنِّيَّةِ وَتَشْكِيلِهَا، وَقَدْ تَمَّ التَّعَرُّضُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا فِي الْمَبْحَثِ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْفَصْلِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي الْمَحْبُوبَةِ: (2)

(1) عصفور، جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص14.

(2) الوأواء: ديوانه، ص276.

[الطويل]

لَهَا حُكْمٌ (لُقْمَان) وَصُورَةٌ (يُوسُف) وَنَعْمَةٌ (دَاوُد) وَعَفَّةٌ (مَرِيَم)
وَأَحْزَانٌ (يَعْقُوب) وَغُرْبَةٌ (يُونُس) وَوَحْشَةٌ (آدَم)
فَقَدْ اسْتَعَانَ فِي بِنَاءِ هَذِهِ الصُّورَةِ وَنَسَجَهَا - كَمَا يَتَّضِحُ - بِالْعَدِيدِ مِنَ الشَّخْصِيَّاتِ التَّارِيخِيَّةِ
الدِّيْنِيَّةِ الْوَارِدَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

ب- الطَّبِيعَةُ:

تُعَدُّ الطَّبِيعَةُ بِمَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ عُنَاصِرٍ مَتَعَدَّدَةٍ وَظَوَاهِرٍ مَخْتَلِفَةٍ، مِنْ أَهَمِّ الرُّوَافِدِ
وَالْمَنَابِعِ الَّتِي غَذَّتْ الصُّورَةَ الْفَنِّيَّةَ، وَسَاهَمَتْ فِي صِيَاغَتِهَا فِي شِعْرِ الْوَأَوَاءِ، وَمِنْ تِلْكَ الْعُنَاصِرِ
وَالظُّوَاهِرِ النَّبَاتَاتُ وَالْوُرُودُ وَالْأَزْهَارُ، حَيْثُ وَظَّفَهَا وَاسْتَحْضَرَهَا لِإِبْرَازِ بَعْضِ الْجَوَانِبِ الْجَمَالِيَّةِ
فِيْمَنْ يَعَشَقُ، أُنْثَى كَانَ أَمْ ذَكَرًا، إِذْ صَوَّرَ خُدُودَ الْمَحْبُوبَةِ بِزَهْرِ الرُّمَّانِ الْوَرْدِيِّ الْأَحْمَرِ، وَشَبَّهَ
تَدْيِيهَا بِثَمَرِ الرُّمَّانِ، بِجَامِعِ الْاسْتِدَارَةِ وَالتَّكْوُّرِ، يَقُولُ: (1)

[البسيط]

إِنْ كَانَ فِي جُنَّارِ الْخَدِّ مِنْ عَجَبٍ فَالْصَّدْرُ يَطْرَحُ رُمَانًا لِمَنْ يَرِدُ
وَصَوَّرَ خُدِّي الْمَحْبُوبِ بِالْوَرْدِ فِي قَوْلِهِ: (2)

[الوافر]

تَبَارَكَ مَنْ كَسَا خُدِّيكَ وَرَدًا تَطَّلَعَ مِنْ فُرُوعِ الْيَاسَمِينِ
وَشَبَّهَ مَحْبُوبَهُ فِي رِقَّتِهِ وَحَيَوِيَّتِهِ بِالْغُصْنِ اللَّيِّنِ الرَّطْبِ، يَقُولُ: (3)

[الكامل]

وَمُهْفَهَفٍ كَالْغُصْنِ هَزَّتَهُ الصَّبَا فَصَبَا إِلَيْهِ مِنَ الْفُتُونِ هَوَائِي

(1) الواوَاء: ديوانه، ص266.

(2) المصدر السابق، ص228.

(3) المصدر السابق، ص3.

وَاسْتَحْضَرَ الْأُورَاقَ وَالنَّمَارَ وَالْأَزْهَارَ فِي مَدَائِحِهِ؛ لِلتَّذْلِيلِ عَلَى كَرَمِ مَمْدُوحِهِ وَجُودِهِ،
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي الشَّرِيفِ الْعَقِيبِيِّ: (1)

[الخفيف]

غُصْنٌ لَيْنٌ الْمَهْرَةَ لَدُنْ زَاهِرُ الزَّهْرِ مُثْمِرُ الْإِثْمَارِ
وَقَوْلُهُ فِيهِ: (2)

[الكامل]

قَدْ أَوْرَقَتْ مِنْهُ الظُّنُونُ وَأَثْمَرَتْ نَيْلًا يَظَلُّ الشَّكُّ فِيهِ يَقِينَا
وَوَظَّفَ الشَّاعِرُ النَّبَاتَاتِ وَالْأَزْهَارَ الْمُتَنَوِّعَةَ فِي رَسْمِ صُورَةٍ مُتَكَامِلَةٍ مِثَالِيَّةٍ لِلرِّيَاضِ النَّتِي
رَآهَا وَشَاهَدَهَا وَقَضَى فِيهَا بَعْضَ أَوْقَاتِهِ، فَهِيَ هُوَ ذَا يُوْظَفُ فِي صِيَاغَةِ إِحْدَى رَوْضِيَّاتِهِ (الزَّهْرُ،
وَالْبَهَارُ، وَالنَّرْجِسُ، وَشَقَائِقِ النُّعْمَانِ، وَأُورَاقِ الْأَشْجَارِ وَأَغْصَانِهَا)، فَيَقُولُ: (3)

[المتقارب]

أَدِرْ لِحَظِّ عَيْتِكَ وَامْرِجْهُ فِي مُرُوجِ الرِّيَاضِ تَجِدْهَا تَشْتَوِقُ
تَرَى مَزُوجَ الْحُسْنِ فِي مُفْرَدٍ جَلِيلِ الْمَحَاسِنِ فِيهِ دَقِيقُ
إِذَا قَابَلَ الزَّهْرُ زَهْرَ الْخُدُودِ فَأَيْنَ الْخَلَاصِ! وَأَيْنَ الطَّرِيقُ!
بَهَارٍ بِهِرٍ بِهِ غَيْرَةٌ عَلَى نَرْجِسٍ وَشَقِيقٍ شَفِيقُ
فَإِذَا عَاشِقٌ دَنَفَ خَائِفٌ وَذَا خَجِلٌ وَكَذَاكَ الْعَشِيقُ
مَدَاهِنٍ يَحْمِلُنَ طَلَّ النَّدَى فَهَاتِيكَ تَبْرُ وَهَذَا عَقِيقُ
يُنْظَمُ أَوْاقِفُهُ دُرَّةٌ وَيَنْثَرُ مِنْهَا الَّذِي لَا يُطِيقُ
يَمِيلُ النَّسِيمُ بِأَغْصَانِهَا فَبَعْضُ نَشَاوِي وَبَعْضُ مُفِيقُ

(1) الوأواء: ديوانه، ص96.

(2) المصدر السابق، ص217.

(3) المصدر السابق، 155-156.

وَوَظَّفَ الْوَأْوَاءَ النَّبَاتَاتِ وَالْأَزْهَارَ فِي وَصْفِهِ لِلْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ، فَهِيَ هُوَ ذَا يُشَبَّهُ النُّجُومَ
الْمُحِيطَةَ بِالْبَدْرِ وَسَطَ السَّمَاءِ بِالْأَزْهَارِ الْمُتَنَاطِرَةِ فِي إِحْدَى الرِّيَاضِ، وَيُشَبَّهُ الْبَدْرَ بِالْمِصْبَاحِ
الْمُضِيِّ الْمُنِيرِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: (1)

[الخفيف]

وَكَأَنَّ النُّجُومَ وَالْبَدْرَ أَزْهَارًا رُيَاضٍ فِي وَسْطِهَا قَنَدِيلٌ

وَفِي صُورَةٍ أُخْرَى شَبَّهَ الثُّرَيَّا بِشَجَرَةِ السَّرْوِ الَّتِي لَمْ تُورِقْ، يَقُولُ: (2)

[الرجز]

وَالْقُطْبُ حِينَ يَعْتَلِي وَيَرْتَقِي إِذَا الثُّرَيَّا سَرْوَةً لَمْ تُورِقْ

وَاسْتَحْضَرَ النُّجُومَ وَالْكَوَاكِبَ الْمُتَنَوِّعَةَ فِي غَزَلِيَّاتِهِ؛ لِلْمُبَالَغَةِ فِي إِظْهَارِ جَمَالِ مَنْ يَعِشَقُ
وَحُسْنِهِ وَبَهَائِهِ، وَإِبْرَازِ مَوَاضِعِ الْفِتْنَةِ فِيهِ، إِذْ صَرَّحَ بِأَنَّ جَمَالَ مَحْبُوبِهِ مِثَالِي مُتَكَامِلٌ لَا مِثِيلَ لَهُ
وَلَا شَبِيهَ، إِلَى الدَّرَجَةِ الَّتِي أَصْبَحَ مَعَهَا الْبَدْرُ يُحَاكِيهِ وَيُشَبَّهُ فِيهِ، وَيُظْهِرُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ: (3)

[المجتث]

حَازَ الْكَمَالَ فَأَضْحَى بَدْرُ الْبَدْرِ يُحْكِيهِ

وَقَالَ إِنَّ الْمَحْبُوبَةَ أَكْثَرُ حُسْنًا وَجَمَالًا مِنَ الشَّمْسِ، فَهِيَ إِذَا مَا رَأَتْهَا اخْتَفَتْ خَجَلًا
وَحَيَاءً: (4)

[البسيط]

إِنْسِيَّةٌ لَوْ رَأَتْهَا الشَّمْسُ مَا طَلَعَتْ مِنْ بَعْدِ رُؤْيَيْهَا يَوْمًا عَلَى أَحَدٍ

وَشَبَّهَ ثَدْيَ الْمَحْبُوبَةِ بِالْبَدْرِ بِجَمَاعِ الْإِسْتِدَارَةِ فِي قَوْلِهِ: (5)

(1) الوأواء: ديوانه، ص 184.

(2) المصدر السابق، ص 163.

(3) المصدر السابق، ص 253.

(4) المصدر السابق، ص 85.

(5) المصدر السابق، ص 104.

[الطويل]

وتُظهِرُ لي مِنْ تَحْتِ أَرْزَارِ جَيْبِهَا إِذَا مَا بَدَتْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ بَدْرًا
وَاسْتَحْضَرَ النُّجُومَ وَالْكَوَاكِبَ - كَذَلِكَ - فِي مَدَائِحِهِ، حَيْثُ جَعَلَ مَمْدُوحَهُ الْأَمِيرَ الْحَمْدَانِيَّ
سَيْفَ الدَّوْلَةِ ثَالِثَ السَّمَاكِينِ، فِي إِشَارَةٍ مِنْهُ إِلَى عَظَمَتِهِ وَتَمَيُّزِهِ عَنِ غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ، وَعَلُوِّ شَأْنِهِ
وَرَفْعَةِ مَنْزِلَتِهِ، يَقُولُ: (1)

[المنسرح]

عَلَوْتَ فِي الْمَجْدِ كُلِّ مَكْرَمَةٍ كُنْتَ بِهَا ثَالِثَ السَّمَاكِينِ
وَصَوَّرَ فِي هَذَا الْإِطَارِ سَيْفَ الدَّوْلَةِ بِالْهَلَالِ، وَجَعَلَ وَالِدِيهِ التَّغْلِبِيِّينَ بَدْرَيْنِ، يَقُولُ: (2)

[المنسرح]

وَيَا هِلَالًا بَدَتْ مَطَالِعُهُ فِي أَفْقِ بَدْرَيْنِ تَغْلِبِيِّينِ!
وَقَدْ وَظَّفَ الشَّاعِرُ الْأَحْجَارَ الْكَرِيمَةَ وَالْمَعَادِنَ الثَّمِينَةَ فِي بِنَاءِ كَثِيرٍ مِنْ صُورِهِ الْفَنِّيَّةِ،
وَلَا سِيَّمَا فِي غَزَلِيَّاتِهِ، فَهِيَ هُوَ ذَا يُصَوِّرُ أَسْنَانَ الْمَحْبُوبَةِ بِاللُّؤْلُؤِ تَارَةً، وَبِحُبِّيَّاتِ الْبَرْدِ الْمُنْتَسِقِطَةِ
مِنَ السَّمَاءِ تَارَةً أُخْرَى: (3)

[الكامل]

مُتَبَسِّمٌ عَنِ لَوْلُؤِ رَطْبِ حَكِي بَرْدًا تَسَاقَطَ مِنْ عُقُودِ سَمَاءِ
وَيَسْتَحْضِرُ الزَّبْرَجَدَ، وَيُشَبِّهُ بِهِ شَعَرَ الْمَحْبُوبَةِ فِي قَوْلِهِ: (4)

[الخفيف]

وَلَهُ مِنْ زَبْرَجَدِ الشَّعْرِ رَاءَ فَوْقَ ثَغْرِ كَالنُّونِ فِي التَّفْرِيقِ

(1) الواوَاء: ديوانه، ص222.

(2) المصدر السابق، ص222.

(3) المصدر السابق، ص4.

(4) المصدر السابق، ص159.

وَيُصَوِّرُ كَفَّ الْمَحْبُوبَةِ بِاللُّوْلُو، وَيَجْعَلُ أُنَامِلَهَا عَقِيقًا، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: (1)

[مجزوء الخفيف]

ثُمَّ مَدَّتْ إِلَيَّ كَفًّا مِنَ اللُّوِّ لُوِّ فِيهَا أُنَامِلٌ مِنْ عَقِيقٍ
وَيُوظَّفُ الزَّبْرَجَدَ وَالذَّرَّ فِي صُورَةٍ مُرَكَّبَةٍ يُقَدِّمُهَا لِلَّيْلِ، حَيْثُ جَعَلَ حَالَ السَّمَاءِ لَوْنَهَا
يَمِيلُ إِلَى الْخَضْرَاءِ، وَقَدْ تَنَاطَرَتْ فِيهَا النُّجُومُ اللَّامِعَةُ الْمُضِيئَةُ، مُشَابِهًا لِحَالِ صَرْحِ مَصْنُوعٍ مِنْ
حِجَارَةٍ كَرِيمَةٍ خَضْرَاءِ اللَّوْنِ، وَقَدْ تَنَاطَرَتْ فِيهِ حَبِيبَاتٌ مِنَ الذَّرِّ اللَّامِعِ الْمُتَلَائِي، يَقُولُ: (2)

[الطويل]

كَأَنَّ اخْضِرَارَ الْجَوْ صَرْحُ زَبْرَجِدٍ تَنَاطَرَ فِيهِ الذَّرُّ مِنْ جِيدِ كَاعِبٍ
وَيُوظَّفُ الْجَوَاهِرَ اللَّامِعَةَ، وَيُشَبِّهُ فِيهَا أَزْهَارَ الشَّجَرِ الْبَيْضَاءِ الَّتِي تَنْبُتُ عَلَى الْأَغْصَانِ،
فَيَقُولُ: (3)

[الطويل]

ذُرَى شَجَرٍ لِلطَّيْرِ فِيهِ تَشَاجِرُ كَأَنَّ صُنُوفَ النُّورِ فِيهِ جَوَاهِرُ
وَمِنَ الْعُنَاصِرِ الطَّبِيعِيَّةِ الَّتِي اعْتَمَدَ عَلَيْهَا فِي نَسْجِ صُورِهِ، اللَّيْلِ، فَقَدْ وَصَفَهُ وَاسْتَحْضَرَهُ
فِي غَزَلِيَّاتِهِ؛ لِيَكْشِفَ عَن حَالَةِ الْأَلَمِ وَالْمُعَانَاةِ وَالْمُكَابَدَةِ وَالسَّقَمِ الَّتِي يُعَانِي مِنْهَا نَتِيجَةً لِفِرَاقِ مَنْ
يَعْشَقُ وَهَجْرَانِهِ، إِذْ إِنَّهُ كَثِيرًا مَا يَقْرِنُ طُولَ اللَّيْلِ وَامْتِدَادَ سَاعَاتِهِ بِهَجْرَانِ الْمَحْبُوبِ وَبِعَادِهِ، وَمِنْ
ذَلِكَ قَوْلُهُ: (4)

[البيسط]

أَمَا لِنَطْوِيلِ هَذَا اللَّيْلِ تَقْصِيرُ مِنْ شَفَقِهِ الشُّوقُ فِي شِكْوَاهُ مَعْذُورُ

(1) الوأواء: ديوانه، ص 169.

(2) المصدر السابق، ص 18.

(3) المصدر السابق، ص 114.

(4) المصدر السابق، ص 112.

وقوله: (1)

[الطويل]

وكيل كفكري في صُدودٍ مُعذبي وإلا كأنفاسي عليه من الوجد
ج- معاني الشعراء السابقين وصورهم:

تُشكّل معاني الشعراء السابقين وصورهم مصدرًا مهمًّا من مصادر تشكيل الصورة الفنية في شعر الوأءِ الدمشقيّ، فمن يُدقّق النظر في الكثير من صورهِ، فإنه يستذكر صوراً عديدة تشابهها وتتساق معها وأردّة عند بعض الشعراء السابقين له، وهذه قضية تمّت مناقشتها واستعراضها في هذا الفصل تحت عنوان (التناس)، ولزيادة التأكيد على استشرائها في شعر الوأءِ يسوق الباحث مثالين إضافيين، هما استحضاره لصورة عبيد بن الأبرص التي يصف فيها ريقَ المحبوبة بأنه خمرٌ، والواردة في قوله: (2)

[البسيط]

وعبلة كمهاة الجوانعة كأن ريقها شبيبت بسلسال
إذ قال الوأء على غراره في المحبوب: (3)

[الخفيف]

يفعل الريق منه ما تفعل الخمر رُ ولكن بلا تأذي خمار
وتوظيفه لصور أبي نواس الفنية التي يشبه فيها الخمر عند مزجها بالماء، وما ينتج عن هذا المزج من حبيبات على وجه الكأس، بحبيبات الدرّ اللامعة المتألئة، كقوله: (4)

[البسيط]

كأنها بزلال المزن إذ مزجت شباك درّ على ديباج ياقوت

(1) الوأء: ديوانه، ص 87.

(2) ابن الأبرص، عبيد: ديوانه، تج: كرم البستاني، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، 1958، ص 110.

(3) الوأء: ديوانه، ص 94.

(4) أبو نواس: ديوانه، ص 252.

فَقَدْ قَالَ الْوَأَاءُ مُسْتَحْضِرًا الصُّورَةَ السَّابِقَةَ: (1)

[البسيط]

تَصَوَّرَتْ مِنْ أَدِيمِ الْكَأْسِ سَوْرَتَهَا فَأَنْبَتَتْ بَرْدًا مِنْهَا عَلَى لَهَبِ
تَخَالَ مِنْهَا بِجِيدِ الْكَأْسِ إِنْ مُزِجَتْ عَقْدًا مِنَ الدُّرِّ أَوْ طَوْقًا مِنَ الْحَبِّ
وَعَبْرَ ذَلِكَ الْكَثِيرِ مِنَ الْأَمْثَلَةِ.

ثَانِيًا: مَحَاوِرُ الصُّورَةِ وَأَشْكَالُهَا:

لَقَدْ سَاهَمَتِ الْحَوَاسُ الْمَخْتَلِفَةُ، الْبَصَرُ، وَالسَّمْعُ، وَاللَّمْسُ، وَالذَّوْقُ، مُسَاهِمَةً كَبِيرَةً فِي تَشْكِيلِ الصُّورِ الْفَنِّيَّةِ فِي شِعْرِ الْوَأَاءِ وَنَسْجِهَا، وَمِنْ هَذَا الْمُنْطَلَقِ فَإِنَّ تِلْكَ الصُّورَ تَتَمَحَوَّرُ حَوْلَ أَرْبَعَةِ مَحَاوِرَ، وَتَتَشَكَّلُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْكَالٍ، وَذَلِكَ عَلَى النَّحْوِ الْآتِي:

أ- الصُّورَةُ اللَّوْنِيَّةُ:

كَانَتِ الصُّورَةُ الْبَصْرِيَّةُ اللَّوْنِيَّةُ مِنْ أَكْثَرِ الصُّورِ دَوْرَانَا فِي شِعْرِ الْوَأَاءِ، ذَلِكَ أَنَّهُ فُتِنَ بِالْأَلْوَانِ فِتْنَةً عَظِيمَةً جَعَلَتْهُ يَحْشُدُهَا فِي كَثِيرٍ مِنْ صُورِهِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْغَزْلِ، وَالْمَدْحِ، وَالْخَمْرِ، وَالْوَصْفِ، وَالرَّوَضِيَّاتِ، فَدَبَّوَانُهُ يَغْصُ بِالصُّورِ الَّتِي اعْتَمَدَ فِي إِخْرَاجِهَا عَلَى الْأَلْوَانِ الْمُتَنَوِّعَةِ، وَتَبَرُّزُ هَذِهِ الْأَلْوَانِ مِنْ تَصْرِيحِهِ بِهَا تَصْرِيحًا مُبَاشِرًا، أَوْ مِنْ ذِكْرِ بَعْضِ الدَّوَالِّ اللَّوْنِيَّةِ وَالْعَلَامَاتِ الْبَصْرِيَّةِ الَّتِي تَشِي بِهَا.

إِنَّ تَوْظِيفَ الْوَأَاءِ لِلْأَلْوَانِ لَمْ يَكُنْ فِي مُعْظَمِ الْأَحْيَانِ - عَمَلًا عَبَثِيًّا لَا فَائِدَةَ مِنْهُ، وَإِنَّمَا كَانَ لَهُ دَلَالَةٌ مُهِمَّةٌ تَتَمَثَّلُ فِي اضْطِلَاعِهِ بِدَوْرٍ كَبِيرٍ فِي الْكَشْفِ عَنِ نَفْسِيَّةِ الشَّاعِرِ وَأَحَاسِيْسِهِ، وَانْطِبَاعِهِ عَمَّنْ يَتَحَدَّثُ عَنْهُ أَوْ يَصِفُهُ، فَاللونُ -بوجهٍ عامٍّ- "يمتلك فاعلية بصرية تخاطب الوجدان والشعور، وهو بهذا يتحول إلى مؤشر أو دالٍّ حين يوضع ضمن سياق لغوي، ولذلك فإنه يمتلك دلالة في إطار بناء الجملة الشعرية"⁽²⁾.

(1) الواواء: ديوانه، ص 39.

(2) ربابعة، موسى: جماليات اللون في شعر زهير بن أبي سلمى، الأردن: جامعة اليرموك، (د.ت)، ص 1355.

وَلَقَدْ تَعَدَّدَتِ الْأَلْوَانُ الَّتِي وَظَفَهَا الْوَأْوَاءُ فِي غَزَلِيَّاتِهِ، وَمِنْهَا اللَّوْنُ الْأَبْيَضُ، حَيْثُ تَبَدُّو
دِلَالَتَهُ مَاتِلَةً فِي مُفْرَدَةِ (البدر)، فِي قَوْلِهِ فِي عِنَاقِ الْمَحْبُوبَةِ صَبَاحًا: (1)

[المنسرح]

عَانَقْتُ بَدْرًا فِيهِ وَعَانَقْتَنِي فَصَارَ حَظِّي مِنْ ذَيْنِ حَظَّيْنِ
وَهِيَ دِلَالَةٌ قَائِمَةٌ عَلَى مَنَحِ الْمَعْشُوقِ صِفَاتِ النَّقَاءِ، وَالْمَلَاخَةِ، وَالْبِيَاضِ النَّاصِعِ،
وَالْإِشْرَاقِ الَّتِي يَشْتَرِكُ فِيهَا مَعَ الْبَدْرِ، وَتَجَدُّرُ الْإِشْرَاقِ إِلَى أَنَّ تَوْظِيفَ هَذَا اللَّوْنِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ
يَتَسَاوَقُ مَعَ الْإِرْثِ الْفَنِيِّ وَالْاجْتِمَاعِيِّ لِلْعَرَبِ، فَكَثِيرًا مَا شَبَّهَ الشُّعْرَاءُ الْمَحْبُوبَةَ بِالْبَدْرِ؛ إِبْرَازًا
لِصِفَاتِ الْمَلَاخَةِ، وَالصَّفَاءِ، وَنَقَاءِ الْبَشْرَةِ وَبِيَاضِهَا الَّتِي تَتَمَتَّعُ بِهَا.

وَيَبْدُو اللَّوْنُ الْأَبْيَضُ وَاضِحًا مِنْ وَصْفِ الشَّاعِرِ لِلْمَحْبُوبَةِ بِأَنَّهَا تُضِيءُ الظَّلَامَ، فِي دِلَالَةٍ
عَلَى إِشْرَاقِ بَشْرَتِهَا، وَصَفَاءِ لَوْنِهَا وَبِيَاضِهَا، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: (2)

[البيسط]

لَوْ أَنَّهَا فِي ظَلَامٍ لَاسْتَنَارَ بِهَا لِأَنَّ إِشْرَاقَهَا يُغْنِي عَنِ السُّرُجِ
كَمَا أَنَّهُ يَظْهَرُ مِنْ تَصْوِيرِ الشَّاعِرِ لِأَسْنَانِ الْمَحْبُوبَةِ، فَقَدْ وَصَفَهَا بِأَنَّهَا بِيَضَاءٌ لَامِعَةٌ
مُشْرِقَةٌ مُضِيئَةٌ، غَيْرَ أَنَّ بِيَاضَهَا لَيْسَ مَأْلُوفًا، ذَلِكَ أَنَّهُ يُنِيرُ اللَّيْلَ الْأَسْوَدَ الْحَالِكِ، وَإِظْهَارِ هَذَا
الْمَعْنَى وَإِبْرَازِهِ لَجَأً فِي صُورَةٍ مِنْ صُورِ النَّشْبِيهِ الْمَأْلُوفَةِ إِلَى جَعْلِ تِلْكَ الْأَسْنَانِ مَصَادِرَ ضَوْءٍ
تَارَةً، وَشُمُوسًا دَائِمَةً الْإِنَارَةَ وَالْإِشْرَاقِ تَارَةً أُخْرَى، يَقُولُ: (3)

[الطويل]

يُقْمِنَ لَنَا بَرْقَ الثُّغُورِ أَدْلَةً إِذَا مَا ضَلَلْنَا فِي ظَلَامِ الذَّوَائِبِ
شُمُوسٌ مَتَى تَبْدُو تُضِيءُ الدُّجَى فَمَشْرِقُهَا فِيهِ بَغَيْرِ مَغَارِبِ

(1) الوأواء: ديوانه، ص 225.

(2) المصدر السابق، ص 68.

(3) المصدر السابق، ص 26.

وَيُسْتَوْحَى اللَّوْنُ الْأَبْيَضُ - كَذَلِكَ - مِنْ عِبَارَةٍ (نور الوصل)، وَقَدْ حَمَلَهُ الشَّاعِرُ مَعْنَى
 إيجابياً يُشير إلى ما يترتبُ على وصالها ولقائها من فرح، وسعادة، وسُرور، وبهجة، وخير،
 وأمل في الحياة، والشاعر في هذا المقام يستحضرُ مُعاكِسَ اللَّوْنِ الْأَبْيَضِ فِي الْمَظْهَرِ وَالِدَّلَالَةِ،
 أَلَا وَهُوَ اللَّوْنُ الْأَسْوَدُ الَّذِي يُسْتَشْفَى مِنْ عِبَارَةٍ (ظلم الجفا)، فَهُوَ يَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهِ مَعَانِيَ الْحُزْنِ،
 وَالْأَسَى وَالْأَلَمِ، وَالْكَآبَةِ، وَالتَّشَاوُمِ الَّتِي كَانَتْ يَعْيشُهَا أَيَّامَ الْجَفَاءِ وَالْفِرَاقِ، يَقُولُ مُخَاطِباً آثَارَ
 الْمَحْبُوبَةِ: (1)

[الطويل]

وَكشفتَ غيمَ الغدرِ عن قمرِ الوفا فأشرقَ نورَ الوصلِ عن ظلمِ الجفا
 وَيَعُودُ فِي صُورَةٍ مُمَاتِلَةٍ إِلَى تَوْظِيْفِ اللَّوْنِ الْأَبْيَضِ فِي قَوْلِهِ: (فجر وصال)، وَاللَّوْنِ
 الْأَسْوَدِ فِي قَوْلِهِ: (ظلام من دجى صده)، لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْمَعَانِي ذَاتِهَا الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا كُلٌّ مِنْ هَذَيْنِ
 اللَّوْنَيْنِ فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ، يَقُولُ: (2)

[السريع]

انظُرْ إِلَيْهِ وَإِلَى خَدِّهِ وَالْعَارِضِ الْمُثَبَّتِ فِي خَدِّهِ
 كَأَنَّهُ فَجْرٌ وَصَالٌ بَدَا تَحْتَ ظَلَامٍ مِنْ دُجَى صَدِّهِ
 وَقَدْ أَكْثَرَ الشَّاعِرُ مِنْ تَوْظِيْفِ اللَّوْنِ الْأَسْوَدِ فِي صُورِهِ الْغَزَلِيَّةِ، حَيْثُ صَبَّ فِيهِ أَسَى
 الْحُبِّ وَضَنَى الْعِشْقِ، وَهُوَ بِذَلِكَ يَكْشِفُ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْزَانِ وَالْأَشْجَانِ وَاللُّوعَاتِ الَّتِي اعْتَمَلَتْ
 فِي قَلْبِهِ وَبَرَّحَتْ فِيهِ؛ نَتِيجَةً لِفِرَاقِ مَنْ يَعْشَقُ وَهَجَرَهُ لَهُ، وَهَذَا مَا يَتَّضِحُ مِنَ الصُّورَتَيْنِ
 السَّابِقَتَيْنِ، فَضْلاً عَنْ أَنَّ السَّوَادَ امْتَدَّ فِي هَذَا الْإِطَارِ الْحَزِينِ الْكَثِيبِ مَعَ امْتِدَادِ الزَّمَنِ، حَيْثُ بَدَتْ
 السَّاعَاتُ سُودَاءَ حَالِكَةٍ مُظْلِمَةٍ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَعْذُ هُنَاكَ نَهَارٌ، فَقَدْ شَكَلَ طُولُ اللَّيْلِ رَمْزاً لِاتِّسَاعِ رُقْعَةِ

(1) الواواء: ديوانه، ص 8.

(2) المصدر السابق، ص 81.

اللون الأسود في حياة الشاعر ونفسيته، وما من سبيل إلى الحد من هذا المد الأسود إلا بالوصل الذي يقرن بالسعادة والبهجة، ويظهر ذلك من قوله: (1)

[البسيط]

مَا سَوَدَّ الْحُزْنَ مُبِيضَ السُّرُورِ بِهَا إِلَّا وَأَيَّامُ عُمُرِي بَعْدَهَا سُودٌ
وَمِنْ قَوْلِهِ مُشَبَّهًا اللَّيْلَ الْمُظْلِمَ بِغُدَاةِ أَسْوَدَ لَفَّ الْأَرْضَ بِجَنَاحِيهِ؛ لِإِبْرَازِ كَاتِبَتِهِ وَحُزْنِهِ
وَتَشَاؤُمِهِ: (2)

[مُخَلَعُ البسيط]

أَطَالَ لَيْلَ الصُّدُودِ حَتَّى يَسْتُتُ مِنْ غُرَّةِ الصَّبَاحِ
كَأَنَّهُ إِذَا دَجَا غُدَاةً قَدْ حَضَنَ الْأَرْضَ بِالْجَنَاحِ
وقد حمل الشاعر -على غير عادته- اللون الأسود الذي يستوحى من شعر المحبوبة بعض الإيحاءات والدلالات الإيجابية التي تموج بمعاني الفرح والسُرور، والنشوة والسُّرور، يقول: (3)

[الكامل]

خَفْتُ الرَّقِيبَ فَجَلَّتْنِي شَعْرَهَا وَتَجَلَّلْتُ مِنْ خَوْفٍ وَأَشٍ يَرْمُقُ
فَكَأَنَّنَا صُبْحَانَ فِي لَيْلِ حَاوِي فَجَرِينَ بَيْنَهُمَا ظَلَامٌ مُطْبِقُ
نَخْفَى إِذَا خَفْنَا وَتَبَدُّو تَارَةً فِيهِ وَأَحْيَانًا يَغِيبُ وَيَشْرِقُ
وَعْيُونُنَا قَدْ خَالَفتُ رُقْبَاءَنَا وَقُلُوبُنَا لِلْبَيْنِ مِنْهُمْ تَخْفُقُ
فلولا سواد شعر المحبوبة لكُثِفَ أمرُ الشاعرِ معها، وفَسَدَتْ خُلُوتُهُ بِهَا، وانْقَطَعَتْ لَحَظَاتُ السَّعَادَةِ وَالنَّشْوَةِ التي استمتع بها وعَاشَهَا عِنْدَ لِقَائِهِ فِيهَا.

(1) الوأواء: ديوانه، ص 71.

(2) المصدر السابق، ص 69.

(3) المصدر السابق، ص 166.

وَشَكَلَ اللَّوْنُ الْأَحْمَرُ مُكَوَّنًا مُهِمًّا مِنْ مُكَوَّنَاتِ صُورِ الْوَأْوَاءِ اللَّوْنِيَّةِ فِي غَزَلِيَّاتِهِ، فَقَدَ
وَوَظَّفَهُ فِي إِطَارٍ وَصَفِهِ لِلْوْنِ خَدَّ الْمَعْشُوقَةِ، حَيْثُ يَقُولُ: (1)

[الكامل]

تُغْنِي عَنِ التُّفَاحِ حُمْرَةَ خَدِّهِ وَتُنُوبُ رِيْقَتُهُ عَنِ الصَّهْبَاءِ
وَاللَّوْنُ الْأَحْمَرُ فِي هَذَا الْإِطَارِ يَحْمِلُ دَلَالَةً رَمَزِيَّةً عَلَى حَيَاءِ تِلْكَ الْمَعْشُوقَةِ وَخَفَرِهَا
وَخَجَلِهَا.

كَمَا وَظَّفَهُ فِي إِطَارِ حَدِيثِهِ عَنِ الدُّمُوعِ الْغَزِيرَةِ الَّتِي تَحَدَّرَتْ مِنْ عَيْنَيْهِ؛ حُرْنَا عَلَى هَجْرِ
الْمَحْبُوبِ وَبَيْنِهِ، حَيْثُ صَبَّغَهَا بِاللَّوْنِ الْأَحْمَرِ، وَفِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى شِدَّةِ الْحُزْنِ وَالْأَلَمِ وَاللَّوَعَةِ
الَّتِي امْتَلَأَ بِهَا قَلْبُهُ، وَفَاضَتْ بِهَا نَفْسُهُ، الْأَمْرُ الَّذِي جَعَلَهُ يَبْكِي دَمًا، يَقُولُ فِي دُمُوعِهِ: (2)

[مُخَلِّعُ الْبَسِيطِ]

صَيَّرَهَا فِي الْجُفُونِ حُمْرًا تَصْعِيدُهَا مِنْ دَمِي وَقَلْبِي
وَاسْتَحْضَرَ الشَّاعِرُ اللَّوْنَ الْأَصْفَرَ فِي وَصْفِهِ لِجَسَدِ غُلَامٍ مَرِيضٍ، وَحَمَلَهُ بُعْدًا سَلْبِيًّا، فَهُوَ
يُنْبِئُ بِمَعَانِي الضَّعْفِ، وَالْهَزَلِ، وَالسَّقَمِ، وَالتَّعَبِ، وَالْإِعْتِلَالِ، وَعَدَمِ الرَّاحَةِ الَّتِي أَصَابَتْ ذَلِكَ
الْغُلَامَ وَسَيَّطَرَتْ عَلَيْهِ، يَقُولُ: (3)

[مُخَلِّعُ الْبَسِيطِ]

أَبْيَضُ وَأَصْفَرٌ لِإِعْتِلَالٍ فَصَارَ كَالنَّرْجِسِ الْمُضَعَّفِ
وَوَظَّفَ فِي غَزَلِهِ بِأَحَدِهِمُ اللَّوْنَ الْأَزْرَقَ، وَحَمَلَهُ دِلَالَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: (4)

(1) الوأواء: ديوانه، ص4.

(2) المصدر السابق، ص55.

(3) المصدر السابق، ص153.

(4) المصدر السابق، ص170.

[المتقارب]

وَقَالُوا: بِمُقَاتِلِهِ زُرْقَةٌ
تَشِينُ فَظَلَّ لَهَا مُطْرَقًا
وَهَلْ يَقْطَعُ السَّيْفُ يَوْمَ الْجِلا
دِ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَتْنُهُ أَرْزَقًا

حَيْثُ يَحْمِلُ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مَعْنَى سَلْبِيًّا مَكْرُوهًا يُسْتَشْفَى مِنْهُ التَّشَاؤُمُ وَالْقَلْقُ وَالْانْزِعَاجُ، وَهَذِهِ دَلَالَةٌ تَتَسَاوَقُ مَعَ تَصَوُّرِ الْعَرَبِ لظُهُورِ هَذَا اللَّوْنِ فِي الْعُيُونِ، ذَلِكَ أَنَّ "زُرْقَةَ الْعُيُونِ تَدُلُّ عَلَى الْعَدَاوَةِ الشَّدِيدَةِ لِمَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الرُّومِ مِنْ عَدَوَاتٍ (1) وَإِحْنٍ" (2)، وَهُوَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي يَحْمِلُ مَعَانِيَ الْقُوَّةِ، وَالشَّدَّةِ، وَالْعُنْفِ، وَالْفَتَاكِ، وَالصَّلَابَةَ، وَالْمَضَاءَ الَّتِي أَضْفَاهَا عَلَى السَّيْفِ.

وَفِي قَصِيدَةٍ غَزَلِيَّةٍ أُخْرَى، اسْتَحْضَرَ الشَّاعِرُ اللَّوْنَ الْأَسْوَدَ الَّذِي يُسْتَوْحَى مِنْ (الْلَيْلِ)، وَاللَّوْنَ الْأَبْيَضَ الَّذِي يُسْتَوْحَى مِنْ (الصُّبْحِ)؛ لِإِضْفَاءِ مَلَامِحِ الْحُسْنِ، وَالْجَمَالِ، وَالْبَهَاءِ، وَالنَّمْيِزِ عَلَى الْمَحْبُوبَةِ، ثُمَّ اسْتَحْضَرَ اللَّوْنَ الْأَصْفَرَ الَّذِي يَحْمِلُ دَلَالَاتٍ إِيحَائِيَّةً تُتَبَّئُ بِالْحُزْنِ وَالْكَآبَةِ وَالْأَسَى وَالسَّقَمَ الَّذِي يُعَانِيهِ الْعَاشِقُ، وَاللَّوْنَ الْأَحْمَرَ الَّذِي يَحْمِلُ مَعَانِيَ الْخَفْرِ، وَالْخَجَلِ، وَالْحَيَاءِ الَّتِي تَتَسَمُّ بِهَا الْمَعْشُوقَةُ، يَقُولُ: (3)

[الخفيف]

لَيْلُ شَعْرِ مِنْ فَوْقِ صُبْحِ جَبِينِ
مَا لَبَيْنِ عَلَيْهِمَا مِنْ طَرِيقِ
وَهُوَ نَوْعَانِ فِيهِمَا صُفْرَةُ الْعَا
شِقِ مِنْ فَوْقِ حُمْرَةِ الْمَعْشُوقِ

وَيَضْطَلِعُ عُنْصُرُ اللَّوْنِ بِدَوْرِ كَبِيرٍ فِي الصُّورِ الَّتِي رَسَمَهَا الْوَأْوَاءُ فِي مَدَائِحِهِ، وَمِنْ الْأَلْوَانِ الَّتِي سَاهَمَتْ فِي صِيَاغَتِهَا، اللَّوْنُ الْأَبْيَضُ، فَقَدْ أَسْبَغَهُ عَلَى مَمْدُوحِهِ الْعَفِيقِيِّ، حَيْثُ يُسْتَوْحَى مِنْ عَلَامَتَيْنِ لَوْنِيَّتَيْنِ، هُمَا: الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ اللَّتَيْنِ شَبَّهَهُ بِهِمَا، وَيَعُودُ ذَلِكَ لِمَا لِهَذَا اللَّوْنِ مِنْ دَلَالَاتٍ تَتَّصِلُ بِالطُّهْرِ، وَالنَّقَاءِ، وَالرَّفْعَةِ، وَالْكَبْرِيَاءِ، وَالصَّقَاءِ، وَالشَّرَفِ، وَالسُّمُوِّ، وَالْإِبْتِعَادِ عَنِ الدَّنَسِ وَالنَّقْصِ وَالْعَيْبِ، يَقُولُ: (4)

(1) يوجد خطأ مطبعي في هذه الكلمة، وصوابها (عداوات).

(2) عبد المطلب، محمد: شاعرية الألوان عند امرئ القيس، مجلة فصول، مج5، عدد2، 1985، ص63.

(3) الواوَاء: ديوانه، ص158.

(4) المصدر السابق، ص196.

[البسيط]

وَمَنْ هُوَ الشَّمْسُ فِي أَفْقِ بِلَا فَكٍ وَمَنْ هُوَ الْبَدْرُ فِي أَرْضٍ بغيرِ سَمَا
وَوَظَّفَ اللَّوْنَ الْأَبْيَضَ فِي مَدْحِهِ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْحَمْدَانِيَّ، حَيْثُ يَظْهَرُ مِنَ الْمُفْرَدَاتِ
الآتِيَةِ: (هلالاً، وبدرين، والسماكين)، وَهُنَا لَا تَخْتَلِفُ دَلَالَاتُ هَذَا اللَّوْنِ عَنِ دَلَالَاتِهِ فِي الْبَيْتِ
السَّابِقِ، يَقُولُ: (1)

[المنسرح]

وَيَا هِلَالاً بَدَتِ مَطَالِعُهُ فِي أَفْقِ بَدْرَيْنِ تَغَابِيَيْنِ!
عَلَوْتَ فِي الْمَجْدِ كُلِّ مَكْرَمَةٍ كُنْتَ بِهَا ثَالِثَ السَّمَاكَيْنِ
وَمِنْ عَنَاصِرِ الصُّورَةِ اللَّوْنِيَّةِ فِي مَدَائِحِ الْوَأْوَاءِ، اللَّوْنُ الْأَسْوَدُ، فَقَدْ وَرَدَ فِي وَصْفِهِ لِقِتَالِ
مَمْدُوحِهِ الْعَقِيبِيِّ وَسَطِ الْمَعْرَكَةِ، وَهُوَ يُسْتَشْفَى مِنْ عِبَارَةِ (أَظْلَمَ النَّقْعَ)، وَيُدَلُّ عَلَى اشْتِدَادِ
الْمَعْرَكَةِ، وَاحْتِدَامِ الْفِجَاءِ، وَكَثْرَةِ الْمَخَاطِرِ فِيهَا، وَعَلَى صِفَاتِ الشَّجَاعَةِ، وَالْبُطُولَةِ، وَالْإِقْدَامِ الَّتِي
يَتَّسِمُ بِهَا الْمَمْدُوحُ، وَفِي الْبَيْتِ ذَاتِهِ وَظَّفَ اللَّوْنَ الْأَبْيَضَ، وَصَرَّحَ بِهِ تَصْرِيحاً مُبَاشِراً، حَيْثُ
جَعَلَهُ صِفَةً لِسَيْفِ مَمْدُوحِهِ، وَتَقُومُ دَلَالَاتُ هَذَا اللَّوْنِ عَلَى مَنَحِ السَّيْفِ صِفَاتِ الْقُوَّةِ، وَالصَّلَابَةِ،
وَالجِدَّةِ، وَالْمَضَاءِ، مِمَّا يَشِي بِتَمَيُّزِهِ وَتَمَيُّزِ صَاحِبِهِ: (2)

[الخفيف]

فَاتِلِ الْقَوْمَ كُلَّمَا أَظْلَمَ النَّقْ عَجَلَاهُ بِالْأَبْيَضِ الْبِتَّارِ
وَفِي صُورَةٍ أُخْرَى، صَبَّغَ الشَّاعِرُ سَيْفَ مَمْدُوحِهِ بِاللَّوْنِ الْأَسْوَدِ، لِمَا لِهَذَا اللَّوْنِ مِنَ
دَلَالَاتٍ تَتَّصِلُ بِمَعَانِي الشَّدَّةِ، وَالْقَسْوَةِ، وَالْبَأْسِ، وَالشَّجَاعَةِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: (3)

[الخفيف]

خَاطِراً لَا تَرَاهُ يَعْرِفُ فِي الْكِ رِّ فِرَاراً بِالْأَسْمَرِ الْخَطَّارِ

(1) الوأواء: ديوانه، ص222.

(2) المصدر السابق، ص96.

(3) المصدر السابق، ص96.

وَوَظَّفَ اللَّوْنَ الْأَسْوَدَ الَّذِي يَبْرُزُ مِنَ الْعَلَامَةِ اللَّوْنِيَّةِ (أحلك)؛ لِبَيَانِ مَعَانِ سَلْبِيَّةِ تَمَثُّلِ بِهَا
نُفُوسُ الشُّعْرَاءِ الْمَدَّاحِينَ، وَأَعْمَالُهُمُ الْقَبِيحَةُ الَّتِي تَتَمَثَّلُ بِالنَّكْثِ، وَذَلِكَ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ وَاحِدٌ
مِنْهُمْ، يَقُولُ: (1)

[الكامل]

وَالْأَفْقُ أَحْلَكَ مِنْ خَوَاطِرِ كَاسِبٍ بِالشُّعْرِ يَسْتَجِدِي النَّوَامَ وَيَرْتَجِي
فَاللُّونُ الْأَسْوَدُ فِي هَذَا الْبَيْتِ يَحْمِلُ صِفَاتِ اللَّوْمِ، وَالذَّنَاءَةِ، وَالنَّدْلِ، وَإِرَاقَةَ مَاءِ الْوَجْهِ مِنْ
قَبْلِ الشُّعْرَاءِ فِي سَبِيلِ الْحُصُولِ عَلَى الْمَالِ.

وَمِنْ الْأَلْوَانِ الَّتِي احْتَقَى بِهَا الْوَأْوَاءُ فِي مَدَائِحِهِ، اللَّوْنُ الْأَحْمَرُ، فَقَدْ صَرَخَ بِهِ مُبَاشَرَةً
حِينَمَا جَعَلَ أَطْرَافَ رِمَاحِ مَمْدُوحِهِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ حَمْرَاءَ اللَّوْنِ، وَلِهَذَا اللَّوْنُ فِي مِثْلِ هَذَا السِّيَاقِ
دَلَالَتُهُ الْوَاضِحَةُ الَّتِي تَتَمَثَّلُ بِصُورَةِ الدَّمِ الْمُرَاقِ، وَبِالْمَوْتِ، وَبِالْفَتْكِ، وَالْقَتْلِ، وَالْهَلَاكِ، وَالْفَنَاءِ
الَّذِي أَلْحَقَهُ الْمَمْدُوحُ بِالْأَعْدَاءِ، يَقُولُ: (2)

[الطويل]

حَرَامٌ عَلَيْهِ أَنْ يَرُدَّ رِمَاحَهُ مِنْ الطَّعْنِ إِلَّا وَهِيَ حُمْرُ التَّعَالِبِ
وَيَبْرُزُ اللَّوْنُ الْأَحْمَرُ مِنْ عِبَارَةِ (نَجِيعِ التَّرَائِبِ)، فِي صُورَةٍ جَعَلَ الشَّاعِرُ فِيهَا تُرَابَ
أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ يَنْتَوِنُ بِالْأَحْمَرِ، الْأَمْرُ الَّذِي أَتَّاحَ لَهُ صَبْغَ أَيْدِي الْخِيُولِ وَحَوَافِرِهَا، فَالدَّلَالَةُ الَّتِي
يَشِي بِهَا هَذَا اللَّوْنُ تَتَمَثَّلُ بِكَثْرَةِ الدَّمَاءِ النَّازِفَةِ مِنَ الْقَتْلِ وَالْجِرْحِ فِي الْمَعْرَكَةِ، وَهَذَا مَا يُشِيرُ
إِلَيْهِ مَعْنَى الْبَيْتِ نَفْسُهُ، يَقُولُ: (3)

[الطويل]

وَتَصْبُغُ أَيْدِي النَّقْعِ أَيْدِي خِيُولِهِ بِمُحْمَرِّ تُرْبٍ مِنْ نَجِيعِ التَّرَائِبِ

(1) الوأواء: ديوانه، ص263.

(2) المصدر السابق، ص22.

(3) المصدر السابق، ص27.

وَلَوْنُ الشَّاعِرِ - كَذَلِكَ - مَدَائِحُهُ بِاللَّوْنِ الْأَخْضَرِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: (1)

[الكامل]

قَدْ أَوْرَقَتْ مِنْهُ الظُّنُونُ وَأَثْمَرَتْ نَيْلًا يَظَلُّ الشَّكُّ فِيهِ يَقِينًا
حَيْثُ يَظْهَرُ هَذَا اللَّوْنُ ظُهُورًا غَيْرَ مُبَاشِرٍ، مِنْ عِلَامَتَيْنِ لَوْنِيَّتَيْنِ، هُمَا: (أُورِقَتْ،
وَأَثْمَرَتْ)، وَيَبْدُو مُحَمَّلًا بِمَعَانِي النَّعِيمِ، وَالنَّضَارَةِ، وَالْفَرَحِ، وَالسُّرُورِ، وَالْبَهْجَةِ، وَالْبَعَثِ،
وَالْأَمَلِ، فَالْمَمْدُوحُ أزالَ أسبابَ بُؤْسِ الشَّاعِرِ وَمُعَانَاتِهِ وَشَقَائِهِ بِمَا قَدَّمَ لَهُ مِنْ عَطَايَا وَهَبَاتٍ،
الْأمرُ الَّذِي جَعَلَهُ يَعْيشُ حَيَاةً مِلْوَهَا الْفَرَحُ وَالسُّرُورُ ...

وَوَرَدَ اللَّوْنُ السَّابِقُ مُحَمَّلًا بِالدَّلَالَاتِ السَّابِقَةِ ذَاتِهَا، فِي صُورَةٍ اسْتِعَارِيَّةٍ وَرَدَتْ أَثناءَ
مُخَاطَبَةِ الشَّاعِرِ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ: (2)

[الطويل]

(أَبَا حَسَنٍ) هَذَا ابْنُ مَدْحِكَ قَدْ أَتَى لِمَدْحِكَ وَالْأَيَّامُ خُضِرُ الشَّوَارِبِ
وَتَبَرَّزُ الصُّورَةُ اللَّوْنِيَّةُ فِي خَمْرِيَّاتِ الْوَأْوَاءِ، وَيَظْهَرُ ذَلِكَ مِنْ تَوْظِيْفِهِ لِلَّوْنِ الْأَحْمَرِ
الْقَرِيبِ مِنْ لَوْنِ النَّارِ، فِي وَصْفِهِ لَهَا، يَقُولُ: (3)

[الخفيف]

صَاحَ هَاتِ الْعُقَارَ حَمْرَاءَ كَالنَّارِ رِ وَدَعْنِي مِمَّا يَقُولُ الْعَدُولُ
وَفِي خَمْرِيَّتِهِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا: (4)

[المنسرح]

عَذَّبْتُهَا بِالْمِزَاجِ فَأَبْتَسَمَتْ عَن بَرْدِ نَابِتٍ عَلَى لَهَبِ

(1) الوأواء: ديوانه، ص 217.

(2) المصدر السابق، ص 23.

(3) المصدر السابق، ص 184.

(4) المصدر السابق، ص 35.

كَأَنَّ أَيْدِيَ الْمِزَاجِ قَدْ سَكَبَتْ فِي كَأْسِهَا فِضَّةً عَلَى ذَهَبٍ

استحضرَ اللونَ الفِضِّيَّ مرَّتَيْنِ، إحداهُما استِحْضَارًا غَيْرَ مُبَاشِرٍ، حَيْثُ يُسْتَوْحَى مِنْ مُفْرَدَةٍ (بَرْدٍ)، وَالثَّانِيَةَ اسْتِحْضَارًا مُبَاشِرًا، وَذَلِكَ فِي إِطَارِ وَصْفِهِ لِلْمَاءِ الَّذِي مُزِجَتْ خَمْرُهُ بِهِ، كَمَا وَظَفَ اللَّوْنَ الذَّهَبِيَّ الَّذِي يُسْتَوْحَى مِنْ (الهب) تَارَةً، وَيَظْهَرُ مِنْ تَصْرِيحِهِ بِهِ مُبَاشِرَةً تَارَةً أُخْرَى، وَكِلَا اللَّوْنَيْنِ يَحْمِلُ دَلَالَاتِ النَّقَاءِ، وَالصَّفَاءِ، وَالخُلُوفِ مِنَ الشَّوَائِبِ.

وَقَدْ صَرَّحَ بِصَفَاءِ الخَمْرِ الَّتِي يَشْرِبُهَا، وَخُلُوفَهَا مِنَ الشَّوَائِبِ فِي قَوْلِهِ: (1)

[الطويل]

وَلَيْلِ تَمَادَى طُولُهُ فَقَصَرْتُهُ بِرَاحِ تُعِيرُ المَاءَ مِنْ صَفْوِهَا صَفَاً

وَيَحْشُدُ الوَأْوَاءَ فِي كَثِيرٍ مِنْ رَوْضِيَّاتِهِ مَجْمُوعَةً مِنَ الْأَلْوَانِ وَالذَّوَالِ اللَّوْنِيَّةِ الَّتِي تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الوُرُودِ وَالْأَزْهَارِ الَّتِي تَزْدَانُ بِهَا تِلْكَ الرِّيَاضُ وَتَتَنَوَّعُ بِتَنَوُّعِهَا، وَبِذَلِكَ يُبَيِّحُ لِلْقَارِي أَنْ يُحَلِّقَ فِي عَالَمِ الْأَلْوَانِ، وَيَجْعَلَ البَابَ مَفْتُوحًا لِتَخْيِيلِ الصُّورَةِ المُلَوَّنَةِ دُونَ التَّرْكِيزِ عَلَى لَوْنٍ دُونَ آخَرَ، وَنُورِدُ فِيهَا يَأْتِي نَمُودَجًا عَلَى ذَلِكَ، يَقُولُ: (2)

[المنسرح]

وروضة راضها الندى فغدت لها من الزهر أنجم زهر
تنشر فيها يد الربيع لنا ثوباً من الوشي حاكه القطر
كأنما انشق من شقائقها على رباها مطارف خضر
ثم تبادت كأنها حدق أجفانها من دماها حمر

يَصِفُ الشَّاعِرُ فِي هَذِهِ اللَّوْحَةِ الفَنِّيَّةِ أَثَرَ سُقُوطِ الغَيْثِ عَلَى إِحْدَى الرِّيَاضِ، وَمَا نَتَجَ عَنْهُ مِنْ نُموِّ الأزْهَارِ وَالوُرُودِ المُتَعَدِّدَةِ الْأَلْوَانِ، وَمِنْ الْأَلْوَانِ الَّتِي اسْتَحْضَرَهَا فِيهَا، اللَّوْنُ الفِضِّيُّ الَّذِي عَبَّرَ عَنْهُ مُسْتَحْدِمًا العَلَامَتَيْنِ اللَّوْنِيَّتَيْنِ (الندى، والقطر)، وَاللَّوْنُ الْأَخْضَرُ الَّذِي يُسْتَشْفَى مِنْ

(1) الوأواء: ديوانه، ص10.

(2) المصدر السابق، ص101.

(روضة، والربيع)، واللون الأحمر، والأبيض، والزهرى، وهذه الألوان جميعها تنسجم مع الجو العام الممتلئ بالفرح، والسعادة، والبهجة، وتدلُّ على الخير، والنماء، والصفاء، والنقاء، والطهر، والعطاء، والحب، والأمل.

ومِمَّا سَبَقَ، يُسْتَخْلَصُ أَنَّ الْأَلْوَانَ بِأَصْنَافِهَا الْمُتَعَدِّدَةَ تُمَثِّلُ رُكْنًا مُهِمًّا مِنْ أَرْكَانِ الصُّورَةِ الْفَنِّيَّةِ فِي كَثِيرٍ مِنْ شِعْرِ الْوَأْوَاءِ، وَأَنَّ لِكُلِّ لَوْنٍ مِنْهَا الْعَدِيدَ مِنَ الدَّلَالَاتِ وَالْمَعَانِي وَالْإِيْحَاءَاتِ الَّتِي مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ تَتَغَيَّرَ بِتَغْيِيرِ السِّيَاقِ الَّذِي يَرِدُ فِيهِ.

ب- الصُّورَةُ السَّمْعِيَّةُ:

تَضَطَّلُ الصُّورَةُ الصَّوْتِيَّةُ السَّمْعِيَّةُ بِدَوْرٍ مُهِمٍّ فِي تَشْكِيلِ صُورِ الْوَأْوَاءِ الْفَنِّيَّةِ وَصِيَاغَتِهَا، فَهِيَ تَتَأَلَّفُ مِنَ الْعَدِيدِ مِنَ الْعُنَاصِرِ الْمَسْمُوعَةِ الَّتِي تَنْقُلُ إِلَيْنَا مَوَاطِنَ الْجَمَالِ وَالْفَرَحِ، فَتُنْثِرُ فِي نَفْسِنَا اللَّذَّةَ، وَالْمُنْتَعَةَ، وَالطَّرْبَ، وَالسُّرُورَ تَارَةً، وَتَارَةً أُخْرَى تَنْقُلُ مَوَاطِنَ الْحُزَنِ، فَتُنْثِرُ فِيْنَا مَشَاعِرَ الْأَلَمِ، وَالْكَابَةِ، وَالْحَسْرَةَ، وَالْمُعَانَاةَ.

لَقَدْ اِهْتَمَّ الْوَأْوَاءُ بِالطَّبِيعَةِ وَرِيَاضِهَا، حَيْثُ كَانَتْ الْمُتَنَفِّسَ الَّذِي يَلْجَأُ إِلَيْهِ هَرَبًا مِنْ أَعْبَاءِ الْحَيَاةِ وَهُمُومِهَا، فَكَثِيرًا مَا وَصَفَهَا، وَوَصَفَ رُودَهَا وَأَزْهَارَهَا، وَمُكَوِّنَاتِهَا الْمُخْتَلِفَةَ، وَمَظَاهِرَ جَمَالِهَا الْمُتَعَدِّدَةَ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: (1)

[الطويل]

ذُرَى شَجَرٍ لِلطَّيْرِ فِيهِ تَشَاجِرُ كَأَنَّ صُنُوفَ النُّورِ فِيهِ جَوَاهِرُ
كَأَنَّ الْقَمَارِي وَالْبَلَابِلَ بَيْنَنَا قِيَانٌ وَأُورَاقُ الْغُصُونِ سَتَائِرُ
شَرِبْنَا عَلَى ذَاكَ التَّرْنَمِ قَهْوَةً كَأَنَّ عَلَى حَافَاتِهَا الدُّرَّ دَائِرُ

إِنَّ جَمَالَ هَذِهِ الصُّورَةِ يَنْبُعُ مِنْ تَأَزُّرِ حَاسِنَيْنِ اثْنَيْنِ فِي نَسْجِهَا وَصِيَاغَتِهَا، فَالشَّاعِرُ أَدْخَلَنَا فِي جَوْ هَذِهِ الرَّوْضَةِ الْجَمِيلِ، وَعَالَمِهَا السَّاحِرِ عَن طَرِيقِ الْعَيْنِ وَمَا تُشَاهِدُهُ مِنَ الْأَلْوَانِ

(1) الوأواء: ديوانه، ص 114.

سَاحِرَةٍ، وَالْأُذُنِ وَمَا تَسْمَعُهُ مِنْ أَصْوَاتِ عَذْبَةٍ، وَيَبْرُزُ عُنْصُرُ اللَّوْنِ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ مِنْ: (شجر، والنور، والأوراق، وجواهر، والدرّ)، وكلُّها ألوانٌ تحملُ في دلالاتها معاني الفرح، والسَّعادة، والبهجة، والنشوة، ويبرزُ عُنْصُرُ السَّمْعِ فِيهَا بَرُوزاً مُتَمَيِّزاً، فَلَيْسَتْ الْعَيْنُ وَحدها هِيَ الَّتِي تُدْرِكُ الْجَمَالَ وَتَلْحَظُهُ، وَإِنَّمَا مِنَ الْمُمْكِنِ لِلْأُذُنِ أَنْ تُدْرِكَهُ وَتَتَمَتَّعَ فِيهِ، وَيُنْكَشِفُ عُنْصُرُ السَّمْعِ مِنْ قَوْلِهِ: (تشاجر)، إِذْ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ مَا يَنْتُجُ عَنِ تَشَاجُرِ الطُّيُورِ وَتَقَاتِلِهَا مِنْ أَصْوَاتِ مَسْمُوعَةٍ تُطْرِبُ السَّامِعِينَ، كَمَا يَنْكَشِفُ مِنْ وَصْفِ الشَّاعِرِ لَطُّيُورِ الْقِمَارِيِّ وَالْبَلَابِلِ وَهِيَ تُغْرَدُ وَتَتَرَنَّمُ وَتُزْقِرُقُ بَيْنَ الْأَشْجَارِ، حَيْثُ شَبَّهَهَا بِالْقِيَانِ الَّتِي تُغْنِي وَتُرْجِّعُ فِي صَوْتِهَا فَتُطْرِبُ السَّامِعِينَ، وَبِذَلِكَ فَقَدْ كَانَ لِلْعُنْصُرِ السَّمْعِيِّ السَّابِقَةِ دَوْرٌ مُهِمٌّ فِي تَشْكِيلِ هَذَا الْمَشْهَدِ الْجَمِيلِ الَّتِي يُدْخِلُ الطَّرْبَ، وَالنَّشْوَةَ، وَالْفَرَحَ إِلَى النُّفُوسِ، وَلَا سِيَّمًا بَعْدَ اسْتِمَالِهِ عَلَى بَعْضِ الْعُنْصُرِ الْحَرَكَتِيَّةِ الَّتِي تَكْسِرُ رَتَابَةَ الصُّورَةِ وَجَمُودَهَا، وَتَبْعَثُ فِيهَا الْحَيَوِيَّةَ وَالْحَيَاةَ، حَيْثُ إِنَّهَا تَبْرُزُ مِنْ قَوْلِهِ: (تشاجر، وشربنا، ودائر).

وَيَتَحَسَّسُ الْوَأْوَاءُ مَوَاطِنَ جَمَالَ مَعْشُوقِهِ وَحُسْنِهِ وَرَقَّتِهِ وَنُعُومَتِهِ عَنِ طَرِيقِ الصَّوْتِ، وَمَا يَبْعَثُهُ هَذَا الصَّوْتُ مِنْ لَذَّةٍ وَنَشْوَةٍ فِي النَّفْسِ، وَيَنْجَحُ بِالْفِعْلِ فِي ذَلِكَ، حَيْثُ يَقُولُ: (1)

[المجتث]

أَفْدِي الَّذِي شَفَّ قَلْبِي بَغْجِبِهِ وَالتِّيَّهِ
 حَيْثُ يَبْرُزُ الْعُنْصُرُ الصَّوْتِيُّ السَّمْعِيُّ مِنْ مُفْرَدَةٍ (غنجبه)، وَتَعْنِي الصَّوْتُ النَّاتِجَ عَنِ إِحْدَاثِ اللَّذَّةِ عِنْدَ الْمَحْبُوبَةِ، وَهُوَ صَوْتٌ مَشْحُونٌ بِالتَّدَلُّلِ وَالتِّيَّهِ، مُحَبَّبٌ لِلنُّفُوسِ، قَرِيبٌ لِلْقُلُوبِ.
 وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: (2)

[الكامل]

يُوهِيهِ حَمَلٌ وَشَاحِهِ فَتَرَاهُ مِنْ تَرَفِ النَّعِيمِ يَنْنُ فِي إِخْفَاءِ

(1) الوأواء: ديوانه، ص 253.

(2) المصدر السابق، ص 3.

حَيْثُ يَبْرُزُ الْعُنْصُرُ السَّمْعِيُّ مِنْ كَلِمَةٍ (بَيْنَ)، وَهِيَ مُحْمَلَةٌ بِالْمَعَانِي الَّتِي تُسْتَشْفَى مِنْهَا
نُغُومَةُ الْمَحْبُوبَةِ، وَرَقَّتْهَا، وَابْنُهَا، وَدَلَالُهَا، وَتَرْفُهَا، وَالنَّعِيمُ الَّذِي تَعِيشُ فِيهِ، فَهِيَ إِذَا مَا حَمَلَتْ
وَسَاحَهَا، فَإِنَّهَا تَتَعَبُ، وَتَضَعُفُ، وَتَبْدَأُ بِالتَّأَوُّهِ وَالْأَنِينِ.

وَيَلْجَأُ الشَّاعِرُ إِلَى الْأَصْوَاتِ الْمُحْزِنَةِ فِي إِطَارِ رَسْمِهِ لِلصُّورِ الْحَزِينَةِ الْكَثِيبَةِ، فَالْبُكَاءُ
وَالنَّحِيبُ يَتَرَدَّدَانِ عِنْدَهُ بِكَثْرَةٍ، وَلَا سِيَّمَا فِي شِعْرِهِ الْغَزَلِيِّ، فَهُوَ يُحَاوِلُ عَنْ طَرِيقِ تِلْكَ الْأَصْوَاتِ
أَنْ يَنْقُلَ لَنَا جَوَانِبَ مِنْ مُعَانَاتِهِ الدَّائِيَّةِ، وَأَزْمَانِهِ النَّفْسِيَّةِ، وَحُزْنِهِ، وَسَقَمِهِ، وَضَنَاهِ النَّاتِجِ عَنْ فِرَاقِ
مَنْ يَعْشَقُ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: (1)

[الطويل]

وَمَا ذَكَرْتُكَ النَّفْسُ إِلَّا تَصَاعَدَتْ إِلَى الْعَيْنِ فَانْهَلَتْ مَعَ الدَّمْعِ فِي الْبُكَاءِ
فَعُنْصُرُ الصَّوْتِ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ - هُوَ الْبُكَاءُ - يَشْتَمِلُ عَلَى رَنَّةٍ حُزْنٍ، وَشُعُورٍ دَفِينٍ
بِالْأَلَمِ، وَالْحُرْقَةِ، وَالْمَرَارَةِ النَّاتِجَةِ عَنْ غِيَابِ الْمَعْشُوقِ وَهَجْرِهِ.

وَيُوظَّفُ الشَّاعِرُ الْعُنْصُرَ السَّمْعِيَّ ذَاتَهُ فِي صُورَةٍ أُخْرَى؛ لِيُعَبِّرَ عَنِ الْمَضْمُونِ الْحَزِينِ
نَفْسِهِ الَّذِي عَبَّرَ عَنْهُ فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ، يَقُولُ: (2)

[الكامل]

وَبَكَيْتُ مِنْ جَزَعٍ عَلَيْكَ بِحُرْقَةٍ
أَسْفًا عَلَيْكَ كَمَا بَكَى (يَعْقُوبُ)
وَيُوجَدُ عُنْصُرُ صَوْتِي جَدِيدٌ فِي قَوْلِهِ: (3)

[السريع]

يَا مُنْكَرًا شَكْوَايَ نَارَ الْهَوَى
أَفْضُ عَلَيَّ الْمَاءِ أَوْ فَاسِقَتِي
قَدْ زِدْتَنِي كَرْبًا عَلَى كَرْبِي
مَاءً وَكُنْ مِنِّي عَلَى قُرْبِ

(1) الواوَاء: ديوانه، ص8.

(2) المصدر السابق، ص49.

(3) المصدر السابق، ص37-38.

تسمع للماء نشيشاً إذا ما وصل الماء إلى قلبي

فَهُنَا تَتَجَلَّى النَّاحِيَةُ الصَّوْتِيَّةُ فِي مُفْرَدَةٍ (نَشِيشًا)، وَهِيَ مُفْرَدَةٌ تُشِيرُ إِلَى الصَّوْتِ النَّاتِجِ
عَنْ سَكَبِ الْمَاءِ الْبَارِدِ عَلَى سَطْحِ سَاخِنٍ، وَتُظْهِرُ - فِي هَذَا الْإِطَارِ - الْأَلَمَ، وَالْمُكَابِدَةَ، وَالسَّقَمَ،
وَالْمَرَضَ، وَالْمُعَانَاةَ الَّتِي يُعَانِيهَا الشَّاعِرُ مِنْ فِرَاقِ الْمَعشُوقَةِ وَصُدُودِهَا، فَهُوَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُظْهِرَ
لَهَا الْحُرْقَةَ وَالْمَرَارَةَ الَّتِي أَصَابَتْهُ مِنْ حُبِّهَا وَهَيَامِهِ فِيهَا، يَطْلُبُ مِنْهَا أَنْ تَصُبَّ عَلَى جَسَدِهِ
الْمُحْتَرِقِ بِنَارِ الْجَوَى مَاءً بَارِدًا، وَأَنْ تَسْتَمِعَ إِلَى صَوْتِهِ حِينَمَا يُلَامِسُ قَلْبَهُ الْمُلتَهَبَ.

وَيُسْقِطُ الشَّاعِرُ أَحْزَانَهُ وَتَأَوُّهُاتِهِ عَلَى الدَّالِّ السَّمْعِيِّ (أُنَيْنِي) الْوَارِدِ فِي قَوْلِهِ: (1)

[الطويل]

وَصَلْتُ أُنَيْنِي فِي الْهَوَى بِحَيْنِي وَشَكْوَايَ مَا أَلْقَى بِضَعْفٍ يَقِينِي
فَهَذِهِ الْمُفْرَدَةُ تَفِيضُ بَدَلَالَاتِ الْبَيْتِ، وَالشَّكْوَى، وَالْمُعَانَاةَ الَّتِي تَظْهِرُ عَلَى الشَّاعِرِ مِمَّا
يَخْرُجُ مِنْهُ مِنْ أَصْوَاتٍ وَتَأَوُّهُاتٍ وَزَفَرَاتٍ نَاتِجَةٍ عَمَّا أَصَابَهُ مِنْ مُقَاطَعَةِ الْمَعشُوقَةِ وَهَجْرِهَا.

وَفِي قَوْلِ الشَّاعِرِ الْوَأْوَاءِ فِي مَدْحِ الشَّرِيفِ الْعَقِيقِيِّ: (2)

[البيسيط]

إِلَى فَتَى تَضْحَكُ الدُّنْيَا بِغُرَّتِهِ فَمَا تَرَى بَاكِياً فِيهَا إِذَا ابْتَسَمَا
يَسْتَحْضِرُ عَلَامَتَيْنِ صَوْتِيَّتَيْنِ مُتَعَاكِسَتَيْنِ، أُولَاهُمَا (الضَّحْكُ)، وَقَدْ وَرَدَتْ فِي صُورَةٍ
اسْتِعَارِيَّةٍ تَمَّ فِيهَا تَشْخِيصُ الدُّنْيَا بِامْرَأَةٍ تَضْحَكُ، وَدَلِّكَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى رِخَاءِ الْعَيْشِ وَسَعَتِهِ، وَحَالَةِ
الْفَرَحِ وَالسَّرُورِ الَّتِي يَعْيشُهَا النَّاسُ تَحْتَ حُكْمِ الْمَمْدُوحِ، أَمَّا الثَّانِيَةُ، فَهِيَ (البُكَاءُ)، وَقَدْ سُبِقَتْ
بِأَدَاةِ نَفْيٍ، وَهِيَ بِذَلِكَ تُدَلِّلُ عَلَى خُلُوقِ بِلَادِ الْمَمْدُوحِ مِنَ الظُّلْمِ، وَالْفَقْرِ الَّذِي يَنْتُجُ عَنْهُ الْبُكَاءُ
وَالنَّحِيبَ.

(1) الواوَاء: ديوانه، ص 235.

(2) المصدر السابق، ص 194.

وَفِي صُورَةٍ أُخْرَى، اعْتَمَدَ الشَّاعِرُ فِي إِخْرَاجِهَا وَتَشْكِيلِهَا عَلَى الْأَصْوَاتِ الصَّادِرَةِ عَنِ كُلِّ مِنَ النَّايِ وَالْعُودِ، وَعَلَى غِنَاءِ الْمَحْبُوبَةِ، وَقَدْ صَبَغَ تِلْكَ الْأَصْوَاتِ وَالْمُوسِيقَى الْمَسْمُوعَةَ بِمَعَانِي الْحُزَنِ، وَالْبُكَاءِ، وَالإِنْتِحَابِ، حَيْثُ جَعَلَ الْأَصْوَاتِ الَّتِي تَخْرُجُ مِنَ النَّايِ أَشْبَهَ بِالنَّدْبِ، وَالْأَصْوَاتِ الَّتِي تَصْدُرُ عَنِ الْعُودِ أَقْرَبَ إِلَى الإِنْتِحَابِ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ عَائِدٌ إِلَى أَنَّ الْمُغْنِيَةَ الَّتِي كَانَتْ تُغْنِي فِي هَذَا الْمَجْلِسِ تُظْهِرُ لِلشَّاعِرِ الصُّدُودَ وَالْإِعْرَاضَ، فَعَبَّرَ بِذَلِكَ عَنِ حُزْنِهِ، وَالْمَهْ عَنِ طَرِيقِ الصُّورَةِ السَّمْعِيَّةِ الْمُسْقِطَةِ عَلَى الْأَصْوَاتِ الَّتِي يَسْمَعُهَا، وَيُظْهِرُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ: (1)

[الخفيف]

بَعْدَ يَأْسٍ مِنْ مُغْرَمٍ بِاجْتِنَابِ	زَمَنْ مِثْلُ زُورَةِ الْأَحْبَابِ
شُ، مُدَامًا تُجَلِّي بِحُلِيِّ الْحَبَابِ	فَاسْقِنِي يَا غُلَامُ، عَاشَ لِي الْعَيِّ
حَ فَدَا نَادِبٌ وَذَا فِي إِنْتِحَابِ	مَا تَرَى النَّايَ نَبَّهَ الْعُودَ يَا صَا
ءَ لِتَغْرِيدِهِ عَنِ الْإِضْطِرَابِ	وَعِنَاءٍ يَكَادُ أَنْ يَسْكُنَ الْمَا
وَمَوَاعِيْدُهَا كَلَمَعَ السَّرَابِ	مِنْ فَتَاةٍ وَصَالِهَا لِي صُدُودٌ

ج- الصُّورَةُ اللَّمْسِيَّةُ:

لَقَدْ سَاهَمَتِ الصُّورَةُ اللَّمْسِيَّةُ فِي تَشْكِيلِ كَثِيرٍ مِنَ الصُّورِ الْفَنِّيَّةِ الَّتِي نَسَجَهَا الْوَأَوَاءُ الدَّمَشْقِيُّ فِي أَشْعَارِهِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَتَبَرَّرُ حَاسَةً اللَّمْسِ فِي تِلْكَ الصُّورِ مِنَ الْأَبْيَاتِ الَّتِي يُصَوِّرُ فِيهَا مَا يُمَكِّنُ التِّمَاسُةَ وَتَحَسُّهُ مِنْ نَعُومَةٍ، وَطَرَاوَةٍ، وَلَيُونَةٍ، وَخُسُونَةٍ، وَصَلَابَةٍ، وَحَرَارَةٍ.

وَبَعْدَ اسْتِعْرَاضِ شَعْرِ الْوَأَوَاءِ وَالتَّدْقِيقِ فِيهِ، فَإِنَّهُ يُلَاحِظُ أَنَّهُ تَكَثَّرَ فِي تَصَوِيرَاتِهِ الْغَزَلِيَّةِ الْأَلْفَاظُ الْمُوحِيَّةُ بِالنُّعُومَةِ، وَالرُّطُوبَةِ، وَالْمَلَّاسَةِ، وَالرَّفَقَةَ، وَاللَّيُونَةَ، وَالإِنْثَاءَ، وَهِيَ إِحْيَاءُ تَرْتَبِطُ ارْتِبَاطًا مُبَاشِرًا بِحَاسَةِ اللَّمْسِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي الْمَحْبُوبَةِ: (2)

[البسيط]

يَا مَنْ هُوَ الْمَاءُ فِي تَكْوِينِ خَلْقَتِهِ وَمَنْ هُوَ الْخَمْرُ فِي أَفْعَالِ مُقْلَتِهِ

(1) الواوَاء: ديوانه، ص 11-12.

(2) المصدر السابق، ص 65.

عَلَّمَتْ إِنْسَانَ عَيْنِي أَنْ يَعُومَ فَقَدْ جَادَتْ سِبَاحَتُهُ فِي مَاءِ دَمْعَتِهِ
فَفِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ نَجْدٌ مُفْرَدَةٌ (الماء)، وَهِيَ فِي هَذَا الْإِطَارِ تُقَدِّمُ صُورَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ، هُمَا:
لُونِيَّةٌ، بِمَا تُضْفِيهِ عَلَى جَسَدِ الْمَحْبُوبَةِ مِنْ لَمَعَانٍ، وَإِشْرَاقٍ، وَتَلَالُؤٍ وَصَفَاءٍ، وَأُخْرَى لَمْسِيَّةٌ، بِمَا
تُوحِيهِ مِنْ اتِّصَافِ بَشَرَتِهَا بِالنُّعُومَةِ، وَالرُّطُوبَةِ، وَالرَّقَّةِ الْبَيِّنَةِ الْوَاضِحَةِ.

وَالْمُبَالَغَةِ فِي إِظْهَارِ نُعُومَةِ جَسَدِ الْمَعْشُوقَةِ وَطَرَاوَتِهِ لَجَأَ الشَّاعِرِ إِلَى صُورَةٍ اسْتِعَارِيَّةٍ
جَعَلَ فِيهَا النَّظْرَاتِ خَنَاجِرَ تَجْرَحُ جَسَدَ هَذِهِ الْمَعْشُوقَةِ وَتُلْحِقُ الْأَذَى فِيهِ، فَلَوْلَا نُعُومَةُ بَشَرَتِهَا، لَمَا
جَرَحَتْهَا النَّظْرَاتِ، يَقُولُ: (1)

[الخفيف]

رَشَاءٌ كُلَّمَا سَرَى اللَّحْظُ فِيهِ جَرَحَتْهُ خَنَاجِرُ الْأَبْصَارِ
وَفِي صُورَةٍ أُخْرَى اعْتَمَدَ عَلَى الصُّورَتَيْنِ اللَّوْنِيَّةِ وَاللَّمْسِيَّةِ، مُوظِّفًا التَّشْبِيهَ الْمَقْلُوبَ؛
لِإِبْرَازِ جَمَالِ الْمَعْشُوقَةِ وَتَمَيُّزِهَا وَحُسْنِهَا، وَتَبَرُّزِ الصُّورَةِ اللَّوْنِيَّةِ مِنْ تَصْوِيرِهِ النَّرْجِسِ بَعَيْنِي
الْمَحْبُوبَةِ، وَتَصْوِيرِهِ الدُّرَّ بِأَسْنَانِهَا، وَتَظْهَرُ الصُّورَةُ اللَّمْسِيَّةُ مِنْ تَشْبِيهِهِ الْوَرْدَ بِخَدَّهَا مِنْ جِهَةِ
النُّعُومَةِ وَاللِّطَافَةِ وَالرَّقَّةِ، فَأَيُّ خَدِّ ذَلِكَ الَّذِي يُشَبِّهُ الْوَرْدُ بِهِ!!!، يَقُولُ: (2)

[البسيط]

النَّرْجِسُ الْعَضُّ مِنْ أَجْفَانِ مُقَلَّتِهِ وَالْوَرْدُ مِنْ خَدِّهِ وَالدُّرُّ مِنْ فِيهِ
وَلَا يَزَالُ الشَّاعِرُ يَتَحَسَّسُ مَوَاطِنَ الْجَمَالِ، وَالنُّعُومَةِ، وَاللِّيُونَةَ فِي الْمَعْشُوقَةِ، وَيَظْهَرُ ذَلِكَ
مِنْ قَوْلِهِ: (3)

[الطويل]

تَتَنَّى فَكَادَ الْعُصْنُ أَنْ يَتَقَصِّفَا وَقَدْ هَزَّ مِنْهُ التِّيَهُ عُصْنَا مُهْفَهَفَا

(1) الوأواء: ديوانه، ص 94.

(2) المصدر السابق، ص 251.

(3) المصدر السابق، ص 152.

فَفِي هَذَا الْمَشْهَدِ يُقَدِّمُ الْجَمَالَ فِي صُورَةٍ مَلْمُوسَةٍ مَحْسُوسَةٍ، فَيُصَوِّرُ مَشِيَةَ الْمَحْبُوبَةِ وَهِيَ تَنْتَنِي وَتَتَمَائِلُ وَتَتَرَنِّحُ، فَيَجْعَلُهَا وَهَذِهِ الْحَالُ كَالْغُصْنِ النَّاعِمِ الرَّطْبِ الرَّفِيقِ الَّذِي تَتَلَاعَبُ الرِّيَّاحُ فِيهِ، فَتَمِيلُهُ يَمَنَةً وَيَسْرَةً، وَهُنَا يَجْدُرُ بِنَا التَّنْبِيهِ إِلَى مَا يُضْفِيهِ التَّنْتَنِي وَالتَّمَائِلُ عَلَى هَذَا الْمَشْهَدِ مِنْ جَمَالٍ وَبَهَاءٍ عَلَى مُسْتَوِيَيْنِ، أَوْلَهُمَا: الْمَحْبُوبَةُ، وَمَا يُضْفِيهِ عَلَيْهَا مِنْ صِفَاتِ التَّدَلُّلِ، وَالتَّيِّهِ، وَالتَّكْبُرِ، وَثَانِيَهُمَا: الصُّورَةُ نَفْسُهَا الَّتِي قَدَّمَهَا الشَّاعِرُ، وَيَبْرُزُ الْجَمَالَ الَّذِي يُضْفِيهِ التَّرْنُحُ وَالتَّمَائِلُ عَلَيْهَا مِنْ الْحَرَكَةِ وَالْحَيَوِيَّةِ وَالْحَيَاةِ الَّتِي تَبْنُهَا فِيهَا، فَتُبْعِدُهَا عَنِ السُّكُونِ وَالرَّتَابَةِ الْمَمْقُوتَةِ.

وَيُكْرَرُ شَيْئاً مِنَ الْمَشْهَدِ السَّابِقِ فِي قَوْلِهِ مُعْتَمِداً عَلَى حَاسَّةِ اللَّمَسِ: (1)

[الكامل]

وَمَهْفَهْفُ كَالْغُصْنِ هَزَّتَهُ الصَّبَا فَصَبَا إِلَيْهِ مِنَ الْفُتُونِ هَوَائِي
فَالْمَحْبُوبَةُ نَاعِمَةٌ الْمَلْمَسِ، رَقِيقَةٌ الْجَسَدِ، لَيِّنَةٌ الْقَوَامِ، لَا تَسْتَطِيعُ مُقَاوَمَةَ الرِّيْحِ، لِذَا فَإِنَّهَا تَتَمَائِلُ وَتَتَرَنِّحُ تَبَعاً لَوَجْهِتِهَا.

وَيَسْتَحْضِرُ الْوَأْوَاءُ فِي إِحْدَى صُورِهِ اللَّمْسِيَّةِ الْغَزَلِيَّةِ الْحَرَارَةَ الَّتِي يُعَانِي مِنْهَا الْمَعْشُوقُ بِفِعْلِ إِصَابَتِهِ بِدَاءِ الْجَرَبِ، وَالْحَرَارَةَ الَّتِي يُعَانِي مِنْهَا الشَّاعِرُ نَفْسُهُ نَتِيجَةَ حُبِّهِ، وَنَفَاتِهِ الْحَرَى الَّتِي يَبْنُهَا لَهُ، حَيْثُ يَبْدُو هَذَا الْحُبُّ مُنْقِداً فِي قَلْبِهِ، مُتَأَجِّجاً فِي فُؤَادِهِ كَالنَّارِ الْمُلْتَهَبَةِ، يَقُولُ: (2)

[مجزوء الرمل]

يَا صُرُوفَ الدَّهْرِ حَسْبِي	أَيُّ ذَنْبٍ كَانَ ذَنْبِي
طَرَقْتَنِي نَائِبَاتُ الدَّ	هَرَفِي إِعْلَالِ حُبِّي
عَلَّةٌ عَمَّتْ وَخَصَّتْ	فِي حَبِيبٍ وَمُحِبِّ
دَبَّ فِي كَفِّيهِ مَا مِنْ	حُبِّهِ دَبَّ بِقَلْبِي
فَهُوَ يَشْكُو حَرَّ حَبِّ	وَاشْتِكَايَ حَرِّ حُبِّ

(1) الواوَاء: ديوانه، ص3.

(2) المصدر السابق، ص56-57.

وَيُوظَّفُ الشَّاعِرُ حَاسَةً اللَّمَسِ فِي مَدَائِحِهِ، فَيَقُولُ فِي الشَّرِيفِ الْعَقِيقِيِّ: (1)

[الخفيف]

غُصْنٌ لَيْنٌ الْمَهْزَّةَ لَدُنْ زَاهِرِ الزَّهْرِ مُثْمِرِ الْإِثْمَارِ
فَهُوَ هُنَا يُصْرِّحُ تَصْرِيحًا مُبَاشِرًا بِاتِّصَافِ مَمْدُوحِهِ بِاللَّيُونَةِ، وَهِيَ سِمَةٌ مُرْتَبِطَةٌ ارْتِبَاطًا
مُبَاشِرًا بِحَاسَةِ اللَّمَسِ، وَذَلِكَ كِنَايَةً عَنِ تَسَاهُلِهِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ، وَكَرَمِهِ وَسَخَائِهِ عَلَيْهِمْ،
وَلَا تَتَّصِفُهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ جَعَلَهُ الشَّاعِرُ غُصْنًا لَيِّنًا رَطْبًا مُمْتَلِنًا بِالْأَزْهَارِ وَالْإِثْمَارِ الَّتِي تُشَكِّلُ مَوْضِعَ
إِعْجَابِ النَّاسِ الَّذِينَ يَلْتَفُونَ حَوْلَهَا، فِي إِشَارَةٍ إِلَى إِعْجَابِ النَّاسِ بِالْمَمْدُوحِ وَالتَّفَافِهِمْ حَوْلَهُ؛ طَمَعًا
فِي الْعَطَاءِ وَالنَّوَالِ.

وَيُعَاوِدُ فِي قَصِيدَةٍ أُخْرَى اسْتِعْمَالَ حَاسَةِ اللَّمَسِ فِي إِطَارِ تَعْبِيرِهِ عَنِ كَرَمِ الْمَمْدُوحِ
وَسَخَائِهِ، وَاتِّسَاعِ سُبُلِ الْعَيْشِ فِي ظِلِّ حُكْمِهِ، وَذَلِكَ عَنِ طَرِيقِ اسْتِعْمَالِ الدَّالِّ اللَّمَسِيِّ (أَرطَب،
وَاللَّيِّنُ)، يَقُولُ: (2)

[المنسرح]

مَا أَرطَبَ الْعَيْشَ فِي ذَرَاكَ وَمَا أَهْنَا النَّدى فِي جَنَابِكَ اللَّيِّنِ
وَكَمَا أَظْهَرَ الشَّاعِرُ مَمْدُوحَهُ لَيِّنًا عَطُوفًا، فَإِنَّهُ أَظْهَرَهُ خَشِنًا صَلْبًا كَالسَّيْفِ الْفَاطِعِ وَالْأَسَدِ
الْفَاتِكِ، يَقُولُ: (3)

[المنسرح]

يَنْظُرُ مِنْكَ الْأَنَامُ بَدْرَ دُجَى وَصَارِمًا فَاتِكَ الْغَرَارِينَ
وَالشَّمْسُ، لَمَّا بَرَزَتْ، بَارِزَةً وَالْأَسَدَ الْبَاسِطَ الذَّرَاعِينَ

(1) الوأواء: ديوانه، ص 96.

(2) المصدر السابق، ص 222.

(3) المصدر السابق، ص 223.

تَشْتَمِلُ هَذِهِ الصُّورَةُ عَلَى دَوَالٍ لَوْنِيَّةٍ وَأُخْرَى لَمَسِيَّةٍ، أَمَّا اللَّوْنِيَّةُ، فَتَتَمَثَّلُ فِي مُفْرَدَاتِي (البدْر، والشمس)، فِي إِشَارَةِ إِلَى اتِّصَافِ الْمَمْدُوحِ بِالطُّهْرِ، وَالصَّفَاءِ، وَالسُّمُوِّ، وَالْإِبْتِعَادِ عَنِ كُلِّ دَنَسٍ وَنَقْصٍ وَعَيْبٍ، وَأَمَّا اللَّمَسِيَّةُ، فَهِيَ مُفْرَدَاتَا (صارم، وأسد)، فَالشَّاعِرُ وَصَفَ مَمْدُوحَهُ بِالقُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ وَشِدَّةِ الْبَاسِ حِينَمَا شَبَّهَهُ بِالسَّيْفِ الْقَاطِعِ تَارَةً، وَبِالْأَسَدِ الْفَاتِكِ تَارَةً أُخْرَى، وَكَأَنَّهُ أَرَادَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَتَوَصَّلَ بِحَاسَةِ اللَّمَسِ إِلَى تِلْكَ الْمَعَانِي بِمَا تُوجِيهِ تَصَوِّيرَاتُ السَّيْفِ وَالْأَسَدِ مِنَ الْخُشُونَةِ، وَالْغِلْظَةِ، وَالصَّلَابَةِ.

وَيَجْمَعُ فِي مَدْحِهِ لِلشَّرِيفِ الْعَقِيقِيِّ بَيْنَ صِفَتِي الْخُشُونَةِ وَاللُّيُونَةِ، حَيْثُ يُصْرِّحُ بِهِمَا فِي قَوْلِهِ: (1)

[الكامل]

كَالشَّمْسِ حُسْنًا وَالْحَسَامِ خُشُونَةً وَالْمُزْنَ جُودًا وَالْأَرَكَةَ لِينًا
وَيَسْتَعِدُّ الْوَأْوَاءَ حَاسَةَ اللَّمَسِ فِي خَمْرِيَّاتِهِ، فَهُوَ -كَغَيْرِهِ مِنَ الشُّعْرَاءِ- يَحْسُ بِحَرَارَةِ
الْخَمْرِ وَاتَّقَادِهَا، وَيَظْهَرُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ: (2)

[المنسرح]

وَبِنْتِ كَرَمٍ كَأَنَّهَا لَهَبٌ تَكَادُ مِنْهَا الْأَكْفُ تَلْتَهَبُ
فَهُوَ هُنَا يُشَبِّهُ الْخَمْرَ بِلَهَبِ النَّارِ الْمُتَقَدَّةِ فِي لَوْنِهِ وَحَرَارَتِهِ، إِذْ إِنَّ الْأَكْفَ شَارِبِيهَا وَمُعَاقِرِيهَا
تَكَادُ تَحْتَرِقُ عِنْدَ لَمْسِهَا وَتَتَاوَلُهَا؛ لِشِدَّةِ حَرَارَتِهَا.

د - الصُّورَةُ الذُّوقِيَّةُ:

يُؤَظَّفُ الشَّاعِرُ الْوَأْوَاءَ الْعَدِيدَ مِنْ مُتَعَلِّقَاتِ حَاسَةِ الذُّوقِ فِي بِنَاءِ بَعْضِ صُورِهِ الْفَنِّيَّةِ
وَصِبَاغَتِهَا، حَيْثُ يَرِصُدُ فِيهَا الطُّعُومَ الْمُخْتَلِفَةَ مِنْ حَلَاوَةٍ وَمَرَارَةٍ، وَيَتَجَلَّى ذَلِكَ أَكْثَرَ مَا يَتَجَلَّى فِي

(1) الوأواء: ديوانه، ص 218.

(2) المصدر السابق، ص 35.

وَصَفِهِ لِرَيْقٍ مَنْ يَعَشَقُ، فَهُوَ كَثِيرًا مَا يَعْمَدُ فِي وَصْفِهِ لِرِضَابِ الْمَحْبُوبَةِ إِلَى قَرْنِهِ بِالْخَمْرِ وَتَشْبِيهِهِ فِيهَا، كَمَا فِي قَوْلِهِ: (1)

[المتقارب]

تَرَشَّفْتُ مِنْ شَفْتَيْهِ الْعُقَارَا وَقَبَّلْتُ مِنْ خَدِّهِ الْجَانَارَا
وَشَاهَدْتُ مِنْهُ كَثِيْبًا مَهِيْلًا وَعَصْنَا رَطِيْبًا وَبَدْرًا أَنْارَا
وَأَبْصَرْتُ مِنْ وَجْهِهِ فِي الظَّلَامِ بِكُلِّ مَكَانٍ بَلِيْلٍ نَهَارَا

حَيْثُ يَجْعَلُ الشَّاعِرُ هُنَا رَيْقَ الْمَحْبُوبَةِ شَهِيْبًا لَذِيْدًا كَالْعُقَارِ، وَالْجَامِعُ الْمُشْتَرَكُ بَيْنَهُمَا هُوَ إِحْدَاثُ اللَّذَّةِ وَالنَّشْوَةِ فِي النَّفْسِ، وَبِذَلِكَ فَالْصُّوْرَةُ تَقُومُ عَلَى حَاسَّةِ الذُّوقِ وَتَعْتَمِدُ عَلَيْهَا اعْتِمَادًا كَثِيْبًا، فَرَيْقُ الْمَعْشُوقَةِ يُوقِرُ لِلشَّاعِرِ الْإِحْسَاسَ بِالنَّشْوَةِ الْمُتْرْتَبَةِ عَلَى حَلَاوَتِهِ، وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْحَلَاوَةُ حَلَاوَةً مَعْنَوِيَّةً تَحْسُهَا النَّفْسُ وَالرُّوْحُ لَا اللِّسَانَ، وَإِذَا مَا أَمَعْنَا النَّظَرَ فِي الْفِعْلِ (تَرَشَّفْتُ)، نَجِدُهُ يَحْمِلُ فِي أَثْنَائِهِ مَعَانِي التَّلَذُّذِ وَالتَّمَتُّعِ الَّتِي تُرَافِقُ عَمَلِيَّةَ الشُّرْبِ، فِي دَلَالَةٍ عَلَى طِيْبِ طَعْمِ الْمَشْرُوبِ وَحَلَاوَتِهِ، وَفِي إِطَارِ آخِرٍ، وَكِي يُظْهِرَ الشَّاعِرُ جَمَالَ تِلْكَ الْمَحْبُوبَةِ وَتَمِيْزَهَا، فَإِنَّهُ يَعْتَمِدُ عَلَى حَاسَّةِ اللَّمْسِ؛ لِبَيَانِ نُعُومَةِ خَدِّهَا، وَرَقَّتِهِ وَطَرَاوَتِهِ، فَيُشَبِّهُهُ بِزَهْرِ الرُّمَّانِ، وَكَذَلِكَ لِإِبْرَازِ نُعُومَةِ قَدِّهَا وَلِيُونَتِهِ، حَيْثُ يَجْعَلُهُ غُصْنَا طَرِيْبًا رَطْبًا، يَتَمَايَلُ وَيَنْتَنِي وَفَقَّ اتِّجَاهَ الرِّيْحِ، ثُمَّ تَظْهَرُ الصُّوْرَةُ اللَّوْنِيَّةُ لِإِكْمَالِ تِلْكَ الصُّوْرَةِ الْمُثَالِيَّةِ الَّتِي يَرَسُمُهَا الشَّاعِرُ لِلْمَعْشُوقَةِ، وَذَلِكَ عَن طَرِيْقِ اسْتِعْمَالِ الدَّلَائِلِ اللَّوْنِيَّةِ (البدر، والنهار)، وَمَا يُضْفِيَانِهِ عَلَيْهَا مِنْ مَعَانِي الصَّفَاءِ، وَالنَّقَاءِ، وَالضِّيَاءِ، وَالْإِشْرَاقِ.

وَهَا هُوَ ذَا الْوَأَاءِ يُصْرِّحُ بِأَنَّ رِضَابَ الْمَعْشُوقَةِ وَرَيْقَهَا خَمْرٌ ظَلَّ يَعْلُ مِنْهُ حَتَّى تَمَلَّ وَسَكَّرَ وَانْتَشَى مِنْ طَعْمِهِ تَمَامًا كَمَا يَنْتَشِي مِنَ الْخَمْرِ وَيَثْمَلُ، يَقُولُ: (2)

[الخفيف]

يَفْعَلُ الرِّيْقُ مِنْهُ مَا تَفْعَلُ الْخَمْرُ رُ وَاكِنَ بِلَا تَأْدِي خُمَارِ

(1) الوأاء: ديوانه، ص 269.

(2) المصدر السابق، ص 94.

فَلِهَذَا الرِّضَابِ مَفْعُولٌ سِحْرِيٌّ قَوِيٌّ كَالَّذِي يَنْتُجُ عَنِ الخَمْرِ، حَيْثُ تَسْرِي بِفِعْلِهِ قُوَى خَفِيَّةٌ فِي الجِسْمِ، فَتَجْعَلُهُ فِي حَالَةِ سُكْرِ وَاِنْتِشَاءٍ، وَإِنْ كَانَ لَا يَحْتَوِي عَلَى عَنَاصِرِ السُّكْرِ وَمُسَبِّبَاتِهِ الْمُتَوَافِرَةِ فِي الخَمْرِ الحَقِيقِيِّ.

وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَالشَّاعِرُ يَسْتَعْنِي عَنِ الخَمْرِ الحَقِيقِيِّ، وَيَقْنَعُ بِرَبِيقِ المَحْبُوبَةِ وَيَكْتَفِي بِهِ كَوَسِيلَةٍ لِلْوُصُولِ إِلَى حَالَةِ السُّكْرِ وَاِلْتِشَاءِ التي يَطْلُبُهَا، يَقُولُ: (1)

[الكامل]

تَغْنِي عَنِ التُّفَاحِ حُمْرَةَ خَدِّهِ وَتَنْوِبُ رَيْقَتَهُ عَنِ الصَّهْبَاءِ
وَيَقْدِّمُ الشَّاعِرُ صُورَةَ لَطِيفَةٍ، تَعْتَمِدُ عَلَى حَاسَةِ الذَّوْقِ، لِفَاكِهَةِ البَطِيخِ اللَّذِيذَةِ، حَيْثُ يَجْعَلُ مَذَاقَهَا أَكْثَرَ حَلَاوَةً مِنَ المَنْ الشَّدِيدِ الحَلَاوَةِ فِي طَبِيعَتِهِ، وَتُوَدِّي (تُرَشِّفَتُهُ، وَأَحْلَى) فِي هَذَا الإِطَارِ دَوْرًا كَبِيرًا فِي بَيَانِ مَدَى تَلَذُّذِ الشَّاعِرِ وَتَمَتُّعِهِ وَهُوَ يَتَنَاوَلُ هَذِهِ الفَاكِهَةَ، وَيَظْهَرُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ: (2)

[السريع]

وَذَاتِ رَيْقٍ إِنْ تَرَشَّفْتَهُ وَجَدْتَهُ أَحْلَى مِنَ المَنْ
وَلَمْ يَكْتَفِ الوَأَاءُ بِتَوْظِيفِ حَاسَةِ الذَّوْقِ فِي المَحْسُوسَاتِ المَلْمُوسَاتِ وَحَسَبَ، وَإِنَّمَا رَاحَ يُوْظِفُهَا فِي المَعْنَوِيَّاتِ كَذَلِكَ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: (3)

[البسيط]

دُونَ المُنَى فِي الهَوَى يَأْ نَفْسِ آفَاتُ كَأْسِ الهَوَى حُلُوءَةً فِيهَا مَرَارَاتُ
فَهُوَ هُنَا يَسْتَعْمِلُ حَاسَةَ الذَّوْقِ لِيَكْشِفَ عَنِ حَالَتِهِ النَّفْسِيَّةِ وَمَا يَشْعُرُ بِهِ مِنْ فَرَحٍ، وَسَعَادَةٍ، وَنَشْوَةٍ بِوَصَالِ المَحْبُوبَةِ وَلِقَائِهَا، وَهَذَا مَا عَبَّرَ عَنْهُ بِاسْتِعْمَالِ الدَّالِّ الذَّوْقِيِّ (الحلاوة)، وَكَذَلِكَ لِلْكَشْفِ عَنِ حَالَةِ الحُزْنِ، وَالكَابَةِ، وَالأَلَمِ، وَالسَّقَمِ، وَالمُعَانَاةِ النَّاجِمَةِ عَنِ هَجْرَانِ المَحْبُوبَةِ وَفِرَاقِهَا

(1) الوأواء: ديوانه، ص4.

(2) المصدر السابق، ص277.

(3) المصدر السابق، ص61.

وَبَيْنَهَا لَهُ، وَيَبْدُو أَنَّ هَذَا هُوَ الطَّابِعُ الْغَالِبُ عَلَى عِلَاقَتِهِ مَعَهَا، وَهَذَا مَا يُسْتَشْفَى مِنْ اسْتِعْمَالِهِ لِلْعَلَامَةِ
الدَّقِيقَةِ (المرارات)، فَالْحُبُّ عِنْدَهُ حُلُوٌّ حِينًا، وَمُرٌّ أحيانًا، وَقَدْ خَبَرَ الْأَمْرَيْنِ مَعًا، نَظْرًا لِتَجَارِيهِ
الْغَرَامِيَّةِ الْمُتَعَدِّدَةِ فِي مَسِيرَةِ حَيَاتِهِ.

وَفِي قَوْلِهِ فِي الْمَرْأَةِ الْمَحْبُوبَةِ: (1)

[الخفيف]

حُلُوَّةُ الْخُلُقِ مُرَّةُ الْخُلُقِ قَدْ أَصْنُ بَحْتُ مِنْهَا فِي الْحُبِّ أَعْمَى أَصَمًّا
استحضَرَ الْعَلَامَةُ الدَّقِيقَةُ (حُلُوَّةُ الْخُلُقِ)، لِلدَّلَالَةِ عَلَى جَمَالِ الْمَحْبُوبَةِ وَحُسْنِهَا، وَالْعَلَامَةُ
الدَّقِيقَةُ (مُرَّةُ الْخُلُقِ)، لِلتَّعْبِيرِ عَنِ ابْتِدَالِهَا، وَعَدَمِ عَفْتِهَا، وَقِلَّةِ حَيَاتِهَا، وَفَسَادِ أَخْلَاقِهَا.

وَفِي خِتَامِ دِرَاسَةِ مَحَاوِرِ الصُّورَةِ فِي شِعْرِ الْوَأْوَاءِ الدَّمَشْقِيِّ، يُؤَكِّدُ الْبَاحِثُ عَلَى الدَّورِ
الكَبِيرِ الَّذِي اضْطَلَعَتْ بِهِ الْحَوَاسُّ الْمُخْتَلَفَةُ فِي صِيَاغَةِ صُورِهِ، وَتَشْكِيلِهَا، وَإِخْرَاجِهَا إِلَى الْعِيَانِ،
وَيُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ أَقَامَ بَعْضَ صُورِهِ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ حَاسَّةٍ، فَالصُّورَةُ -أَيَّةُ صُورَةٍ- مُشْتَرَكَةٌ، أَيَّ أَنَّهَا
نَتَاجُ الْحَوَاسِّ الْمُخْتَلَفَةِ الْمُتَعَدِّدَةِ، وَيَتَجَلَّى ذَلِكَ أَكْثَرَ مَا يَتَجَلَّى فِي مَقْطُوعَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعُهَا: (2)

[المتقارب]

تَرَشَّفْتُ مِنْ شَفْتَيْهِ الْعُقَارَا وَقَبَّلْتُ مِنْ خَدِّهِ الْجُنَّارَا
حَيْثُ تَتَكَاتَفُ فِي بِنَائِهَا ثَلَاثُ حَوَاسِّ، هِيَ: الذُّوقُ، وَاللَّمْسُ، وَالْبَصَرُ.

ثَالِثًا: التَّشْخِيفُ (أَبْرَزُ دَعَائِمِ التَّصْوِيرِ الْفَنِيِّ فِي شِعْرِ الْوَأْوَاءِ):

يَقُومُ التَّشْخِيفُ عَلَى تَقْدِيمِ "المعاني المجردة، ومظاهر الطبيعة الجامدة في صور كائنات
حية تحس وتتحرك وتنبض بالحياة" (3)، وَفِيهِ تَرْتَفَعُ الْأَشْيَاءُ الْحِسِّيَّةُ وَالْمَعْنَوِيَّةُ إِلَى مَرْتَبَةِ الْإِنْسَانِ

(1) الوأواء: ديوانه، ص 208.

(2) المصدر السابق، ص 269.

(3) القاضي، النعمان: أبو فراس الحمداني: الموقف والتشكيل الجمالي، مصر: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1982،

مُسْتَعِيرَةً صِفَاتِهِ وَمَشَاعِرَهُ وَأَفْعَالَهُ⁽¹⁾، وللتشخيص ارتباط وثيق بالصورة الحسية، ودور فعال في تقريب صور المعنويات، وتوضيح معالمها، ونقل تجربة الشاعر العاطفية والنفسية والفكرية إلى المتلقين في تشكيل جمالي مؤثر⁽²⁾، فهو "نو قدرة على التكثيف والاقتصاد والإيجاز"⁽³⁾.

وكان التشخيص من أهم الأساليب التصويرية التي اعتمد عليها الوأء الدمشقي في تقديم صورته وأفكاره ومعانيه وإبرازها، فكثيراً ما أنزل الجمادات المتنوعة، والصور المعنوية منزلة الإنسان، ف"ألبس معانيه صوراً آدمية تشعر وتحس، تسمع وتتكلم"⁽⁴⁾، الأمر الذي منح دوراً فعالاً في تقريب الصور المعنوية وتوضيح أبعادها؛ فيها نقل الشاعر تجربته العاطفية والنفسية والفكرية، فاستطاع أن يمنح الحياة للجوامد، فبدت الصور الجامدة ناطقة حية، يستطيع المتلقي أن يحس بها ويشعر بحيويتها⁽⁵⁾.

وقد أكثر الوأء من تشخيص مظاهر الطبيعة، ولا سيما الكواكب والنجوم، فها هو ذا يُشخص الكواكب بإنسان يبكي على غياب الأحباب، وذلك في سياق حديثه عن سرعة انقضاء ساعات الليل عند اللقاء بالمحبوبة: (6)

[الطويل]

كواكبُهُ تَبْكِي عَلَيْهِ كَأَنَّهَا تَكُنُّ الدُّجَى أَوْ دُفْنَ هَجَرَ الحَبَائِبِ
وَيُشَخِّصُ الجَوَازِءَ، وَيَجْعَلُ لَهَا يَدًا تُعَانِقُ فِيهَا: (7)

[الخفيف]

وَيَمِينُ الجَوَازِءِ تَبْسُطُ بَاعًا لِعِنَاقِ الدُّجَى بَغِيرِ بَنَانٍ

(1) يُنظر: الرباعي، عبد القادر: الصورة الفنية في شعر أبي تمام، ط2، بيروت-لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1999، ص210.

(2) القاضي، النعمان: أبو فراس الحمداني، ص439.

(3) ناصف، مصطفى: الصورة الأدبية، ط2، بيروت: دار الأندلس، 1981، ص136.

(4) زاهر، جمال: شعر الوأء الدمشقي، ص218.

(5) صباح، عصام لطف: الصورة الفنية في شعر الوأء الدمشقي، ص118.

(6) الوأء: ديوانه، ص26.

(7) المصدر السابق، ص243.

وَيَجْعَلُ الشَّمْسَ إِنْسَانًا حَسُودًا، كَمَا أَنَّهُ يَجْعَلُ الْغُصْنَ إِنْسَانًا يَغَارُ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ فِي
الْمَحْبُوبَةِ: (1)

[السريع]

تَحْسُدُهُ الشَّمْسُ عَلَى حُسْنِهِ كَمَا يَغَارُ الْغُصْنُ مِنْ قَدِّهِ
وَيَكْثُرُ الْوَأْوَاءُ مِنْ تَشْخِيسِ الصُّبْحِ وَاللَّيْلِ، فَهِيَ هُوَ ذَا يَجْعَلُ لِلصُّبْحِ وَجْهًا: (2)

[مجزوء الرمل]

طَطَّالْعَتِي كَطُّوْعِ الْ بَدْرِ فِي وَجْهِ الصَّبَّاحِ
وَيُشَخِّصُ الْفَجْرَ وَاللَّيْلَ، فَيُصَوِّرُ الْأَوَّلَ ضَاحِكًا، وَالثَّانِي مُنْتَحِبًا: (3)

[الرجز]

وَحَاجِبُ الْفَجْرِ بِإِلَاحِاجِابِ يَضْحَكُ وَالظَّلْمَاءُ فِي انْتِحَابِ
وَفِي صُورَةٍ أُخْرَى، جَعَلَ الظَّلَامَ ضَاحِكًا: (4)

[مجزوء الكامل]

قُمْ فَاجِلُ هَمِّي يَا غُلَامُ بِالرَّاحِ إِذْ ضَحِكَ الظَّلَامُ
وَفِي قَوْلِهِ: (5)

[الخفيف]

جَاعَتِي زَائِرًا بِطُرَّةٍ لَيْلِ أُسْدَلَتْ فَوْقَ غُرَّةٍ مِنْ نَهَارِ
قَائِلًا لِي وَالْفَجْرُ فِي قَبْضَةِ اللَّيْلِ لِي وَجِسْمُ الدُّجَى مِنَ الصُّبْحِ عَارِ:

(1) الوأواء: ديوانه، ص 81.

(2) المصدر السابق، ص 70.

(3) المصدر السابق، ص 28.

(4) المصدر السابق، ص 202.

(5) المصدر السابق، ص 95.

قُمْ نَقْضِ حَقَّ الصَّبُوحِ فَقَدْ أَذَّنَ بِالصُّبْحِ طَائِرُ الْأَسْحَارِ
جَعَلَ لِلَّيْلِ قَبْضَةً، وَلِلدُّجَى جِسْمًا، وَجَعَلَ الصُّبْحَ إِنْسَانًا يُؤَذِّنُ فِيهِ، وَطَائِرَ الْأَسْحَارِ مُؤَذِّنًا.

وَيَبْرُزُ فِي شِعْرِ الوَأْوَاءِ تَشْخِيسُ الْأَطْلَالِ، فَهَذَا هُوَ ذَا يُخَاطَبُ الطَّلَّالَ وَيُنَادِيهِ بِقَوْلِهِ: (1)

[الطويل]

أَمَغْنَى الْهَوَى غَالَتْكَ أَيْدِي النَّوَائِبِ فَأَصْبَحْتَ مَغْنَى لِلصَّبَا وَالْجَنَائِبِ
إِذَا أَبْصَرْتَكَ الْعَيْنُ جَادَتْ بِمُذْهَبِ عَلَى مَذْهَبٍ فِي الْخَدِّ بَيْنَ الْمَذَاهِبِ

وَالْأَطْلَالُ تُجَدِّدُ شَوْقَ الشَّاعِرِ إِلَى الْمَحْبُوبَةِ، وَتُعَايِنُ الْهَوَى، وَتُقَاسِمُهُ الْبِلَى وَالسَّقَمَ: (2)

[الطويل]

أَيَا رَبِّعَ صَبْرِي كَيْفَ طَاوَعَكَ الْبِلَى فَجَدَّدْتَ عَهْدَ الشُّوقِ فِي دَمَنِ الْهَوَى
كَأَنَّكَ عَايَنْتَ الَّذِي بِي مِنَ الْهَوَى فَقَاسَمْتَنِي الْبِلَوَى وَقَاسَمْتَكَ الْبِلَى
وَشَخَّصَ الْخَمْرَ، وَجَعَلَهَا تَبْتَسِمَ: (3)

[المنسرح]

عَذَّبْتُهَا بِالْمَزَاجِ فَايْتَسَمَتْ عَنْ بَرْدِ نَابِتٍ عَلَى لَهَبِ
وَشَخَّصَ بَعْضَ مَظَاهِرِ الْحَضَارَةِ، فَجَعَلَ النَّايَ شَخْصًا نَادِبًا، وَالْعُودَ شَخْصًا مُنْتَحِبًا: (4)

[الخفيف]

مَا تَرَى النَّايَ نَبِيَّ الْعُودِ يَا صَا حِ فَذَا نَادِبٌ وَذَا فِي انْتِحَابِ
وَكَّرَرَ شَيْئًا مِمَّا سَبَقَ فِي قَوْلِهِ: (5)

(1) الوأواء: ديوانه، ص 16-17.

(2) المصدر السابق، ص 8.

(3) المصدر السابق، ص 35.

(4) المصدر السابق، ص 12.

(5) المصدر السابق، ص 49.

[المجتث]

يَا شَيْعَةَ اللَّهِ وَهُبُّوا إِلَى اللِّذَازَاتِ هُبُّوا
فَالنَّايِ يُبِيدِي أَيْنَا يُشْجِي وَلِلْعُودِ ضَرْبُ
وَجَعَلَ الْقِرطَاسَ وَالْقَلَمَ مَحْبُوبَيْنِ يُقْبَلَانِ بَعْضُهُمَا بَعْضًا، كَمَا أَنَّهُ جَعَلَ الْبَيْنَ ذَاتًا تَسْتَعِيدُ
مِنْ فِرَاقِ الْأَحْبَابِ وَالْبُعْدِ عَنْهُمْ: (1)

[البيسط]

يَا رَبَّ يَوْمَ حَجَرْنَا فِي مَحَاجِرِنَا مَاءَ الْعِيُونِ وَأَمْطَرْنَا الْخُدُودَ دَمًا
فِي مَوْقِفٍ يَسْتَعِيدُ الْبَيْنُ مِنْهُ بِهِ فَمَا يُقْبَلُ قِرطَاسٌ بِهِ قَلَمًا
وَوَظَّفَ الشَّاعِرُ التَّشْخِصَ فِي مَدَائِحِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي مَدْحِ الشَّرِيفِ الْعَقِيقِيِّ عِنْدَ
حَدِيثِهِ عَنِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ: (2)

[البيسط]

إِلَى الَّذِي افْتَخَرَتْ أَرْضُ الْعَقِيقِ بِهِ وَمَنْ بِهِ أَصْبَحَتْ بَطْحَاوُهَا حَرَمًا
إِلَى فَتَى تَضْحَكُ الدُّنْيَا بِغُرَّتِهِ فَمَا تَرَى بَاكِيًا فِيهَا إِذَا ابْتَسَمًا
حَيْثُ جَعَلَ بِلَادَ الْعَقِيقِ إِنْسَانًا يَفْتَخِرُ، وَالدُّنْيَا ذَاتًا ضَاحِكَةً.

وَتَشْخِصُهُ لِلْمَنَايَا بِفِرْقِ الْمُقَاتِلِينَ الْمُسْتَسْلِمِينَ لِلْمَمْدُوحِ، يَقُولُ: (3)

[البيسط]

تَأْتِي الْمَنَايَا إِلَى أَسْيَافِهِ فِرْقًا كَأَنَّمَا تَجْتَدِي مِنْ خَوْفِهِ سَلْمًا
وَجَعَلَهُ الْمَنَايَا أَنَسًا لَهُمْ أَيَادٍ تَكْتُبُ: (4)

(1) الوأواء: ديوانه، ص192.

(2) المصدر السابق، ص194.

(3) المصدر السابق، ص195.

(4) المصدر السابق، ص21.

[الطويل]

وَقَدْ كَتَبْتُ أَيْدِي الْمَنَايَا وَأَعْرَبْتُ
بِشَكْلِ الْعَوَالِي فَوْقَ خَطِّ الْقَوَاضِبِ
لَمَّا أَقْعَدْتُ أَسْيَافَهُ كُلَّ قَائِمٍ
فَقَدْ أَرْجَلْتُ أَرْمَاحَهُ كُلَّ رَاكِبٍ
وَمِنْ تَشْخِصَاتِهِ، أَنَّهُ جَعَلَ الْجُفُونَ تَتَكَلَّمُ: (1)

[الكامل]

جَهْدُ الشُّكَايَةِ أَنَّ السُّنَنَّا بِهَا
خَرَسَتْ وَأَنَّ جُفُونَنَا تَتَكَلَّمُ
وَمَحَاسِنَ مَحْبُوبَتِهِ تَنْطِقُ وَتَرُدُّ عَلَى لَانِمِيهِ فِي حُبِّهَا: (2)

[الوافر]

لَقَدْ نَطَقَتْ مَحَاسِنُهُ بِعُذْرِي
فَأَخْرَسَ عَاذِلِي بِالْعَذْلِ عَنَّا
وَجَعَلَ الْهَوَى الْعُذْرِيَّ إِنْسَانًا يَعْذُرُ: (3)

[الطويل]

يَبِيْتُ الْهَوَى الْعُذْرِيَّ يَعْذُرُنِي إِذَا
خَلَعْتُ بِهِ عُذْرَ الدُّمُوعِ السَّوَاكِبِ
وَجَعَلَ الْجَوَى وَالشُّوقَ ذَوَاتًا تَسْكُنُ مَنْزِلًا، وَالكَرَى إِنْسَانًا غَرِيبًا: (4)

[الكامل]

سَكَنَ الْجَوَى وَالشُّوقُ بَيْنَ جَوَانِحِي
وَعَادَا الْكَرَى فِي مُقْلَتِي غَرِيبًا
وغير ذلك من النماذج التشخيصية التي تشهد على شاعرية الوأواء ومقدرته الفنية
العالية.

(1) الوأواء: ديوانه، ص 199.

(2) المصدر السابق، ص 174.

(3) المصدر السابق، ص 17.

(4) المصدر السابق، ص 51.

خاتمة البحث ونتائجه

الوَأَءِ الدَّمَشَقِيِّ مِنَ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ لَازَمُوا الْأَمِيرَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْحَمْدَانِيَّ، وَاتَّصَلُوا بِكِبَارِ الشُّعْرَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ، فَقَدَّمُوا نِتَاجًا شِعْرِيًّا يُعْتَزُّ بِهِ، وَهُوَ جَدِيرٌ بِالدِّرَاسَةِ وَالتَّحْلِيلِ. وَبَعْدَ دِرَاسَةِ غَرَضِيْنَ مِنْ أَغْرَاضِ شِعْرِ الْوَأَءِ، نَخْلُصُ إِلَى مَا يَأْتِي:

1. نَظَمَ الْوَأَءُ فِي الْعَدِيدِ مِنَ الْأَغْرَاضِ الشُّعْرِيَّةِ وَالْمَوْضُوعَاتِ الْفَنِّيَّةِ، وَأَهْمُهَا الْوَصْفُ، وَالْغَزْلُ، وَالْمَدْحُ، وَالْهَجَاءُ، وَالْخَمْرِيَّاتُ، وَالرَّوَضِيَّاتُ.

2. صَوَّرَ فِي أَشْعَارِهِ الْوَصْفِيَّةِ كُلَّ مَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ عَيْنَاهُ وَمَا سَمِعَتْهُ أُذُنَاهُ تَصْوِيرًا دَقِيقًا يَكْشِفُ عَنِ شَاعِرِيَّتِهِ الْفَذَّةِ، وَخَيَالِهِ الْوَاسِعِ، فَقَدَ وَصَفَ الطَّبِيعَةَ رِيَاضِيَّاتًا، وَأَزْهَارَهَا، وَكَوَاكِبَهَا وَنُجُومَهَا الْمُتَعَدِّدَةَ، مُعْتَمِدًا عَلَى الصُّورِ اللَّوْنِيَّةِ، وَالسَّمْعِيَّةِ، وَاللَّمْسِيَّةِ، وَالذُّوقِيَّةِ، وَوَصَفَ بَعْضًا مِنْ مَظَاهِرِ الْحَضَارَةِ وَمُخْرَجَاتِهَا الَّتِي شَاعَتْ فِي عَصْرِهِ وَزَمَانِهِ شُيُوعًا كَبِيرًا، كَالشَّمْعَةِ، وَالذُّوَالِيْبِ وَالنَّوَاعِيْرِ، وَالْعُودِ وَالنَّايِ.

وَفِي مَدَائِحِهِ خَلَعَ عَلَى مَمْدُوحِيهِ الشَّرِيفِ الْعَقِيْقِيِّ، وَسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْحَمْدَانِيِّ كَثِيرًا مِنْ الصِّغَاتِ النَّبِيلَةِ، وَالْخِصَالِ الْحَسَنَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْعُلْيَا، كَالْكَرَمِ وَالْجُودِ، وَالْقُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَالْعِزِّ وَالْمَجْدِ وَشَرَفِ النَّسَبِ، غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الْمَعَانِي كُلَّهَا مَعَانٍ تَقْلِيدِيَّةٍ تَفْتَقِدُ إِلَى الْحَدَاثَةِ وَالْجِدَّةِ، فَهِيَ لَا تَخْتَلِفُ عَنِ مَعَانِي الْمَدَّاحِينَ السَّابِقِينَ إِلَّا فِي الْأُسْلُوبِ الْمُتَّبَعِ فِي صِيَاغَتِهَا.

وَوَصَفَ -كَذَلِكَ- الْخَمْرَ لَوْنَهَا، وَمَا يَطْرُقُ عَلَيْهَا عِنْدَ مَزْجِهَا بِالْمَاءِ، وَأَثَرَهَا فِي نَفُوسِ شَارِبِيهَا وَعُقُولِهِمْ، وَمَجَالِسَهَا، وَسَقَاتِهَا.

3. كَانَ الْوَأَءُ شَاعِرًا غَزَلًا، فَأَكْثَرَ دِيْوَانَهُ غَزْلًا، وَيُقَسَّمُ غَزْلُهُ تَبَعًا لِمَوْضُوعَاتِهِ وَاتِّجَاهَاتِهِ إِلَى قِسْمَيْنِ اثْنَيْنِ، هُمَا:

أ- الْغَزْلُ الْمَعْنَوِيُّ الْعَفِيفُ، وَفِيهِ يُصَوَّرُ مَشَاعِرُهُ الْمُلتَهَبَةُ، وَعَوَاطِفُهُ الْحَرَاقَةُ، وَيَصِفُ مَا لِلْحُبِّ وَالْهِيَامِ مِنْ تَأْثِيرٍ فِي نَفْسِهِ.

ب- الغزل الحسي، بنوعيه: الحسي الفاحش الذي يشتمل على سردٍ لقصصٍ جنسيةٍ فاضحةٍ، ومغامراتٍ حسيةٍ متهتكةٍ مع المحبوبة، والغزل الحسي غير الفاحش الذي يدور حول جسد المحبوبة، ويصفه وصفاً مادياً، ويصور مفاتنه، من غير الوصول إلى مرحلة التهتك والخلاعة، والإسفاف الذي يחדش الحياء، ولا يتلاءم مع الذوق العام ولا يناسبه.

4. كان الوأء من الشعراء قصيري النفس الذين ليس لديهم قدرة على نظم المطولات، فقد جاء معظم شعره على هيئة مقطوعات قصيرة محدودة.

5. تأثر الوأء كثيراً بمعاني الشعراء السابقين وصورهم، كابن الرومي، وأبي تمام، وأبي فراس الحمداني، والمُنَبِّي.

6. الطابع العام الذي تتسم به لغته هو طابع السهولة والبساطة والوضوح، مع الجنوح إلى الشعبية في بعض الأحيان، إلا أنه كان يلجأ في مدائحه وبعض غزلياته التقليدية إلى توظيف الألفاظ التقليدية المعقدة الوحشية والعبارات القديمة، ويلاحظ أنه وظف في لغته كثيراً من الألفاظ المعربة الدخيلة، ومصطلحات علم الكتابة والتدوين.

7. شاع في شعره التناص، وقد جاء على نوعين: تناص ديني، وفيه تأثر بالقرآن الكريم ألفاظه ومعانيه وشخصياته، وتناص أدبي، وفيه تأثر بكثير من الشعراء السابقين من حيث ألفاظهم ومعانيهم وصورهم.

8. أدى كل من الوزن، والقافية، والجناس بنوعيه، والتكرار، والتصريع، والتدوير دوراً مهماً في تشكيل الموسيقى الشعرية في نتاجه الشعري.

9. أدت الصورة الفنية في شعره دوراً مهماً في تبسيط المعنى، وتوضيحه، وتقريبه إلى ذهن السامع، وقد تعددت المصادر والمنابع التي استقى منها صورته، وكذلك تنوعت محاور صورته وأشكالها، ويمكن حصرها بأربعة أنماط وأشكال، هي: الصورة اللونية، والصورة السمعية، والصورة اللمسية، والصورة الذوقية.

10. يُعَدُّ التَّشْخِصُ أَحَدَ أْبْرَزِ الدَّعَائِمِ الَّتِي اعْتَمَدَ عَلَيْهَا الوَأَاءُ فِي تَصْوِيرِهِ الفَنِّيِّ، وَفِي تَقْدِيمِ أَفْكَارِهِ وَمَعَانِيهِ.

وَفِي الخِتَامِ، نَسَأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ فِي الدَّارَيْنِ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

القرآن الكريم.

ابن الأبرص، عبيد: ديوانه، تح: كرم البستاني، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، 1958.

البرقوقي، عبد الرحمن: شرح ديوان المتنبي، بيروت-لبنان: دار الكتاب العربي، 1979.

التبريزي، الخطيب: شرح ديوان أبي تمام، تح: محمد عبده عزام، ط4، مصر: دار المعارف، (د.ت).

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط2، القاهرة: مطبعة السعادة، 1956.

الجرجاني، محمد بن علي بن محمد: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تح: عبد القادر حسين، الفجالة-القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، (د.ت).

ابن جعفر، قدامة: نقد الشعر، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت).

الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر: المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تح: ف. عبد الرحيم، ط1، دمشق: دار القلم، 1990.

ابن حزم، الأندلسي: طوق الحمامة في الألفة والألف، تح: إحسان عباس، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1993.

الحصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي القيرواني: زهر الآداب وثمر الألباب، تفصيل وضبط وشرح زكي مبارك، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط4، بيروت: دار الجيل، 1972.

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي: **معجم البلدان**، تح: فريد عبد العزيز الجُندي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1990.

ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي: **صورة الأرض**، بيروت-لبنان: منشورات دار مكتبة الحياة، (د.ت).

الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد: **الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)**، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2003.

الخفاجي، ابن سنان أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد: **سرّ الفصاحة**، قدّم له واعتنى به ووضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، ط1، بيروت-لبنان: كتاب-ناشرون، 2010.

الراغب الأصبهاني، أبو القاسم حسين بن محمد: **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1961.

ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني الأزدي: **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط4، بيروت: دار الجيل، 1972.

الزركلي، خير الدين: **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)**، ط5، بيروت: دار العلم للملايين، 1980.

الزيات، محمد بن عبد الملك: **ديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات**، تح: جميل سعيد، أبو ظبي: المجمع الثقافي، 1990.

السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي: **مفتاح العلوم**، ضبط وتعليق نعيم زرزور، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1983.

السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين: **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، شرح وضبط وتصحيح وتعليق محمد أحمد جاد المولى، وآخرين، دار إحياء الكتب العربية وعيسى البابي الحلبي وشركاه، (د.ت).

الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد: **الديارات**، تح: كوركيس عواد، ط3، سورية: دار المدى، 2008.

الشنقيطي، أحمد الأمين: **شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها**، تح: محمد عبد القادر الفاضلي، صيدا- لبنان: المكتبة العصرية، 2003.

الصرصري، الطوفي سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم البغدادي: **الأكسير في علم التفسير**، تح: عبد القادر حسين، المطبعة النموذجية، 1977.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك: **الوافي بالوفيات**، اعتناء س.ديدرينغ، ط2، فيسبادن: دار النشر فرانز شتايز، 1974.

الطّباخ، محمد راعب بن محمود بن هاشم الحلبي: **إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**، تنقيح محمد كمال، ط2، حلب: دار القلم العربي، 1988.

ابن طباطبا، محمد بن أحمد العلوي: **عيار الشعر**، تح: طه الحاجري، ومحمد زغلول سلام، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد علي، 1956.

ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا: **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، مراجعة وتنقيح محمد عوض إبراهيم بك وعلي الجارم بك، ط2، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر، (د.ت).

ابن العديم، صاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة: **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تح: سهيل زكار، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت).

ابن عساكر، الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي: تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها، تح: مُحِب الدين أبي سعيد عمر بن غلامة العمروي، ط1، دار الفكر، 1997.

تهذيب تاريخ دمشق الكبير، ترتيب: عبد القادر بدران، ط2، بيروت: دار الميسرة، 1979.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: الصناعتين (الكتابة والشعر)، تح: مفيد قميحة، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1981.

أبو فراس الحمداني: ديوانه، جمع ونشر وتعليق وفهرسة سامي الدّهان، بيروت، 1944.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: الشعر والشعراء، بيروت-لبنان: دار الثقافة، 1964.

القرطاجني، حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، تونس: دار الكتب الشرقية، 1966.

القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف: المحمدون من الشعراء، تصحيح وتعليق محمد عبد الستار خان ايم، ط1، جيد آباد الدكن-الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1966.

الكتبي، محمد بن شاکر: فوات الوفيات والذيل عليها، مج3، تح: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 1974.

مجنون ليلى: ديوان مجنون ليلى، جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار مصر للطباعة، (د.ت).

مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، ط2، استانبول-تركيا: المكتبة الإسلامية، 1972.

ابن المعتز: ديوانه، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر، 1961.

ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، القاهرة: دار الحديث، 2003.

مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق سكيّنة الشهابي، ط1، دمشق: دار

الفكر، 1990.

أبو نواس: ديوانه، شرح وضبط وتقديم: علي فاعور، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1987.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة: مطابع
كوستانتسوماس وشركاه، (د.ت).

الوواء، أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني الدمشقي: ديوانه، تح: سامي الذّهان، ط2، بيروت:

دار صادر، 1993.

ثانياً: المراجع

أحمد، محمد، وآخرون: البنية الإيقاعية في شعر عز الدين المناصرة، ط1، القدس: منشورات
اتحاد الكتاب الفلسطينيين، 1998.

إسماعيل، عز الدين: في الأدب العباسي الرؤية والفن، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة
والنشر، 1975.

أمين، أحمد: ظهر الإسلام، ط5، بيروت: دار الكتاب العربي، 1969.

أبو الأنوار، محمد: الشعر العباسي تطوره وقيمه الفنية (دراسة تاريخية تحليلية للاتجاهات
الكبرى في الشعر وزعمائها من الشعراء من بشار بن برد إلى أبي الطيب المتنبي)،

ط2، القاهرة: دار المعارف، 1987.

أنيس، إبراهيم: موسيقى الشعر، ط5، مكتبة الأنجلو المصرية، 1978.

بروكلمان، كارل: تاريخ الأدب العربي، ترجمة: يعقوب بكر ورمضان عبد التّواب، ط3،

القاهرة: دار المعارف، 1983.

البطل، علي: الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري (دراسة في أصولها وتطورها)، ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1981.

بكار، يوسف حسين: بناء القصيدة العربية، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1979.

اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، ط2، دار الأندلس، 1981.

بيومي، محمد: قصص القرآن دروس وعبر للدعوة والدعاة، ط1، المنصورة: مكتبة الإيمان، 2006.

الجواري، أحمد عبد الستار: الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري، بيروت: مطابع دار الكشف، 1956.

الحاوي، إيلياً: فنّ الوصف وتطورهُ في الشعر العربي، ط3، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1980.

فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب، بيروت: دار الثقافة، (د.ت.).

أبو حلتّم، نبيل خليل: اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري (من خلال يتيمة الدهر)، الدوحة-قطر: دار الثقافة، 1985.

الدّهان، سامي وآخرون: الوصف، دار المعارف، (د.ت.).

ربابعة، موسى: جماليات اللون في شعر زهير بن أبي سلمى، الأردن: جامعة اليرموك، (د.ت.).

الرباعي، عبد القادر: الصورة الفنية في شعر أبي تمام، ط2، بيروت-لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1999.

زاهر، جمال: شعر الوأواء الدمشقي: دراسة فنية، ط1، الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا النشر والطباعة، 2007.

الزبيدي، صلاح مهدي: دراسات في الشعر العباسي، ط1، عمّان: الأكاديميون للنشر والتوزيع،
2004.

الزعيبي، أحمد: التناص نظرياً وتطبيقياً، ط2، الأردن: مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، 2000.
الزيّادي، عبد الفتاح: الأجرام السماوية، ط1، مصر: مطبعة العلوم بشارع الخليج بجنيّة لاط،
1936.

الساريسي، عمر عبد الرحمن: الشعر في العصر العباسي (المؤثرات والظواهر)، ط1، العبدلي-
الأردن: دار حنين للنشر والتوزيع، والكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، 2006.
ساسه، صالح: المنجد في الإعراب والقواعد والبلاغة والعروض، دمشق: المطبعة العلميّة،
(د.ت).

السعدني، مصطفى: التناص الشعري (قراءة أخرى لقضية السرقات)، منشأة المعارف
المصرية: مصر، 1991.

الشكعة، مصطفى: فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، القاهرة: مطبعة المعرفة، 1958.

ضيف، شوقي: العصر الإسلامي، ط7، مصر: دار المعارف، (د.ت).

العصر العباسي الثاني، ط2، القاهرة: دار المعارف، 1975.

الطريفي، يوسف عطا: شعراء العرب (العصر العباسي)، ط1، عمان-الأردن: الأهلية للنشر
والتوزيع، 2007.

الطيب، عبد الله: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ط2، بيروت-لبنان: دار الفكر،
1970.

العاني، سامي مكّي: معجم ألقاب الشعراء، ط1، دبي-دولة الإمارات العربية المتحدة: مكتبة
الفلاح، 1982.

- عباس، إحسان: فنّ الشعر، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، 1955.
- عبد الجابر، سعود محمود: الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1981.
- عبد الجواد، إبراهيم عبد الله أحمد: العروض بين الأصالة والحداثة، ط1، دار الشروق، 2002.
- عبد المطلب، محمد: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر (لونجمان): مصر، 1995.
- عتيق، عبد العزيز: علم البديع، القاهرة: دار الآفاق العربية، 2004.
- العشماوي، محمد زكي: موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي، دار المعرفة الجامعية، 1999.
- عصفور، جابر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط2، بيروت-لبنان: دار التتوير للطباعة والنشر، 1983.
- أبو عمشة، عادل: العروض والقافية، ط1، نابلس: مكتبة خالد بن الوليد، 1986.
- الفاخوري، حنا: الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)، ط1، بيروت: دار الجيل، 1986.
- فيود، بسيوني عبد الفتاح: علم المعاني: دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، ط1، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، والأحساء-المملكة العربية السعودية: دار المعالم الثقافية للنشر والتوزيع، 1998.
- القاضي، النعمان: أبو فراس الحمداني: الموقف والتشكيل الجمالي، مصر: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1982.

المستريحي، قطنة أحمد: الشعر في بلاط الغساسنة، ط1، عمان-الأردن: دار حمورابي،
2009.

مفتاح، محمد: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ط3، الدار البيضاء: المركز
الثقافي العربي، 1992.

الملائكة، نازك: قضايا الشعر المعاصر، منشورات مكتبة النهضة، (د.ت.).

المناصرة، عز الدين: علم التناصّ المُقارن (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي)، ط1، عمّان: دار
مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2006.

ناصر، مصطفى: الصورة الأدبية، ط2، بيروت: دار الأندلس، 1981.

نافع، عبد الفتاح: الشعر العباسي قضايا وظواهر، ط1، عمّان: دار جرير للنشر والتوزيع،
2008.

نوفل، سيد: شعر الطبيعة في الأدب العربي، ط2، مصر: دار المعارف، 1978.

هدارة، محمد مصطفى: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، القاهرة: دار
المعارف، 1963.

هلال، ماهر مهدي: جرس الألفاظ ودلالاته في البحث البلاغي، بغداد: مطبعة الحرية، 1980.

وهبه، مجدي، وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، بيروت:
مكتبة لبنان، 1984.

يعقوب، إميل بديع: المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، ط1، بيروت-
لبنان: دار الكتب العلمية، 1991.

ثالثاً: الرسائل الجامعية

صباح، عصام لطفي: الصورة الفنية في شعر الوأواء الدمشقي، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، 2011.

عتيق، عمر عبد الهادي قاسم إبراهيم: دراسة أسلوبية في شعر الأخطل، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس-فلسطين، 2000-2001.

رابعاً: الدوريات

جويجاتي، رفيق: الوأواء الدمشقي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج 68، ج 4، 1993.

عبد المطلب، محمد: شاعرية الألوان عند امرئ القيس، مجلة فصول، مج 5، عدد 2، 1985.

النكدي، عارف: الوأواء الدمشقي وديوانه، مجلة المجمع العلمي العربي (لغوية علمية تاريخية)، مج 4، ج 8، 1924.

خامساً: المراجع الأجنبية

A.Devens: **Le Roman De L'Emir seif**, Paris, 1925.

Schlumberger: **Un Empreur Byzantin an Dixiemesiecle**, (Nicephor phocas) Paris, 1890.

**AN-Najah National Universty
Faculty of Graduate Studies**

Description and Flirtation in wa'wa' Al-Dimashqi Poetry

**By
Mohammad Ayesh Mohammad Yamin**

**Supervised by
Dr.Abdulkhalik Isa**

**This Thesis is Submitted in partial Fulfillment of the
Requirements for the degree Master of Arabic Language, Faculty
of Graduate Studies, An – Najah University, Nablus, Palestine.**

2012

Description and Flirtation in wa'wa' Al-Dimashqi Poetry

By

Mohammad Ayesh Mohammad Yamin

Supervised by

Dr.Abdulkhalik Isa

Abstract

This study tackles the arts of description and flirtation in the poetry of Alwa'wa Al-Dimashqi in terms of their contents ,expressions and trends, and it has included an introduction ,three chapters, and a conclusion . The introduction is for introducing the poet (Alwa'wa'), I talked about his lineage, life, his relations ,his religious doctrine, his poetry, and the most important views said of him.

In the first chapter, I dealt with the description of its general and comprehensive meaning in his poetry . I showed in some some details the things and phenomena which he described, and his way in describing them which I have made in four sections. These are: the description of nature, the description of the aspects of civilization, the description of the praised, and the description of wine.

In the second chapter, I studied the love poetry of Alwa'wa, and I divided it, depending on contents, subjects and trends into two classes: light, moral praise and obscene and not obscene sensory praise.

In the third chapter, I presented the artistic features in terms of the artistic construction of the poem, the language ,and its features ,the style, the music of poetry and its elements, the artistic image in terms of its sources, axes and forms.

In the conclusion, I outlined the most important result that I reached.